C

خطب سيدات البيت النبوي عليهن السلام

حتى نهاية القرن الأول الهجري

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق - وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠١٦ - ٢١٥٩

مصدر الفهرسة:	IQ-KaPLI ara
رقم تصنيف LC:	BP 27.22.M8 2016
المؤلف الشخصي:	الموسوي، زينب عبد الله كاظم
العنوان:	خطب سيدات البيت النبوي (عليهن السلام) حتى نهاية القرن الأول الهجري: دراسة موضوعية فنية
بيان المسؤولية:	تأليف زينب عبد الله كاظم الموسوي؛ تقديم محمد علي الحلو
بيانات الطبعة:	الطبعة الأولى
بيانات النشر:	كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية ١٤٣٨هـ= ٢٠١٧م
الوصف المادي:	[٢٨٤] صفحة
سلسلة النشر:	قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية (٢٠٠)
تبصرة عامة:	يتضمن ملاحق
تبصرة ببليوغرافية:	يحتوي على هوامش - لائحة مصادر (الصفحات ٢٧٣ - ٢٨١)
موضوع شخصي:	فاطمة الزهراء (سلام الله عليها)، ٨ قبل الهجرة - ١١ هجرياً - الخطب - بلاغة
موضوع شخصي:	فاطمة الزهراء (سلام الله عليها)، ٨ قبل الهجرة - ١١ هجرياً - الخطبة الفدكية - نقد وتفسير
موضوع شخصي:	زينب بنت علي بن أبي طالب (سلام الله عليها)، ٦ - ٦٢ هجرياً - الخطب
مصطلح شخصي:	ام كلثوم بنت علي بن أبي طالب (سلام الله عليها)، توفيت حوالي ٦١ هجرياً
مصطلح موضوعي:	الخطب الدينية - جوانب بلاغية
مصطلح موضوعي:	اهل البيت - الخطب الدينية
مؤلف اضافي:	الحلو، محمدعلي، ١٩٥٧ -، مقدم.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

خُطَبُ
سَيِّدَاتِ البَيْتِ النَّبَوِيِّ عليهن السلام

حَتَّى نِهَايَةِ القَرْنِ الأَوَّلِ الهِجْرِيِّ

دراسة موضوعيّة فنّيّة

تأليف

زَيْنَب عَبْدالله كَاظِم المُوسَوِي

العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية

طُبِعَ برعاية

العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com

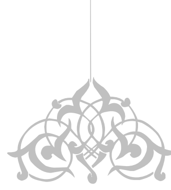
E-mail: info@imamhussain-lib.com

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْم

{ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۞ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }

صَدَقَ اللّهُ العَلِيُّ العَظِيْم

آل عمران / ٣٣ - ٣٤



الإهداء

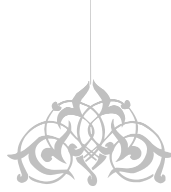
إلى من حملن أعباء الرسالة، وضربن أروع الأمثلة في الفداء والتضحية.
السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام
السيدة زينب عليها السلام
السيدة أم كلثوم عليها السلام
السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليها السلام
... ولاءً وإجلالاً

- إلى من غذاني بحبِّ العلم صغيرةً.. وشجّعني على ريادة طريقِهِ كبيرة وهو يتطلّع إليّ صابراً.. ليجني ثمار غرسه.
...أبي - عنوان الصبر.. ورمز التضحية

- إلى التي غذّتني بحنانها.. وأغدقت عليّ بعطائها.. وتابعتْ مسيرة حياتي بدُعائها لتُنير في دربي شمعة.
... أمّي - عرفاناً لها، وطلباً لمرضاة الله

- إلى الذي فارقني قبل أن أضمّدَ جراحَهُ، وأُطفئَ جمرَة فؤاده بدعوته ليوم مناقشتي كما كان يرجو، ولكن أنى ذلك ويد الإرهاب طالته قبل آوانها كما طالت الملايين من العراقيين الأبرياء، فرحل عني ليبقى في ذاكرتي حاضرا بروحه، عساها بيوم المناقشة تلبي.
... عمّي - رحمه الله - حُبّاً.. ووفاءً

- إلى الحبيبة التي رحلت عني وأنا أطوي آخر صفحات بحثي هذا، فتركتني أعيش لوعة الفراق بقلبٍ شجيٍّ، وهجران الحنان والحضن الدافئ والصداقة الحقيقيّة.
.... جدّتي - رحمها الله - أرض العطاء.. وسماء الحنان



مقدمة اللجنة العلمية

سجّلت الحقبة التاريخية من الصدر الأول الهجري حراكاً سياسياً مهماً ينمّ عن المزايدات التي قامت بها بعض الجماعات الاسلامية العازمة على تحويل وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى حالات من الفوضى والتوتر انتج شكلاً من الحكم الفردي بعنوان الشورى، واي أهل الحل والعقد، الاجتماع الى غيره من العناوين المفبركة التي تشير الى اضطراب تنظيري واضح المعالم أرهق الذهنية الاسلامية بسبب النزاعات الطائشة غير الرشيدة، واستطاعت هذه التوجهات أن تقدم رؤية واضحة المعالم عن المقطع التاريخي الملتهب بتوترات التنافس السياسي العاصف بكل المبادئ والقيم التي أسسها النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلال رحلته التبليغية على مدى أكثر من عقدين، ولعل الخطاب السياسي المعارض لم يكن واصلاً في مدياته الى أصحاب القرار، فقد كانت حالة الحظر على الصوت المعارض الذي يمثله الإمام علي عليه السلام في معارضته الشرعية ولم يخفت صوت المعارضة بعد أن تعالت أصوات المعارضة بخطاباتها السياسية الناضجة، فقد تصدرت

خطابات المعارضة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بعد أن أعلنت خطبتها الفدكية على رؤوس الأشهاد من الانصار والمهاجرين الذين أصعقتهم تلك الخطبة العارمة بمعانيها الملتهبة، واحتجاجاتها التي كشفت الكثير من الحقائق، ولم ينتهِ الصوت الفاطمي حتى أُعيد خطابه بعد الطف؛ إذ مثلت ذلك الخطاب المعارض السيدة زينب عليها السلام وريثة الخطاب الفاطمي الذي هدرته في باحات الكونين يوم كان قصر الامارة يحتفي بنصر عبيد الله بن زياد ذلك النصر الذي كشفت عن اسطورته السيدة زينب بخطاباتها وخرجت الى الشارع الكوفي لتنقل صوتها الى أسماع الكوفيين الذين أذهلتهم كلماتها فندموا باكين، وتلاوموا صارخين، وقد تلتها خطبتا السيدة فاطمة بنت الحسين والسيدة أم كلثوم بنت علي عليهما السلام اللتان استعرضت تاريخ المشروع الاصلاحي للإمام الحسين عليه السلام وفضحت المشروع الأموي الذي فرّط بكل القيم والمبادئ الاسلامية آنذاك.

لقد كانت خطب سيدات البيت العلوي مشروعاً متكاملاً صاغته رؤى موروثة من أئمة الهدى، الإمام أمير المؤمنين والإمامين الحسنين عليهم السلام، وكان معروفاً بنزعته الاصلاحية التي استطاعت أن تؤجج مشاعر المسلمين وتكشف عن النوايا السيئة للمشروع الأموي الذي يهدف للقضاء على الإسلام وقيمه ومبادئه، فقد استطاع هذا المشروع الخطابي أن يسجّل إمكانيات سيدات البيت العلوي على رسم معالم الاصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي امتلك مقومات الخطاب الحسيني الثائر من هنا وجدت السيدة الباحثة زينب عبد الله كاظم الموسوي ضرورة امكانية العمل على المحور الخطابي لسيدات البيت العلوي وقدمت قراءة تاريخية متمعّنة في

الخطاب الذي تبنته المرأة يوم كانت تقرر آراءها من خلال خطبها البليغة، وقد وفقت في استعراض التاريخ البلاغي لخطب السيدات العلويات اللواتي أحدثن نقلة مذهلة في التاريخ الاسلامي بعد تقديم بيانات ناضجة للحالة العامة التي يعيشها المجتمع الاسلامي وامكانية تشخيص الخلل فيه ومدى اصلاحه من خلال تقديم الرؤى الناضجة في الخطاب الذي تبنته سيدات البيت النبوي يوم كانت الرؤى المضببة تهيمن على الخطاب العام.

عن اللجنة العلمية

السيد محمد علي الحلو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُقدّمة

الحمدُ لله الذي رفع فلك الهواء على عُنصري الترابِ والماء، والصّلاة والسلام على خير خلقه، وأنجب بريّته، وصفوة رُسله الذي بعثه هادياً لعباده، ومناراً في بلاده، والمُنتخب لبريّته، محمّد وآله الطيّبين الأبرار.

وبعد:

كان لرغبتي الشديدة في دراسة خطب السيدة الزهراء عليها السلام أثر كبير في اختيار موضوع هذا البحث الموسوم بـ(خُطب سيّدات البيت النبوي حتّى نهاية القرن الأوّل الهجري - دراسة موضوعيّة فنّيّة -)، ليكون أكثر شمولاً واتّساعاً من جهة، ولأنّها لم تحظَ بدراسةٍ تفيها حقّها بما يتناسب وقيمتها الأدبيّة من جهة آخرى، وإذ أُقدّمُ تلك الخِطب للدراسة فإنّي أُقدّم رائدات الخطابة من القرن الأوّل الهجري، وقد درست بلاغة خطبهنّ، وبيّنت ما تعنيه مضامينها من خصائص وسمات، واتّبعت في رحلة بحثي منهجاً يتّكئ على جُملة من المُرتكزات التي شكّلت محاور مهمّة في ظهور فنّ نثري عند نساء أهل البيت عليهم السلام يمتاز عن سابقه بمزايا عدّة أهمُّها المواءمة بينه

وبين الحياة الجديدة بكلّ ما طرأ عليها من مستجدّات على المستوى العقدي والسّياسي والفكري والاجتماعي.

ولابُدّ من الإشارة إلى أنّ ثمّة دراسات سابقة لها علاقة بهذا الموضوع، لكنّها لم تكُن معنيّة ببحث مكامن هذه الخُطب، بل تناولتها بإشارات، ومن هذه الدّراسات: (نثر المرأة من الجاهلية إلى نهاية العصر الأُموي (دراسة وجمع وتحقيق): د. عبد الحي بن علي الحوسني، أدب النساء في الجاهلية والإسلام: د. محمّد بدر معبدي، أدب المرأة منذ ظهور الإسلام حتّى نهاية القرن الأوّل الهجري: عتاب بسيم السّوداني (رسالة ماجستير)، التّصوير الفنّي في خُطب المسيرة الحسينيّة - من مكّة إلى المدينة -: هادي سعدون (رسالة ماجستير)، الخطابة في العصر الأُموي (دراسة موضوعيّة فنّيّة): جاسم حسين التّميمي (رسالة ماجستير).

فضلاً على الدِّراسات التي تناولت نتاجات النساء في ذلك القرن.

ومع ذلك فإنّ هذه الدراسة ما هي إلا امتدادٌ لتلك الدِّراسات، لكنّها تميّزت بتركيزها على تحليل نُصوص هذه الخُطب واستقراء التأثيرات الدينيّة والسياسيّة والاجتماعية وانعكاسها عليها، وكان لابُدّ لي من الرجوع لأجل ذلك إلى عدد من المصادر والمراجع الأدبيّة منها والتأريخيّة التي تناولت خُطب السيدات وترجمة سيرهنّ الذاتية وما رافق ذلك من ظروف وأحداث، وقد أغنتني - على اختلافها وتنوّعها - في تحقيق النّصوص وتوثيقها ثمّ تحليلها، ومن هذه المصادر الأدبيّة:

(البيان والتّبيين للجاحظ (ت٢٥٥هـ)، بلاغات النّساء لابن طيفور

(ت٢٨٠هـ)).

ومن المصادر الحديثة التي أعانتني:

(جمهرة خُطب العرب في عصور العربية الزاهرة لأحمد زكي صفوت، فنّ الخطابة لإبراهيم البدوي، فن الخطابة للدكتور أحمد محمّد الحوفي، أدب النساء في الجاهليّة والإسلام للدكتور محمّد بدر معبدي).

وأمّا المصادر التأريخيّة فتمثّلت بـ:

تاريخ الطبري (ت٣١٠هـ)، السقيفة وفدك لأبي بكر الجوهري (ت٣٢٣هـ)، الاحتجاج للطبرسي (ت٥٢٠هـ)، مقتل الإمام الحسين للخوارزمي (ت٥٦٨هـ).

ومن الطبيعي أن تعترض البحث كثيرٌ من المعوّقات، لعلّ في مقدّمتها توثيق نُصوص اختلف الرواة في نقلها، وتفرّقت على اختلاف ألفاظها في كتب الأدب والتأريخ، وطول مُدّة جمعها التي حدّها طول مدّة البحث، ولكنّي بفضل الله استطعتُ أن أخُطّ منهجاً لتجنُّب وتجاوز مشاكل عديدة، وقد قامت دراستي على ثلاثة فصول سبقت بمقدّمة وتمهيد، وانتهت بخاتمة تبعها مُلحق توثيقي لنُصوص الخُطب.

وبما أنّ موضوع البحث مُتعلّق بفنّ الخطابة، ومُختصٌّ بخُطب سيّدات البيت النبوي، لذا تضمن التمهيد:

- أثر المرأة في رُقي الخطابة العربيّة.

- ترجمة أعلام خطيبات البيت النبوي.

- درست في الفصل الأول مضامين الخُطب بثلاثة مباحث؛ تناولت في

أوّلها المضامين الدّينيّة، وفي الثاني المضامين السياسيّة، أمّا الثالث فكان عن المضامين الاجتماعيّة.

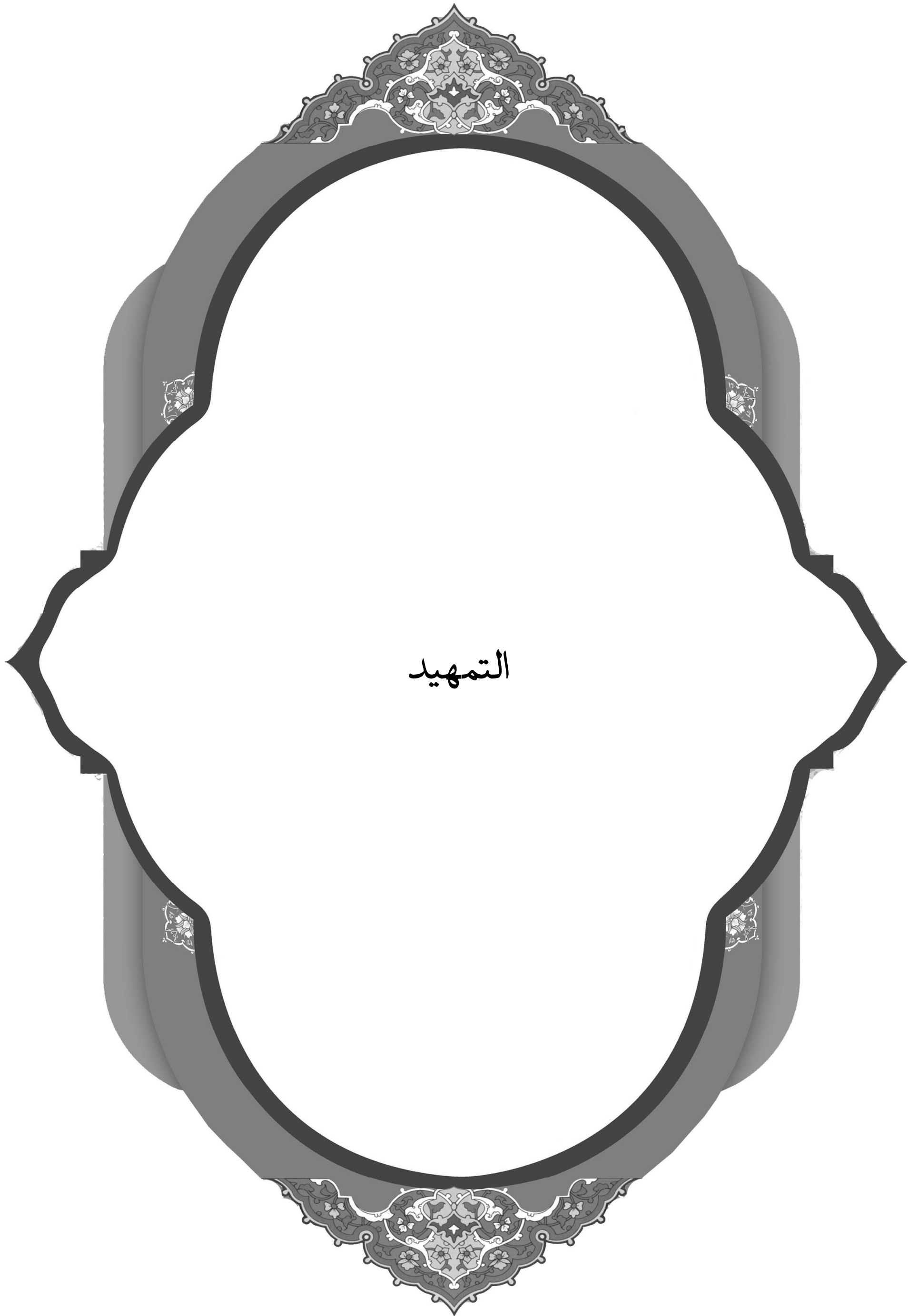
- أما الفصل الثاني فقد تضمن دراسة (لِلُغة نُصوص هذه الخطب) في ثلاثة مباحث؛ الأوّل منها في الألفاظ، والثاني في التراكيب، على حين عني الثالث بدراسة أساليب بناء العبارة وأداء المعنى في الخُطب.

- ودرس الفصل الثالث البناء الفنّي لهذه الخُطب في مباحث ثلاثة أيضاً؛ ركّز الأوّل منها على بناء الخُطبة، وتناول الثاني بناء الصورة البيانيّة، وعُني الأخير بالبِنية الإيقاعيّة لخُطب السيّدات.

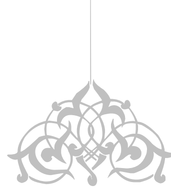
وبعد ذلك خُتمت الرِّسالة بالاستنتاجات المُتأتّية من رحلتي الطويلة في هذا البحث، الذي توخّيت فيه الوضوح والإبانة والإخلاص في إجلاء سمات وخصائص ما درست.

وأخيراً فإنّي لا أدّعي كمال هذا البحث، فهذا ما لا سبيل إليه لأنّ الكمال لله وحده، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحثة



التمهيد



أولاً: أثر المرأة في رُقي الخطابة العربيّة

لا يخفى أنّ للمرأة العربيّة خصوصيّة تختلف عن غيرها، إذ «كان لها حظّ في المجتمع العربي القديم أفضل بكثير من حظّها في مجتمعات الفرس أو الرومان أو اليونان»[١]، وبذلك استطاعت أن تجعل لوجودها وحركتها تميّزاً فاق ما كانت عليه المرأة في مجتمعات وأُمم أُخرى.

ففي الهند كان يُنظر لها بأنّها «دورة للروح في حياة شرّيرة»[٢]، وعند الإغريق والرومان كانت «تابعة للرجل ومجرد ظل له، فهو يُسيطر عليها فلا تملك من أمرها شيئاً وتُعطيه هذه السيطرة كافة الحقوق عليها حتّى حق الحياة والموت وحق بيعها بيع الرقيق»[٣].

وأمّا عند الفرس فقد كانت محتقرة الجانب في البيت وخارجه و«كان من حق الرجل أن يحكم على النساء بالموت إذا غضب»[٤]، وفي الدِّيانة المسيحيَّة

(١) المرأة في الشعر الجاهلي: ١٨ - ٦٥ - ٥٤٩ - ٥٥٤.

(٢) المرجع في الحضارة العربيّة الإسلاميّة: ٤١٠.

(٣) عصر النبوّة: ٢٠١.

(٤) المرأة وحقوق الإنسان: ٢١.

كان يُنظر لها على أنّها فخ نصبه الشيطان للرجل[١].

ولذا فإنَّ التأريخ لم يأتِ على «ذكر أسماء نساء اشتهرن بالخطابة في العهد اليوناني أو الروماني، ولعلّ ذلك يرجع إلى أحد أمرين: إمّا لأنّ المرأة عموماً لم يكن لها عندهم ذلك الشأن الذي يُؤهلها للكلام والخطابة في المجتمعات العامَّة وبين الناس كي تُعرف وتُشتهر، وإمّا لأنّه لم تبرع من النساء واحدة لتستحق نقل اسمها في كتب التاريخ»[٢].

ومهما كانت الأسباب، فالنتيجة هي أنّ المرأة اليونانيّة والرومانيّة لم تكن تعرف فن الخطابة، ولو فرضنا أنّ هناك خطيبة واحدة أو اثنتين فإنَ ذلك لا يُشكّل ظاهرة في خطابة المرأة في اليونان أو الرومان، ويُؤيّد ذلك ما ورد في كتاب الخطب والمواعظ في أثناء الحديث عن خطابة المرأة الغربية: «ولن نُلقي القول هنا جُزافاً بغير دليل، فلو رجعت إلى ما دُوِّن لنا من خُطب اليونان والرومان لم تكد تظفر باسم أُنثى واحدة بين ذلك العدد العديد من الرِّجال، ولو رجعت إلى أيّ كتاب في تاريخ الأدب الفرنسي من نشأته المعروفة حتّى عصرنا هذا فلن تظفر باسم امرأة واحدة بين عشرات الأسماء من الرِّجال الخُطباء من عهد "بودان" و"سان فرانسوادي سال" إلى عهد "جون فافر" و"لاكورديو" و"غامبتا" و"ديدون".. ولن ترجع من البحث بجدوى حين تُفتّش في تأريخ الأدب الإنكليزي عن خطيبة واحدة إلا ما يُصادِفُك من أسماء بعض المُتحدّثات أو المُتكلّمات في العصر الحديث» [٣].

---

(١) ظ: المرجع في الحضارة العربيّة الإسلاميّة: ٤١٠.

(٢) فن الخطابة: إبراهيم البدوي: ٥٦.

(٣) الخطب والمواعظ: ٣٦.

وأمّا عند العرب فإن للمرأة من الشأن والقدر ما أتاح لها فُرصة المُشاركة في أكثر من مفصل من مفاصل الحياة، وكان ممّا تركته من تُراثٍ أدبي أثرى كُتُبَ الأدب، ولم تغفله كُتُبُ التأريخ.

ولذا احتفظ أدبها بأهم معالمه ومزاياه وخصائصه واتجاهاته - على الرغم من تنوّع فنونه - وما ذلك إلا لامتلاك المرأة قُدرات خاصّة وحيويّة، تمثّلت فيما منحها الله من الرِّقة والعذوبة، والاستجابة السريعة للمؤثرات العاطفيّة والوجدانيَّة، لذا جاء أدبها معبّراً عن معنىً من معاني الحياة، ويجلو صورة من صورها بأسلوب له عذوبة أُخرى، وألفاظ دالّة، فأثار بمعانيه المُتلقّين ونال إعجابهم.

وما يعنينا من أدبها هنا فنّ الخطابة الذي يُعدّ من «فنون النثر، ولون من ألوانه، وهو فنّ مُخاطبة الجمهور، الذي يعتمد على الإقناع والاستمالة والتأثير، فهي كلام بليغ في جمع من الناس لإقناعهم برأي، أو استمالتهم إلى مبدأ، أو توجيههم إلى ما فيه الخير لهم في دُنيا أو آخرة»[1].

إذ تركت لنا المرأة نتاجاً لا يُتغاضى عنه، وهذا بدهيّ، كون الخطابة ضرورة من ضرورات مجتمعهم.

لذا نجد لها نُصوصاً من الخطب استطاعت أن تشغل مساحة لا يُستهان بها إلى جانب خُطب الرجال من العرب منذ عصر ما قبل الإسلام وما بعده.

---

(١) دراسات في الأدب الجاهلي وصدر الإسلام: ١٣٧، ظ: النثر الفني بين العصر الجاهلي وصدر الإسلام: ٢٦، ظ: في الأدب الجاهلي دراسة ونقد: ١٧٢، ظ: الأدب العربي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام: ١٨٥، ظ: الوسيط في الأدب العربي وتأريخه: ٢٣، ظ: التعريف في الأدب العربي: ١ / ٤٤، ظ: قِصَّة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي: ٢٩٩.

والذي يهمُّنا هو أثر المرأة في تطوّر الخطابة العربيّة، فكما هو واضح أنّ للخطابة العربيّة مكانتها الخاصّة في النفوس، لما تؤدّيه من أثر فعّال في المتلقّين، مما أدّى إلى ظهور جُملة من الخُطباء في كثير من القبائل، ممّا ساعد على تطوّرها، وإعطائها حظّاً مِنَ القُوَّة والنهضة على سائر الفنون النثريَّة الأُخرى.

ولذا باتت الخطابة من «اللوازم سادهم الذين يتكلّمون باسمهم في المواسم والمحافل العظام»(١)، ولذلك نجد نصوصاً من هذا الفن لخطباء وخطيبات من الجاهلية(٢) ومنهنَّ: الشعثاء(٣) وطريفة الخير(٤) والزبراء(٥) والكاهنة السعدية(٦)

(١) الفن ومذاهبه في النثر العربي: ٢٨.

(٢) للاطلاع ظ: البيان والتبيين: ١/ ١٦٢، ١٤٠ ومابعدها، العقد الفريد: ٣ / ٣٠٧ وما بعدها، الأمالي للقالي: ٢ / ٢٢ وما بعدها.

(٣) وهي رِبيبة بني مالك بن غُفَيْلة ذي النحيين، ظ: الأغاني: ٦ / ٣٧٠، ١٣ / ٣٧٠ - ٣٧١، ١٥ / ٣١٣-٣٢٣، ١٧ / ١٧٣، ٢٠ / ٣٦١، البيان والتبيين: ١ / ١٨٨، جمهرة خطب العرب: ١ / ١٠٣، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: ١٩٤، مجمع الأمثال: ١ / ١٣٧.

(٤) وهي خطيبة تتكهن بسيل العرم وخراب سد مأرب وكان زوجها عمرو بن عامر مزيقياء أول من خرج من اليمن في أول تمزيقهم وكان سبب خروجه أن زوجته طريفة الخير قد رأت في منامها أن سحابة غشيت أرضهم فأرعدت وأبرقت ثم صعقت فأحرقت كل من وقعت عليه ففزعت طريفة لذلك فزعاً شديداً وأتت الملك عمراً وهي تقول ما رأيت اليوم أزال عني النوم رأيت غيماً رعد وبرق طويلاً ثم صعق فما وقع على شيء إلا احترق فلما رأى ما داخلها من الفزع سكنها، ظ: جمهرة خطب العرب: ١ / ١٠٥.

(٥) وهي أمة من مولدات العرب تابعة لعجوز من بني رئام من قضاعة تسمى خويلة، جمهرة خطب العرب: ١ / ١١٠ - ١١١.

(٦) وهي الخطيبة الكاهنة التي تنافرت إليها العجفاء بنت علقمة السعدي وصويحباتها من قومها، وذلك عندما خرجن فاتعدن بروضة يتحدثن فيها فوافين بها ليلاً في قمر زاهر وليلة طلقة ساكنة وروضة معشبة خصبة، وكانت الكاهنة السعدية معهن في الحي، ظ: جمهرة ←

وعُفيراء[١] وأُمامة بنت الحارث [٢] والعجفاء بنت علقمة [٣] وهند بنت الخس الإياديّة [٤].

والمتأمّل في خُطب نساء العصر الجاهلي يجد نفسه أمام تطوّر ملحوظ لهذا الفنّ لدى المرأة، إذ «كانت نساء القبائل العربيّة فصيحات الألسن يتكلّمن العربيّة بطلاقة وسلاسة لفتت أنظار السامعين في عدّة مواقف» [٥].

ومثال ذلك ما جاء في خطبة زبراء الكاهنة وهي تُنذر قومها من بني رئام

خطب العرب: ١ / ١١٤.

(١) وهي الخطيبة التي عبرت رؤيا الملك مرثد بن عبد كلال بعد أن عجز عن تفسيرها عدد كبير من الكواهن والكهان وعلى أثرها بعث إليها بمائة ناقة كوماء، ظ: جمهرة خطب العرب: ١ / ١١٥ – ١١٨.

(٢) وهي بنت الحارث بن عوف قيل هي البرصاء والدة شبيب بن البرصاء وقيل اسمها قرصافة كان أبوها أعرابيا جافيا سيد قومه تزوجها ابن عمها يزيد بن جمرة بن عوف ابن أبي حارثة فولدت له الشاعر شبيب بن يزيد وهو المعروف بابن البرصاء، ظ: الإصابة في تمييز الصحابة: ٧ / ٤٩٩، جمهرة خطب العرب: ١ / ١٤٢ – ١٤٥.

(٣) وهي بنت علقمة السعدي من بني سعد وكان علقمة جباناً بخيلاً وذات يوم خرجت العجفاء مع أتراب لها إلى متحدث لهن ليلاً فذكرت كل واحدة إباها وافتخرت به فقالت العجفاء (كلُّ فَتَاةٍ بأَبِيْهَا مُعْجَبَة) ثم ذكرت أباها بخير رغم جبنه وبخله فأصبح قولها مثلاً يضرب فى إعجاب الرجل برهطه وإن كانوا غير أهل لذلك، ظ: المستقصي في أمثال العرب: ٢ / ٢٢٨، جمهرة خطب العرب: /١١٤، شرح كتاب الأمثال: ١ / ٢١٨، كتاب جمهرة الأمثال: ٢ / ١٤٢، مجمع الأمثال: ٢ / ١٣٤.

(٤) هي الخطيبة بنت الخس بن جابر بن قريط الإيادية التي خطبها ثلاثة نفر من قومها وارتضت أنسابهم وجمالهم عمدت إلى سبر عقولهم، ظ: المزهر في علوم اللغة: ٢ / ٤٥٧، جمهرة خطب العرب: ١ / ٦٨ – ٣ / ٣١٧.

(٥) عيون الأخبار: ٤ / ٨.

من قُضاعة: «واللُّوح الخافق [١]، واللَّيل الغاسق [٢]، والصباح الشارق، والنجم الطارق [٣]، والمُزنِ الوادِق [٤]، إنّ شَجَرَ الوادي ليأدو خَتْلاً [٥]، ويُحرقُ أنياباً عُصلاً [٦]، وإنَّ صخرَ الطودِ ليُنذر ثكلاً [٧]، لا تَجدون عنه مَعلا [٨]، فوافقت قوماً أُشارى [٩] سُكارى... مهلاً يا بني الأَعِزَّة، والله إنّي لأشمُّ ذفر [١٠] الرجال تحت الحديد» [١١].

نلحظ أنّ هذه الخُطبة وإن كانت منتمية إلى سجع الكهّان، لكنّها تحوي

(١) اللُّوحُ بالضم الهواء بين السماء والأَرض، لسان العرب: مادة (لوح) ٢ / ٥٨٤.

(٢) غسق: غَسَقُ الليل ظلمته وقيل أَول ظلمته، لسان العرب: مادة (غسق) ١٠ / ٢٨٨.

(٣) الشارق: من شَرَقَت الشمسُ، لسان العرب: مادة (شرق) ١٠ / ١٧٣، والطَّارِق قيل هو النجم وسمي الآتي بالليل طَارِقاً لحاجته إلى دَق الباب، لسان العرب: مادة (طرق) ١٠ / ٢١٥.

(٤) المُزْنُ: السحاب عامةٌ وقيل السحاب ذو الماء واحدته مُزْنةٌ وقيل المُزْنَةُ السحابة البيضاء والجمع مُزْن، لسان العرب: مادة (مزن) ١٣ / ٤٠٦، والوَدْقِ: المطر، لسان العرب: مادة (ودق) ١٠ / ٣٢٧.

(٥) أَدَوْتُ له أدُواً إذا خَتَلْته، لسان العرب: مادة (أدا) ١٤ / ٢٤، وختلاً: من خَتَله يَخْتُله خَتْلاً وخَتَلاناً وخاتَله خدَعه، لسان العرب: مادة (ختل) ١١ / ١٩٩.

(٦) تَحْرُقَ أنيابَها بعضها على بعض أي تحُكّها، لسان العرب: مادة (حرق) ١٠ / ٤١، والعَصَلُ في الناب اعْوجاجُه، لسان العرب: مادة (عصل) ١١ / ٤٤٩.

(٧) الطَّوْدُ: الجبل العظيم، لسان العرب: مادة (طود) ٣ / ٢٧١، والثُّكْل: الموت والهلاك، لسان العرب: مادة (ثكل)١١ / ٨٨.

(٨) المَعْل سَيْرُ النَّجاء والمَعْل السرعةُ، لسان العرب: مادة (معل) ١١ / ٦٢٥.

(٩) الأَشَرُ المَرَح، لسان العرب: مادة (أشر) ٤ / ٢٠.

(١٠) السَّكْرَانُ خلاف الصاحي والسُّكْرُ نقيض الصَّحْو، لسان العرب: مادة (سكر) ٤ /٣٧٢، الذَّفَرُ شِدَّةُ ذَكاء الريح من طِيب أَو نَتْن، لسان العرب: مادة (ذفر) ٤ / ٣٠٦.

(١١) جمهرة خطب العرب: ١ / ١١١، الأمالي: ١ / ١٢٦.

عناصر الخطبة المؤثرة، حتّى ذكرت تحت عنوان خُطب الكاهنات، ونجد فيها أثراً واضحاً للمرأة في قومها، فهم يستمعون لكلامها، فتارةً تُحذّرهم، وأُخرى تُنذرُهُم، كما نُلاحظ مدى تأثيرها الاجتماعي فيهم، ونجد مثالاً آخرفي خُطبة سلمى الهمدانية في حريم المُرادي: «والخفو والوميض[(١)]، والشفق كالإحريض[(٢)]، والقِلّة والحضيض[(٣)]، إنّ حريماً لمنيع الخير[(٤)]، سيّدٌ مزيز[(٥)]، ذو معقل حريز، غير أنّي أرى الحِمّة[(٦)] ستظفر منه بعثرة، بطيئة الجَبْرَة، فاغِر ولا تُنكع[(٧)]»[(٨)].

---

(١) الخفو: خفا البَرْقُ خَفْواً وخُفُوّاً لَمعَ، لسان العرب: مادة (خفا) ١ / ٢٣٤، والوميض: من لَمَعانِ البرْقِ وكلِّ شيءِ صاف، لسان العرب: مادة (ومض) ٧ / ٢٥٢.

(٢) الشَّفَقُ بقية ضوء الشمس وحمرتُها في أَول الليل والشَّفَق النهار، لسان العرب: مادة (شفق) ١٠ / ١٧٩، والإحرِيض هو العُصْفُر وقيل هو الساقط الذي لا خير فيه، لسان العرب: مادة (حرض) ٧/ ١٣٣.

(٣) القُلَّة أَعلى الجبل وقُلَّة كل شيءِ أَعلاه، لسان العرب: مادة (قلة) ١١ / ٥٦٣، والحَضيضُ القرار من الأَرض عند مُنْقَطَع الجبل، لسان العرب: مادة (حضض) ج٧ / ١٣٦.

(٤) المَنِيعُ أَيضاً الممتنعُ والمَنُوع الذي منع غيره، لسان العرب: مادة (منع) ج٨ / ٣٤٣.

(٥) مَزِيزٌ وأَمَزُّ أَي فاضل، لسان العرب: مادة (مزز) ج٥ / ٣٠٧.

(٦) تَحَرَّزْتُ أَي تَوَقَّيْتهُ وأَحْرَزَ الشيءَ فهو مُحْرَز وحَرِيزٌ، لسان العرب: مادة (حرز) ٥ / ٣٣٣، وحمه أي قَدَرُهُ وموتُه وَحَّمَ حَمَّهُ قَصَدَ قَصْدَه، لسان العرب: مادة (حمم) ١٢ / ١٥٠.

(٧) ظَفِرَهُ ظَفَراً مثل لَحِقَ به ولَحِقَهُ فهو ظَفِرٌ، لسان العرب: مادة (ظفر) ٤ / ٥١٧، والعَثْرةُ الزلّةُ ويقال عَثَرَ به فرسُهُ فسقط، لسان العرب: مادة (عثر) ٤ / ٥٣٩، والجبرة من جَبرالعظم بعد كسره، لسان العرب: مادة (جبر) ٤ / ١١٣، والفاغِرُ دُوَيْبَّة أَبرق الأَنف يَلْكَعُ الناسَ صفة غالبة كالغارِب ودُوَيْبَّة لا تزال فاغِرة فاها، لسان العرب: مادة (فغر) ٥ / ٥٩، ومعنى تُنْكَع أُي لاتمنع، لسان العرب: مادة (نكع) ٨ / ٣٦٣.

(٨) الأمالي، ٢ / ١٢٣، جمهرة خطب العرب: ١ / ١١٣.

فعلى أثرها استرشد عمرو بن براقة، فقد بلغ من تأثير رأيها فيه أنّه أغار على حريم المُرادي وقاتله واستاق كلّ شيء له، وكان كلّ شيء يسير على وفق توجيهات الخطيبة وإرشاداتها، وهذا يدلُّ على المكانة التي حققّتها المرأة في عصر الجاهليَّة، حتّى أخذ بعض الملوك ينزلون عند رأيها ومشورتها، كما بدا واضحاً من استرشاد عمرو بن براقة بالخطيبة، كلّ ذلك حدا بالمرأة أن تأخذ مكانتها، وتُطوّر إمكاناتها وقُدراتها ومنها الأدبيّة، وهذا ما نُلاحظه في خُطبهنّ[1] التي كان لبعضها قيمته الأدبيّة والتأريخيّة والعلميّة.

وهذه القيم التي توافرت عليها خُطب بعض نساء العصر الجاهلي تَدْحَضُ الرأي القائل: بأنه «على الرغم من كثرة الخطباء في الجاهلية، لم نرَ خطيباً من النساء» [2]، إذ إنّ هذا الرأي يُعوّل على التقاليد الاجتماعيَّة والأعراف القبليَّة على أنّها لم تكن لتسمح للمرأة أن تخرج وسط الرجال وتخطب فيهم، فالقتال ورئاسة القبيلة وفض المُنازعات كانت في أيديهم.

وهذا القول يُمكن المناقشة فيه، فالمرأة في عصر الجاهلية لم تكن بعيدة عن واقع الحياة التي يعيشها الرجل، بل كانت في خضمّها، إذ شاركته في مجالات عدّة، ومنها الأدبيّة وخاصّة الخطابة كونها تُعبّر عن حاجاتهم المُختلفة، فقد اشترك فيها الرجل والمرأة على حدٍّ سواء، ولذا خلّفت لنا هذه المرحلة نصوصاً ذات أهمية، إذ إنّها وقفت وخطبت، ممّا أدّى إلى ظهور عدد من الخطيبات المفوّهات كما ذكرنا، و«ما ذلك إلا لتوفّر الظروف المساعدة على نموّ مواهبها واستعداداتها الفطريَّة، ولأنّ الفُرص كانت مُواتية لبروزها في

---

(١) ظ: جمهرة خُطب العرب: ١ / ١٠٣ - ١١٥.

(٢) نثر المرأة من الجاهلية إلى نهاية العصر الأُموي: ١ / ٣٤.

الميادين المُختلفة، وربُّما ساعدها الرجل في حالاتٍ نادرةٍ كهذه، فأخذ بيدها لترتفع إلى المستوى العالي الذي وصلت إليه»[(١)]، وخيرُ دليلٍ ما وصل إلينا من نصوص لها في ذلك العصر.

وما ذهب إليه الدكتور أحمد الحوفي من أنّ خطب النساء «لم تتجاوز المواقف الطارئة التي كانت شذوذاً عن القاعدة، وربّما روي عن بعضهنّ من قبيل الوضع والدِّعاية السياسيَّة، أو كان تضخيماً لحديث ألقته امرأة»[(٢)]، فيه أكثر من مجالٍ للنقاش، فهو لا يصمد أمام ما وجد من نتاج للمرأة في هذا الفَن في العصر الجاهلي والعصور التالية، الذي حفلت به كُتُبُ الأدب والتأريخ.

فإزاء قوله يقودنا البحث إلى:

١ - إذا كانت خُطب المرأة لم تتجاوز المواقف الطارئة، فهي عموماً خُطب لا يُمكن إنكارها سواء أُلقيت في ظروف استثنائية أم طبيعية، ثمّ أنّ الغالب على خُطب العرب أنّها تُلقى في الظروف الطارئة والمواقف السريعة، بل كانت جلّ خطبهم إن لم تكن كلّها مرتجلة أو قريبة من الارتجال، ولاسيّما خطب الحرب وفض المنازعات وما إلى ذلك، وعلى هذا فخُطب النساء ليست شذوذاً عن القاعدة، كونها جارت المواقف التي كان خُطباء العرب يلقون خطبهم على وفقها.

٢ - ليس هناك ما يُستدلُّ عليه من أنّ ما روي عنهنّ من قبيل الوضع

(١) المرأة في أدب العصر العباسي: ١٧ - ١٨.

(٢) فن الخطابة: د. أحمد محمّد الحوفي: ٢٢٢.

والدعاية السياسية، وإنّما وجود مثل هذا النتاج الذي ورد عنهنّ في عصر الجاهلية كما مرّ آنفاً، دليل على وجود خطيبات مُبدعات، وأمّا قضية الوضع فلم تُلحق بنتاج المرأة فحسب، بل شملت عموم الخطب الجاهلية، فهناك دراسة أشارت إلى الشك في صحّتها، بل ذهبت إلى إنكارها [١]، بينما دراسة أُخرى دعت إلى أنّ اتّهام نصوصها لا ينتهي بنا إلى إنكارها على الجاهليين[٢]، ذلك أنّ كلّ شيء عندهم يُؤهّل لهذا الازدهار، وعلى هذا فإنّ قضيّة الوضع لخطب النساء مرفوضة، ولو جرت لجرت على عُموم خُطب العرب، إذ لا يُمكن التسليم بأنّ كلّ ما وردنا من نصوص خطب جاهلية تكون موضوعة.

٣- قوله إنّ ما (ألقته تضخيماً لحديث) فإنّه لا يُعوّل عليه إلى الدّرجة التي يذهب فيها إلى إنكار وجود خطيبات، ولعلّ ما دفعه إلى قول ذلك هو أنّ الآداب العالمية لم تعرف إلا قلّة من النساء اللائي برعْنَ في الشعر والكتابة وعامّة الفنون إلا الخطابة فإنّها لم تُعرف مُجلجِلة صوتها على المنبر، كما هو الحال في تفوّقها في الشعر، وهنا نقول إنّ هذا لا ينطبق على المرأة العربيّة؛ إذ إنها تألّقت في سماء الخطابة لما تمتّعت به من حظوة تميّزت بها عن غيرها كما ذكرنا في البدء، ثُمَّ إنّه يذهب في كتابه (المرأة في الشعر الجاهلي) إلى أنّ حظّها يختلف عن غيرها [٣].

---

(١) ظ: من تاريخ الأدب العربي، النثر الجاهلي، المجلد الثاني - العصر العباسي الأول - القرن الثاني: ٢ / ٤١٩ - ٤٢٠.

(٢) ظ: العصر الجاهلي: ٤١٠.

(٣) ظ: المرأة في الشعر الجاهلي: ١٨ - ٦٥ - ٥٤٩ - ٥٥٤.

ولذلك فهي لا تُقاس بغيرها من النساء، ولكن يبدو واضحاً أنّه يصرّ على أنّ المرأة ليست بخطيبة لا في عصر الجاهلية ولا في العصور التي تلتها وحتّى يومنا هذا «أمّا العصر الحديث فقد عرف بضع نساء عربيّات اشتهرن بمواقف شبه خطابية في المحافل و... لكنّ هؤلاء جميعاً - على براعتهنّ - لم تبلغ إحداهُنّ الدَّرَجة التي تُسوِّي بينها وبين أحد من الرِّجال الخطباء الكبار، ولعلّني لا أعدو الحقّ إذا ما سلكتهنّ في عداد المحاضرات البارعات، أو المُتحدّثات اللّبقات، لا في عداد الخُطباء الأفذاذ»[١]، وهذا القول فيه كلام، ويُفنده ما وجِدَ من تُراثٍ أدبيٍّ زخرت به كُتُب الأدب ولاسيّما نصوص خطب النساء، وما ذكرناه على قلّته وما سيتكفّل البحث ببيانه لاحقاً من عرض لنصوص خطابية كافٍ لاستيفاء الرَّد على ما يقوله الحوفي، إذ إنّنا أمام عطاءٍ لا يُمكنُنا أن نخلّفه وراء ظهورنا أو نتركه جانباً، ذلك أنّ التأريخ حملها قروناً بعد قرون من دون أن يعدم تلك الومضات التي أثرت الأدب العربي، وحين أطلّ الإسلام و«أسفر نوره فافترّ ثغر الدَّهر لنساء العرب عن جوٍّ مُشرق، وأمل بعيد، وأسلوب من الحياة جديد، فبعد أن كان للمرأة العربيّة في عهد جاهليّتها فضائلُها المكسوبة، ومواهبُها الموروثة، وحقوقُها التي تمّ لها بعضها، وسلب الجهل وسوء النظام بقيتها، فأما وقد رسخت أُصول الإسلام، وورِفَت ظلاله، وخفقت على الخافقين أعلامه، ونعِمت هي تحت ظِلّه بوثوق الإيمان» [٢].

وبذلك انتقلت المرأة إلى مرحلة جديدة في حياها تميّزت عن سابقتها

(١) فن الخطابة: ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٢) المرأة العربيّة في ظلال الإسلام: ١٥.

ولاسيّما في مجال الخطابة، إذ برزت خطيبة يُشار إليها بالبنان، فقد استطاعت «أن تثبت وجودها في المعترك الخطابي دون فرق في ذلك بين المرأة المسلمة وسواها، بل ربّما كانت المرأة المُسلمة أكثر تقدُّماً في هذا المضمار»(١)، إذ خرجت إلى ميدان الخطابة من دون أن يُعيقها حجابها، أو يُقيّدها إسلامها، بل كان ذلك دافعاً لخروجها خطيبةً سجّلت بخطبها مواقف لها أثرها ومواقعها، سيّما أنّ مُجريات الحياة تغيّرت، والأحداث تحوّلت.

لذا استطاعت المرأة أن تُحقّق نجاحاً كبيراً في هذا الفنّ وبصورة عملية، فجاءت خطبها غايةً في الدِّقّة من حيث العُمْق الدِّلالي والبلاغي، وهذا بدهيّ كونها كانت «معنية بالخطابة قبل الإسلام وبعده، ويتّضح ذلك من خلال المرحلة الأولى للدعوة الإسلاميّة»(٢)، فإنّنا نجد نصوص خطبٍ لنساء هذه المرحلة قد تضمّنت أحداثاً سياسيّة وتحوّلات اجتماعيّة ومُرتكزات دينيّة بشكلٍ دقيق، ومن خلال تأمّلي بعض خُطب نساء تلك الحقبة ألحظ أنّها كانت تُعبّر عن رأيها، وتعرض ما يختلج في صدرها من أفكار وتطلّعات، وتُدافع عن قضايا وتقوّي دفاعها بأدلّة وبراهين، وتلجأ إلى المنطق في بعض الحالات، وممّا يُلاحظ أيضاً استعمالها للمصطلحات الإسلاميّة الجديدة، والمعاني الراقية التي اكتسبت من الدِّين السمح، ولا يفوتنا أن نذكر أثر القرآن الواضح على خطبهنّ، والثورة الروحية التي قادها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في اللّغة والأدب، وهذا ما نلمسه واضحاً في خُطبة الخنساء بنت عمرو السلمي مثلاً، حين خرجت تُدافع عن العقيدة وتُجاهد في سبيل الله

(١) فنّ الخطابة: ٦٧.

(٢) أثرالمرأة في الحياة الإسلامية حتّى نهاية العصر الراشدي (رسالة ماجستير): ١٢٨.

«يا بَنيّ إنّكم أسلمتم طائعين، وهاجرتُم مُختارين، ووالله الذي لا إله غيره، إنّكم لبنو رَجُلٍ واحد، كما أنّكم بنو امرأة واحدة، ما خُنت أباكم، ولا فضحتُ خالكم، وقد تعلمون ما أعدّ الله للمسلمين من الثواب العظيم في حرب الكافرين، واعلموا أنّ الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله عزّ وجلّ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، فإذا أصبحتم غداً فاغدوا إلى قتال عدوّكم مستبصرين، ولله على أعدائه مُستنصرين»[١].

فهنا نلحظ الخطيبة تركز على خصلتي الصبر والثبات بعبارات قويَّة مؤثّرة، مُقتبسة من آي الذكر الحكيم في خطبتها على وفق ما يتناسب وموضوع الخُطبة، ممّا جعل الاقتباس مؤثّراً فيها، وفي المضمون جمال المعاني ظاهرٌ، وحسن الانتقاء في الكلمات واضحٌ، والبُعد عن الغرابة والتكلُّف بادٍ عليها، ولذلك وفّقت في التأثير بحُسن البلاغة، ودِقَّة الإيجاز، وطلاوة المعنى.

وإذا تتبّعنا نصوص خُطب النساء في هذا العصر نجد وفرة في استعمال الفنون البلاغيّة من استعارات وكنايات وتشبيهات، وانتقاء المُفردات السهلة اللَّفظ، العميقة الدِّلالة، البعيدة عن الصّنعة والتكلّف، وهذا ما كان غالباً في عُموم ذلك العصر، كون الخطيب كان يعيش في كنف الفصاحة ومنبع البلاغة في ظلّ مدرسة القرآن ونبي الإسلام وأهل بيته عليهم السلام الذين عرفوا بكونهم أبلغ الخطباء.

ولذلك نرى خطيبات مُبدعات في هذه الحقبة لا يُمكن التغاضي عن

(١) جمهرة خطب العرب: ١ /٢٣١، والآية من سورة آل عمران / ٢٠٠.

نصوصهنّ أو عن إظهار أسمائهنّ، لما اتّصفت به تلك النصوص من تمثّل للنمطيَّة الجديدة التي جاءت في خُطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، فضلاً عن استحكام الجُرأة الأدبيّة في مجال الخطابة التي أبرزت قدرتهنّ من خلال تعبيرهنّ عن المواقف الصعبة التي واجهت أُمّة الإسلام وقتذاك، وذلك نتيجة الصراع المحتدم بين السيف والبيان، وهناك سبب رئيس لا يُمكن تغافله لما له من أثر كبير في إظهار بعض الشخصيات النسوية المحاربة الموالية لعليّ عليه السلام، وقد امتازت الأديبات الشيعيّات، فضلاً عن جرأتهنّ وبلائهنّ في سبيل العقيدة بمقدرة خطابية لعلّها كانت ثمرة ضرورية من ثمار ذلك العهد [(١)].

وامتازت خطب أولئك النسوة - كما هو واضح من خلال الاطلاع عليها - [(٢)] بأسلوب حاول أن يُفيدَ من القرآن الكريم من حيث الدِّقّة والوضوح والسّمو في المضمون، وكذلك أفدْنَ من المنهج المنطقي في الكلام، والاحتجاج بالأدلّة والبراهين، والاطراد في الإتيان بالأحكام الشرعية، والاقتباس من القرآن الكريم على وفق ما يناسب الخطبة من حيث المضمون، حتّى جاءت اقتباساتهنّ مُتناسقة مع الخطب، وهذا ما أكسبها روعة واضحة، ممّا أدّى إلى أن تتحول هذه الخطب إلى عطاءات مثمرة وداعية للتأمّل، ومثال

(١) ظ: أدب النساء في الجاهلية والإسلام: ١٢٠ - ١٥٣.

(٢) ظ: صبح الأعشى: ١ / ٣٠٠ – ٣٠١، وظ: جمهرة خطب العرب: ١ / ٣٦٨ - ٣٦٩، خطبة عكرشة بنت الأطرش، وظ: صُبح الأعشى: ١ / ٢٩٦، وجمهرة خطب العرب: ١ / ٣٦٩، خطبة أمّ الخير بنت الحريش، وظ: صبح الأعشى: ١ / ٢٩٩، والمستطرف: ١ / ٤٠٩ – ٤١٠، وجمهرة خطب العرب: ١ / ٣٧٣، خطب الزرقاء بنت عدي الهمدانية وظ: المستطرف: ١ / ١٦٩ وجمهرة خطب العرب: ١ / ٣٦٨، خطبة سفانة بنت حاتم.

ذلك خطبة أمّ الخير بنت الحريش التي ابتدأتها بقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (١)، إنّ الله قد أوضح الحق، وأبان الدليل، وبين السبيل، ورفع العلم، فلم يَدَعكم في عمياءَ مُدلهمة، فإين تُريدون رحمكم الله؟ أفراراً عن أمير المؤمنين أم فراراً من المؤمنين أم فراراً من الزحف أم رغبةً عن الإسلام أم ارتداداً عن الحق؟»(٢)، لتقنع خصمها بالحُجّة والبُرهان، ومن يتأمل في هذه الخُطبة لا يعدو ملاحظة ما كانت تتمتّع به الخطيبة من دِقّة في انتقاء الألفاظ، ومنها (الحق، أبان، العلم، مُدلهمة، رغبةً).

أمّا لو أخذنا خطبة عكرشة بنت الأطرش لوجدنا وفرة الاقتباسات التي وظفتها الخطيبة لمُحاججة خصومها، وأيضاً استعمالها لأسلوب النداء بالحرف (يا) وبعده التوكيد بالحرف إنّ من أجل تحفيز القوم، ومن ثمّ إتيانها بالاستعارات اللّطيفة «يا أيُّها النَّاس عليكم أنفسكم لا يضرّكم من ضلّ إذا اهتديتم، إنّ الجنّة دار لا يرحل عنها من قطنها، ولا يحزن من سكنها، فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ولا تنصرم همومها، كونوا قوماً مُستبصرين، إنّ معاوية دلفَ إليكم بعُجم غُلف القلوب لا يفقهون الإيمان» (٣).

ونُطالع القوّة في التأثير في الجمهور من خلال أسلوب خطبة الزرقاء بنت

(١) سورة الحج / ١.

(٢) جمهرة خطب العرب: ١ / ١٩٣ - ١٩٦، العقد الفريد: ١ / ١٣٢، نهاية الإرب: ٧ / ٢٤١، صبح الأعشى: ١ / ٢٩٧.

(٣) جمهرة خطب العرب: ١ / ٣٦٩ - ٣٧١، العقد الفريد: ٢ / ١٣١، صبح الأعشى: ١ / ٣٠٠-٣٠١.

عدي «أيها الناس ارعووا وارجعوا إنكم أصبحتم في فتنة غشتكم جلابيب الظلم وجارت بكم عن قصد المحجة فيا لها فتنة عمياء صماء بكماء لا تسمع لناعقها ولا تسلس لقائدها. إن المصباح لا يضيء في الشمس، والكواكب لا تنير مع القمر ولا يقطع الحديد إلا الحديد ألا من استرشد أرشدناه ومن سألنا أخبرناه، أيها الناس إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها، فصبراً يا معاشر المهاجرين والأنصار على الغصص فكأن قد اندمل شعب الشتات والتأمت كلمة التقوى ودمغ الحق باطله فلا يجهلن أحد فيقول كيف العدل وأنى ليقضي الله أمرا كان مفعولا ألا وإن خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء ولهذا اليوم ما بعده والصبر خير في عواقب الأمور إيها لحرب قدما غير ناكصين ولا متشاكسين»[1]، التي اعتمدت فيها على إيراد الحُجج والبراهين.

وخُلاصة القول؛ إنّ خطب النساء في ذلك العصر تميّزت بطلاوة الألفاظ، ووضوح العبارة، وتناسق الجُمل، وكثرة إيراد الأدلّة العقليّة والنقليّة، فضلاً على اختيار الأُسلوب المُعبّر والموصل إلى الهدف المنشود، من خلال عرض الخطبة، وهذا ما يدلّ على مدى قوّة نثرهنّ في هذه المرحلة المتأثر بأسلوب القرآن والبلاغة العربيّة، ففي العصر الأُموي تطالعنا أسماء كثيرٍ من النساء الخطيبات اللائي تميّزن بأسلوب بعيد عن الصّنعة والتكلُّف، فكشف عن قُدرة خطابية كبيرة، جاءت نتيجة تطور أُسلوب الجدل والمناقشة، ومحاكاة الأسلوب القرآني، ونقف عند خطبة سودة بنت عمارة «إنّك أصبحت للناس سيّداً، ولأمورهم مُتقلّداً، والله سائلك عن أمرنا وما افترض

(١) جمهرة خُطب العرب: ١ / ٣٦٨، العقد الفريد: ١ / ١٣٠، صبح الأعشى: ١ / ٢٩٩ - ٣٠٠.

عليك من حقّنا، ولا تزال تُقدّم علينا من ينهض بعزّك، ويبسط سلطانك، فيحصدنا حصاد السُنبل، ويدوسنا دياس البقر، ويسومنا الخسيسة، ويسلبنا الجليلة، هذا ابن أرطأة قدم بلادي»[١]، فهي تستعمل العبارات الرصينة بنزعة جديدة من خلال الكلمات القويَّة المتمثلة بـ(سيدا، مُتقلّداً، افترض، سلطانك، الجليلة) واللّغة السهلة المُتّفقة بقوّة تُؤهّلها للدفاع عن عقيدتها وإعلاء كلمة الحق حينما تقول (والله سائلك عن أمرنا وما افترض عليك من حقّنا).

وفي خُطبة أروى بنت الحارث نجد من الاقتباسات القرآنية ما يُقوّي رأيها، ويسند حججها، وقد ضمّنتها أبياتاً من الشعر، ومنها:

«يا ابن أخي، لقد كفرت يدَ النعمة، وأسأت لابن عمّك الصُّحبة، وتسمّيت بغير اسمك، وأخذت غير حقّك، من غير بلاءٍ كان منك ولا من آبائك، و... إنّ أُمَّك لَلقائلة يوم أُحُد في قتل حمزة رحمه الله:

نحن جزيناكم بيوم بدرِ ... والحربُ بعد الحرب ذاتُ سُعْرِ»[٢]

وكان لخطبتها هذه صدى وشهرة، إذ على الرغم من شتائمها فيها لمعاوية إلا أنَها «قد سحرته ببلاغتها وقوّة منطقها، ووفرة التضمين من القرآن الكريم والشعر العربي الجيد، وأمر لها بستّة آلاف دينار» [٣].

وهكذا لو استعرضنا نُصوص خُطب النساء، لوجدنا أنّها في غاية من التأثير في الجمهور المُتلقّي من حيث سلاسة اللَّفظ ومتانة الأسلوب وبلاغة

(١) جمهرة خطب العرب: ٢ / ٣٧٥، بلاغات النساء: ٣٥، العقد الفريد: ١ / ١٢٩.

(٢) ظ: بلاغات النساء: ٣٢، العقد الفريد: ١ / ١٣٤، جمهرة خُطب العرب: ٢/٣٨١-٣٨٢.

(٣) أدب النساء في الجاهلية والإسلام / النثر: ١٣٩.

التعبير، زيادة على ذلك إيثار الترسل أو ازدواج الجُمل في بعض الأحيان، وما ذلك إلا لما كان لهنّ من ملكة في فصاحة اللِّسان، وجمال البيان، والقدرة على امتلاك القلوب والأسماع بالكلام البليغ المؤثر.

ولو أردنا أن نُقارن بلمحة خاطفة بين المرأة الخطيبة في عصر الجاهلية، ونظيرتها في عصر صدر الإسلام والعصر الأُموي، لوجدنا أنّ المرأة في الجاهلية تهيّأ لها الظرف لأن تكون خطيبة وتبرز في هذا المجال فضلاً عن المجالات الأُخرى، لكنّها في عصر الإسلام أُتيح لها المجال بشكلٍ كبير، وتمتّعت بمكانة وحظوة أكثر من ذي قبل، حتّى أنّ تُراثها حفظ أكثره، بخلاف نتاج نظيرتها في الجاهليّة، إذ ضاع أغلبه وأُهمل بسبب عدم الحفظ وقلّة التدوين، إن لم يكن معدوماً، ومع ذلك نجد أنّ هناك نُصوصاً للمرأة في كتب التاريخ والأدب.

وهذه النصوص التي استعرضناها كشفت عن خصائص وصفات أظهرت واقع عصر ما قبل الإسلام، من حيث التأثّر بمكامن البلاغة، ومحاسن الفصاحة، والتضمين للحكم والأقوال المأثورة، والاستشهاد بالشّعر، والتكلّف في بعض الأحيان ولاسيّما الكاهنات اللائي كُنّ يملن إلى الصّنعة والتكلُّف في خطبهنّ [1].

أمّا خُطب النساء في العصر الإسلامي فهي وإن تميّزت عن خطب الجاهلية إلا أنّها امتداد لها، فهي بحقٍّ أنضجُ منها، وقد جاءت بحلّة جديدة من التضمين للمعاني الإسلاميّة، وحذوها للأسلوب القرآني الذي أعجز وأبهرَ فُصحاءَ العرب، فضلاً عن الاقتباس، ثمّ صدور هذه الخطب من أفواه بدأت

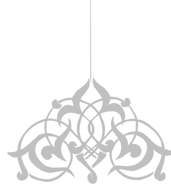
---

(١) ظ: جمهرة خطب العرب: ١ / ١٠٣ - ١١٥، (خطب الكواهن).

بعقولها إلى الحجج، وإيراد البراهين لإقناع الخصم، والخوص في المنطق، كلّ ذلك ولّد أرضاً خصبة لنمو فنّ الخطابة عند المرأة وازدهاره، حتّى أنّها تألّقت فيه، فأخذت المُبدعة مِنهُنّ تقتحم الميادين إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك وتوجه خطابها بأساليب مختلفة.

ومهما قلت عن خُطب المرأة منذ العصر الجاهلي وحتى العصور التالية، فالنتيجة أنّ لها أثراً واضحاً في تطوّر الخطابة العربيّة ونموّها، ومن ثمّ ازدهارها، ومن يرى خلاف ذلك فإنّه بلا شكّ قد وقع في توهّم، أو أنّه فاتته مُطالعة كثير من النُصوص، أو لعلّه اعتمد ما كرّرته بعض الكُتُب التي اعتمدت نماذج معيّنة، ممّا ولّد إهمالاً لنصوص كثيرة من نتاجات المرأة.

وخلاصة القول؛ إنّ المرأة العربيّة أثْرَت الخطابة بنصوصٍ تستحقّ التّوقُّف عندها، والتأمُّل في دراستها، وهذا ما سيتكفّل به البحث - إن شاء الله -.



ثانياً: تراجم أعلام خطيبات البيت النبوي اللائي وردت أسماؤهنّ في هذا البحث

١- السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

اختُلِفَ في سنة ولادتها [١] ولكن أرجح الروايات وأشهرها ذهبت إلى أنّها ولدت في جمادى الآخرة يوم العشرين منه سنة خمس وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم [٢].

وهكذا تكون الزهراء عليها السلام قد نشأت في بيت كان مهبط وحي الله ومحطّ رسالته.

وكان لنشأتها في هذا البيت الذي عُدّ من أشرف البيوت وأرفعها شأناً عند أهل الأرض والسماء الأثر الواضح في تجسّد الأبعاد المعرفية والعلميّة والفكرية والأخلاقية في شخصيتها.

---

(١) قيل إنّها ولدت وقريش تبني البيت، وذلك قبل أن نُبّئ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخمس سنين وهو ابن خمس وثلاثين سنة وفي ذلك ظ: تاريخ الأمم والملوك: ١ / ٥٢٣، ومنهم من قال إنّها ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان مولدها قبل البعثة بقليل، ظ: الإصابة في تمييز الصحابة: ٨ / ٥٤.

(٢) ظ: دلائل الإمامة: ١٠.

وبذلك اتّسمت شخصيّتها بأبعاد مختلفة سمت من خلالها عليها السلام في مدارج الكمال، حتّى أضحت حياتها مثالاً حيّاً للحياة الناجحة بكلّ ما تحمل هذه الكلمة من معانٍ.

وفاة أبيها صلى الله عليه وآله وسلم وقضيّة فدك

ما إنْ دخلت السنة الحادية عشرة للهجرة، وتصرّمت أيام شهرها الثاني شهر صفر، حتّى لبّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نداء ربّه ملتحقاً بالرفيق الأعلى في الثامن والعشرين من شهر صفر سنة ١١هـ، وكانت وفاته بداية لمحنة آل البيت عليهم السلام، تلك المحنة السياسية التي تتمحور ضمن أمرين هما: الخلافة ومصادرة فدك، ولسنا بصدد التفصيل في هذه المسألة التأريخية، فما يُهِمُّنا هو موقف السيدة الزهراء عليها السلام، فإلى جانب الحاكم مصادرة فدك وهي قرية في الحجاز، بينها وبين المدينة يومان، كانت لليهود، ولكنّها بعد فتح خيبر ألقى الله سبحانه وتعالى في قلوب أهلها الرعب، فصالحوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم على النصف وقبل منهم الصلح، فكانت له صلى الله عليه وآله وسلم خاصّة؛ لأنّها لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب [١]، وقد دفعها لابنته السيدة فاطمة عليها السلام في حياته، وكانت تتصرف فيها أربع سنوات في حياته، وبعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم صادرها أبو بكر، فخرجت عليها السلام تطالب بها بإصرار، وتصدّت للموقف بنفسها للدفاع عن الحق وهي السيدة التي لا تسكت عن حقّها وحق آل بيتها في الخلافة التي تُعدُّ امتداداً للرسالة، ولم تكن السيدة عليها السلام

---

(١) ظ: أعلام النساء المؤمنات: ٦٤٠.

تعني فدكاً فحسب؛ بل القضية كانت أبعد من أن تكون فدك أرضاً زراعيةً، وهي إنّما خرجت لا لتحصل على الإرث لعلمها أنَّ الذين يغتصبون خلافة ليس كثيراً عليهم أن يغتصبوا قطعة أرض [(١)]، وقد كانت السيدة الزهراء عليها السلام في خروجها للمطالبة بالحق مثالاً للجهاد والشجاعة والعطاء، فمع كل آلامها نجدها تخرج وتدافع حينما يتطلّب الموقف، وكان لخطابها في مسجد أبيها أثر كبير، إذ بيّنت وأفصحت وحاججت وحذّرت وقرّعت، وهي بذلك كلّه تهدف إلى استرجاع الحق، وقد أصبحت فدك «تتمشّى مع الخلافة جنباً إلى جنب، كما صار لها عنوان كبير وسعة في المعنى، فلم تبق فدك قرية زراعية محدودة بحدودها في عصر الرسول، بل صار معناها الخلافة والرقعة الإسلاميّة بكاملها، وممّا يدلّ على هذا تحديد الأئمّة لفدك، فقد حدّها علي عليه السلام في زمانه بقوله: حدٌّ منها جبل أحد، وحدٌّ منها عريش مصر، وحدٌّ منها سيف البحر، وحدٌّ منها دومة الجندل» [(٢)] وكانت هذه الحدود التقريبية للعالم الإسلامي آنذاك.

وأيضاً حدّها الإمام الكاظم عليه السلام لهارون الرشيد بعد أن ألحّ عليه أن يأخذ فدكاً، فقال له الإمام: ما آخذها إلا بحدودها، قال الرشيد: وما حدودها؟ قال: الحدُّ الأول عدن، والحدُّ الثاني سمرقند، والحدُّ الثالث أفريقية، والحدُّ الرابع سيف البحر ممّا يلي الخزر وأرمينية، فقال له الرشيد: فلم يبقَ لنا شيء فتحوّل في مجلسي [(٣)]، أي إنّك طالبت بالرقعة الإسلاميّة في العصر

(١) ظ: فاطمة الزهراء عليها السلام وترٌ في غمد: ١٠٧، ظ: أعلام النساء المؤمنات: ٦٤٢.
(٢) الأسرار الفاطمية: ٥٠٧.
(٣) أعيان الشيعة: القسم الثالث من الجزء الرابع: ٤٧.

العباسي بكاملها، فقال الإمام: قد أعلمتك أنّي إن حدّدتها لم تردّها.

وهذا يدلّ على أنّ فدكاً تعبير ثانٍ عن الخلافة الإسلاميّة، والسيدة الزهراء عليها السلام جعلت فدكاً مقدّمة للوصول إلى الخلافة، فأرادت استرداد الخلافة عن طريق استرداد فدك، وممّا يدلّ على هذا تصريحاتها عليها السلام في خطبتها التي ألقتها في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(١)، فمنها يتّضح أنّ السيدة الزهراء عليها السلام قد اتّخذت من فدك ذريعة للوصول إلى استرداد خلافة الإمام علي عليه السلام، وإلا فما الداعي إلى أن تذكر في خطبتها مناقبه وأحقّيته في الخلافة حتّى أثارت الأنصار، وأيضاً إنّ توجه نفسها إلى المعنويات والدَّرجات الأخروية لا تدفعها إلى المطالبة بمجرد قطعة أرض، وإنّما إلى مسألة أهم جعلت أرض فدك طريقاً للوصول إليها.

فصاحتها وبلاغتها

ليس بغريب إذا قُلنا إنّ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام مدرسة في الفصاحة والبلاغة والإعجاز، فهي قد اغترفت من معين القرآن وعلومه التي لا تنضب، ومن أحاديث أبيها صلى الله عليه وآله وسلم وكلامه المتّسم بالبيان الذي عجز كثيرون عن مجاراته، لذلك اشتُهِرَت بفصاحة اللّسان وقوّة البلاغة والبيان، ولو أخذنا خطبها من دون باقي كلامها لوجدناها تحمل في كلماتها وعباراتها مُختلَف الفنون البلاغيّة والموضوعات البيانيّة، حتّى يمكن القول بأنّ خطبتيها تعدّان مدرسة مستقلّة لفنّ الخطابة، ولو لم يكن لها إلا هاتان الخطبتان لكفى، ولما عدونا القول بأنّها رائدة ومعلّمة لأصول الخطابة،

(١) ظ: الأسرار الفاطمية: ٥٠٨.

وليس هذا فحسب؛ بل امتازت بالأقوال المأثورة[١]، والسيدة الزهراء عليها السلام قالت من الشعر ما قالت في رثاء أبيها صلى الله عليه وآله وسلم[٢] وإن كانت لها شؤون تصرفها عن الشعر، إذ إنّ كلامها وفصاحتها أرفع مستوىً وأدقّ معنى، وفي كلّ كلامها سواء كان نثراً أم شعراً نُلاحظ قوّة البلاغة والفصاحة، وعُذوبة الألفاظ ذات المحتوى والمضمون الهادف.

وفاتها

رحلت عن الدنيا وهي غاضبة وكان ذلك بعد وفاة أبيها بمدّة قصيرة جدّاً وقد اختلف في اليوم والشهر الذي توفيت فيه إلا أنّ المتّفق عليه أنّها توفيت في السنة الحادية عشرة للهجرة، وهي السنة التي توفّي فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٣].

٢- السيدة زينب بنت علي عليهما السلام

ولدت عليها السلام في الخامس من شهر جمادى الأولى في السنة الخامسة للهجرة [٤]، وكانت البنت الأولى لأمير المؤمنين والسيدة الزهراء بعد الحسن والحسين عليهم السلام، وبها فرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثيراً فأسماها (زينب)، وكان من عادة أهل البيت عليهم السلام أن

---

(١) ظ: فاطمة الزهراء عليها السلام والفاطميون: ٤٥.

(٢) ظ: أعلام النساء المؤمنات: ٦٥٥ -٦٥٦-٦٥٧- ٦٥٨. (شعرها).

(٣) ظ: الأسرار الفاطمية (تأريخ وفاتها): ٣٣٨ - ٣٤٠.

(٤) ظ: زينب الكبرى بنت الإمام علي بن أبي طالب: ١٧، العقيلة زينب والفواطم: ١٠، في رحاب السيدة زينب: ١٤.

يكنّوا بما هو معروف؛ وذلك لأنّها مستحبّة في السنّة، وجرياً لهذا الاستحباب فقد كُنّيت السيدة زينب عليها السلام بأمّ كُلثُوم، وهذه الكنية كانت السبب فيما ذهب إليه المؤرّخون من أوهام وأخطاء إلى أنّه ليس هناك بنت أُخرى لأمير المؤمنين عليه السلام اسمها أم كُلثُوم، على حين أنّ الإمام علياً عليه السلام كانت له ثلاث أناث يحملن الكنية نفسها - كما سنرى في ترجمة حياة السيدة أم كُلثُوم عليها السلام - وعلى أيّة حال فإنّ السيدة زينب الكبرى المكنّاة بأم كُلثُوم هي غير أمّ كُلثُوم، وكلتاهما قد شاركت في معركة الطف إلى جنب الإمام الحسين عليه السلام، وكان لكلّ واحدة منهما خطابها التاريخي في أهل الكوفة، وهذا البحث كفيل ببيان سيرة السيّدتين وترجمتهما، ومن ثمّ عرض خطاب كلّ واحدة وتحليله بعد تحقيقه.

وجديرٌ بالذكر أنّ السيدة زينب عليها السلام قد عرفت بهذه الكنية واشتهرت بها على الرغم من أنّ لها غيرها[1]، وليس هذا مهمّاً بقدر ما نسلّم بأنّ هذه السيدة الجليلة غير السيدة أم كُلثُوم البنت الثانية لأمير المؤمنين من السيدة الزهراء عليهما السلام.

وأمّا ألقابها فهي كثيرة تستشف من بطولاتها التأريخية، ونذكر منها: (العقيلة)، والعابدة والفاضلة والكاملة - من الكمال - والعالمة والصدّيقة الصغرى - تمييزاً من الصدّيقة الزهراء عليها السلام والصدّيقة الكبرى خديجة عليها السلام - بضعة البتول والصابرة.

نُلاحظ أنّ هذه الألقاب تظهر شخصيّتها العظيمة التي تأتّت من نشأتها

(١) ظ: وفاة زينب الكبرى: ٤، زينب الكبرى من المهد إلى اللحد: ٢٩ - ٣٠، السيدة زينب رائدة الجهاد في الإسلام: ٣٥، الصديقة الصغرى زينب بنت علي: ١٨.

المُباركة في ذلك البيت النبوي، وفي كنف الرِّسالة المحمّدية حيث نزول الوحي في ذلك البيت المُفعم بالإيمان، فلم يكن لها إلا أن تستلهم منه العلم والحكمة، والدِّرّاية والفطنة، والفهم والنبوغ، فضلاً عن فهم القرآن وحفظه والتفقّه في الدِّين، وحفظ الأحاديث، وهذا ما جعل شخصيّتها مُتميّزة على مرّ الزمن، كما أكسبتها تلك النشأة في كنف الإمام علي والسيدة الزهراء عليهما السلام الكمال الروحي، والمحاسن الجيّدة والأوصاف الجليلة التي تجلّت بها طوال عمرها في أشد محنها كانت محافظة عليها، حتّى عُدّت من شمائلها ومفاخرها الملتصقة بها.

وهكذا وفي وسط أجواء ملؤها القيم والمبادئ نشأت السيدة زينب عليها السلام، وكان لذلك أثر كبير في بناء شخصيّتها وغرس القيم والمبادئ في أعماق ذاتها، ووسط تلك الأجواء المُفعمة بالمسؤولية والتضحية بدأت السيدة زينب عليها السلام تتلقّى سهام قدرها وهي في أوّل سنيّ عمرها، ففي السنة الخامسة من عمرها لبّى جدّها صلى الله عليه وآله وسلم نداء ربّه، وإذا بها تصطدم بالفاجعة التي قلبت أجواء البيت، وكان عليها أن تُشارك أُمّها في محنتها السياسية، إذ وقفت معها في المسجد وهي تخطب بالمهاجرين والأنصار خطابها التأريخي، ثم مرضها وحزنها السرمديّ حتّى وفاتها، كلّ ذلك وعمرها لم يتجاوز السادسة، وبذلك بدأت بتحمّل المسؤولية وإحلالها في البيت محل أمّها في رعاية إخوتها وإدارة المنزل، وبدا كلُّ شيء فيها أكبر من عمرها، فقد «أنضجتها الأحداث، وهيأتها لأن تشغل مكان الشهيدة الكريمة، فتكون للحسن والحسين وأم كُلثوم أماً لا تعوزها عاطفة الأُمومة بكلِّ ما فيها من حنوّ

وإيثار» [١]، وهكذا تحمّلت عقيلة بني هاشم مسؤولية بيت علي عليه السلام، وعاشت في خضمّ المشاكل والأحداث، ويكاد هذا البيت ينفجر من شدّة الأحداث، فالأقدار تتواثب عليه، والنوائب تصليه ومع هذا كلّه فالإمام عليٌّ عليه السلام لا تهزّه الأحداث، وأخذ قلب زينب يتّسع لكلّ هذه وأكثر منها، ولا غرابة فهي ابنة الإمام علي عليه السلام، الرجل الصلد وأشبال عليٍّ عليه السلام على شاكلته، والسيدة زينب عليها السلام واحدة من تلكم الأشبال، فهي التي حملت البطولة على كتفيها وجسّدتها بأجلى مظاهرها[٢].

نهضتها مع الإمام الحسين عليه السلام

لم تُختر السيدة زينب عليها السلام لهذا الدور القيادي إلا لاتصافها بصفات أهّلتها لذلك، وجعلتها عليها السلام تأخذ على عاتقها كشف الحقيقة للنَّاس، وهذه مهمّة كبيرة، إذ إنّها كانت «تقوم بدور جهاز الدعاية المُضاد لجهاز الدولة، بل يُمكن أن نقول عنها إنّها قامت مقام دور الإعلام في يومنا هذا وهي تجوب الأمصار مع السبايا وتكشف من خلال خُطبها زيف الادعاءات الأُموية، وعلى ذلك فإنّ اصطحاب العائلة كان على جانب كبير من الحكمة واليقظة والمعرفة والفهم للظروف القادمة» [٣].

ونكاد لا نقرأ أو نسمع عن الإمام الحسين عليه السلام أو كربلاء إلا وللسيّدة زينب عليها السلام الذكر الوافر فيها، لأنّها بدأت مع الحسين عليه

---

(١) تراجم سيدات بيت النبوة: ٥٦١.

(٢) ظ: في رحاب السيدة زينب: ٢٤.

(٣) السيدة زينب عليها السلام ودورها في أحداث عصرها: ٣٩.

السلام وأكملت المهمة بعده.

وكانت مواقفها عليها السلام تدلّ على قوّتها وصلابتها، وهي تُحاجج القوم وتُخاصمهم وتُنكر عليهم إسلامَهم، وفي الوقت نفسه تَندُب أخاها، وأعظم منه وقوفها على جسد الإمام الحسين عليه السلام بعد مقتله وهو جثّة بلا رأس وقولها: «اللّهم تقبل منّا هذا القربان»[1]، فأيّة عظمة هذه من السيدة الطاهرة المفجوعة، من هنا ومن هذه الكلمة وهذا الموقف بدأت السيدة عليها السلام بتسلّم مهمتها وبدأ اهتمامها بالرِّسالة، ممّا أدّى إلى أن تضرب للأجيال أروع الأمثلة في الصبر والشجاعة، ليس هذا فحسب؛ بل نجدها أخذت تستثمر كل موقف تقفه في كلّ مكان لصالح الدِّين والرِّسالة المحمّديّة.

بلاغتها

كانت السيدة زينب عليها السلام على قدر كبير من الفصاحة والبلاغة والمقدرة الكلامية المتضمّنة للحجج والبراهين، ولهذه الفصاحة الدقيقة جاء بها شهيد العزّ والإباء إلى العراق لعلمه أنّ الغاية التي يُضحّي بنفسه لأجلها ستذهب أدراج السلطة الأموية وتبقى الحقيقة مستورة لو لم يتعقّبها لسان ذرب، وإنّ كلّ واحد لا يستطيع في ذلك الموقف الحرج الذي تحفّه سيوف الظلم أن يتكلّم بالحقيقة مهما بلغ من المنعة في عشيرته إلا العقيلة [2].

وما تركته السيدة زينب عليها السلام من خطب ومحاورات في أثناء

(١) في رحاب السيدة زينب عليها السلام: ١٤٨ - ١٤٩.

(٢) ظ: العباس: ١٢٢.

الوقائع والأحداث يجعلنا نصفها بالأديبة، بل إنّها فوق ذلك، إذ اتّخذت من البيان لغة قاومت بها أعداء الإسلام بدل السيف، وكانت لغتها هذه وسيلة لتبصير الأُمّة بحقيقة الإسلام الأصيل، وبذلك أثبتت للأُمويّين الذين جعلوا من المرأة وقتذاك آلة للّهو والخدمة فقط «أنّ دور المرأة في التبليغ والدِّفاع عن الدِّين عبر الخطابة لا يقلّ أهمّيةً عن دور الرَّجُل، بل إنّه في كثيرٍ مِنَ الأحيان يكون خطاب المرأة أكثرَ تأثيراً في النفوس، وهذا ما نلحظه في خطاب الصدّيقة زينب عليها السلام، الأمر الذي ينبغي أن يُعطي المرأة في هذا العصر الدافع القوي لدخول هذا المجال، والنهوض بمسؤوليّتها الدِّينية والاجتماعيَّة، فالخطابة ليست مُباحة للرجل ومحظورة على المرأة، بل ليست راجحة للرجل ومرجوحة للمرأة، فواجب التبليغ والإرشاد غير مختلف الوسائل أمر يشترك فيه الرجل والمرأة على حدّ سواء، وكلّ يعمل على شاكلته»[(١)].

وفي بلاغتها يقول النقدي: «إنّ هذه الفصاحة العلوية، والبلاغة المرتضويّة، قد ورثتها هذه المُخدّرة الكريمة، بشهادة العرب أهل البلاغة والفصاحة أنفسهم، فقد تواترت الروايات عن العلماء وأرباب الحديث بأسانيدهم عن حذيم بن شريك قال: قدمت الكوفة في المحرّم سنة إحدى وستّين عند منصرف علي بن الحسين عليه السلام من كربلاء ومعهم الأجناد يُحيطون بهم وقد خرج الناس للنظر إليهم، فلمّا أُقبل بهم على الجمال بغير وطاء، وجعلن نساء الكوفة يبكين وينشدن فسمعت عليّ بن الحسين عليه السلام يقول بصوت ضئيل وقد نهكته العلّة وفي عُنُقِهِ الجامعة ويدُهُ مغلولة إلى عُنقِه، إنّ هؤلاء النسوة يبكين فمن قَتَلَنَا، قال ورأيت زينب بنت علي

(١) الصديقة زينب عليها السلام مثال المرأة الواعية: ٨٩.

عليها السلام ولم أرَ خَفِرَةً أنطق منها كأنّها تُفرِغُ عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام، قال: وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا فارتدّت الأنفاس وسكنت الأصوات» [١].

ثم أشار إلى أنّ «بلاغة زينب عليها السلام وشجاعتها الأدبيّة ليس من الأمور الخفيَّة وقد اعترف بها كلّ من كتب في واقعة كربلاء، ونوّهَ بجلالتِها أكثرُ أربابِ التاريخِ» [٢].

وجديرٌ بالذكر أنّ بلاغة السيدة زينب عليها السلام وفصاحتها مكسوّة بأنوار البلاغة العلويّة، وأسرار الخطبة الفاطمية التي تأثّرت بها عليها السلام مذ كانت صغيرة، وهي تُعدّ أول خطبة حفظتها، فقد «نقلها الحفّاظ عن زينب العقيلة بنت فاطمة الزهراء، حيث كانت في صُحبة أُمّها يوم ألقت الخطبة في مسجد النبي، وكانت زينب يومذاك في السادسة من العمر، فحفظت خطبة أمّها فاطمة عن ظهر قلب، ولذا نجد عبد الله بن عباس عندما يتحدّث عن مصادر الخُطبة يقول: حدّثتنا عقيلتنا زينب بكذا وكذا» [٣]، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على قوّة بلاغتها ومقدرتها الأدبيّة التي مكّنتها من حفظ هذه الخُطبة التي تُعدّ من أمّهات الخُطب المتألّقة في سماء الخطابة النسوية، وهي لم تحفظها فحسب؛ بل تأثّرت بها، ولذا نجدها حينما خطبت أمام يزيد في الشام شابهت أمّها الزهراء عليها السلام في توظيف الخطبة لتظهر الأحداث الجسيمة التي هزّت الأمّة الإسلاميّة وأودت بآل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم،

(١) حياة السيدة زينب عليها السلام: ٥٩ - ٦٠.

(٢) م ن: ٦٨.

(٣) اعلموا أنّي فاطمة - فاطمة الزهراء والحضارة الإسلاميّة: ٥١.

وهذه الخطبة قد كشفت عن الجرأة الأدبيّة الفائقة التي اتّصفت بها عليها السلام، فضلاً على الشجاعة النادرة التي جعلتها - وهي أسيرة مثكولة مفجوعة - تُواجه يزيدَ بكلام مُعظمه تقريع وإظهار لحقائق حاول إخفاءها، وبيان لأُمور لم تكن واضحة لدى المُغرّر بهم آنذاك من قبل يزيد وأتباعه، ولذا ما كان منها إلا الاسترسال في الخطاب، والتعبير عمّا انطبع في داخلها بملكاتها الفاضلة.

وفي ذلك ذكرت دراسة حديثة أنّ «من خطيبات النساء المسلمات زينب ابنة علي بن أبي طالب، فكانت سيدة جليلة ذات فصاحة وبلاغة، وامرأة عاقلة، ذات جنان ثابت حينما أظهرت من تلك الفصاحة والخطبة نتيجة ما لقيت من شدّة الجزع والألم ما يفتّ الأكباد، ويفتخر بفصاحتها كون أبيها أمير المؤمنين الذي ربّاه الرسول محمّد صلى الله عليه وآله وسلم »[(١)].

وكان لبلاغتها الموروثة أثر كبير في تغيير مجرى التاريخ، إذ خطبت بأكثر من موطن نزلت فيه، من أجل كشف الحقائق، ممّا أدّى إلى إيقاظ الأمّة من سباتها، وبعث روح التحدّي والمواجهة فيها، وبذلك تكون السيدة عليها السلام قد وظّفت قوّة بلاغتها ورفعة فصاحتها في قلب الرأي العام على دولة بني أُميّة.

ونحن مهما قلنا في بلاغتها عليها السلام لا نصل إلى الوصف الدقيق لتلك المقدرة التي مكّنتها من إحلال لغة البيان محل لغة السيف، وفي وصف ذلك يقول النقدي: «إنّ بلاغة زينب عليها السلام وشجاعتها الأدبيّة ليس

(١) أثر المرأة في الحياة الإسلاميّة حتّى نهاية العصر الراشدي (رسالة ماجستير): ١٣٤.

من الأمور الخفيّة، وقد اعترف بها كلّ من كتب في وقعة كربلاء، ونوّه بجلالتها أكثر أرباب التاريخ، ولعمري إنّ من كان أبوها علي بن أبي طالب الذي ملأت خطبه العالم، وتصدّى لجمعها وتدوينها أكابر العلماء، وأمّها فاطمة الزهراء عليها السلام صاحبة خطبة فدك الكبرى، وصاحبة الخطبة الصغرى التي ألقتها على نساء قريش ونقلها النساء لرجالهنّ، نعم إنّ من كانت كذلك فحريّاً بأن تكون بهذه الفصاحة والبلاغة، وأن تكون لها هذه الشجاعة الأدبيّة»[١]، وللعقيلة عليها السلام بعض الأشعار التي قالتها في رثاء أخيها عليه السلام[٢].

وكان لبلاغتها أثرٌ كبيرٌ في مواصلة المسيرة بعد أخيها عليه السلام، وبقيت في جهادها الرّسالي هذا حتّى وافاها الأجل في الخامس عشر من رجب من عام ٦٢هـ الموافق ٦٨١م، وهذا التأريخ قد اتّفق عليه الأغلبيّة [٣].

٣- السيدة أمُ كلثوم بنتُ أمير المؤمنين عليهما السلام

ولدت هذه السيدة الطاهرة في السنة السادسة للهجرة، وكان تسلسلها الرابع بين إخوتها الحسن والحسين وزينب عليهم السلام، نشأت وترعرعت بينهم، وحينما بلغت مبلغ النساء تزوّجت من ابن عمّها عون بن جعفر بن أبي طالب [٤].

---

(١) حياة السيدة زينب عليها السلام: ٦٨.

(٢) ظ: أعلام النساء المؤمنات: ٤٥١ - ٤٥٢.

(٣) ظ: أخبار الزينبيّات: ١٢٢، ظ: تراجم سيدات بيت النبوّة: ٦٩.

(٤) ظ: أعلام النساء: ٢٤١، وظ: أعلام النساء المؤمنات: ٢٢٥.

أم كلثوم في كربلاء

كانت السيدة أم كُلثُوم هي الأخت التالية لزينب عليها السلام من حيث المكانة والفضل عند الحسين عليه السلام، وكانت ثاني امرأة حملت صفات الرزانة والحلم والحكمة في التصرّف بعد السيدة زينب عليها السلام في الطف، إذ كانت تصغرها بسنة واحدة، وإذا تتبّعنا الواقعة في كتب التاريخ نلحظ أن السيدة أم كُلثُوم عليها السلام كانت نعم الأخت الصابرة والمشاركة لأختها السيدة زينب عليها السلام في تحمّل أعباء الرِّسالة بعد مقتل الحسين عليه السلام ومسير السبايا الذي زادها شجوناً وحمّلها آلاماً مُبْرحة، ما انفكّت عنها حتّى وفاتها، وهي مع ذلك صابرة مُجاهدة سجّلت مواقف تاريخية إلى جنب الإمام الحسين وأختها السيدة زينب عليهما السلام، وممّا يروى أنّه «أثناء وداع الحسين للعائلة، جعلت أمّ كُلثُوم تُنادي: وا أحمداه، وا علياه، وا أمّاه، وا أخاه، وا حسيناه، وا ضيعتنا بعدك يا أبا عبد الله، فعزّاها الحسين عليه السلام وقال لها: يا أختاه تعزّي بعزاء الله، فإنّ سكان السماوات يفنون، وأهل الأرض كلّهم يموتون، وجميع البرية يهلكون، ثم قال: يا أختاه يا أُم كُلثُوم، وأنت يا زينب، وأنت يا فاطمة، وأنت يا رباب، انظرن إذا أنا قتلت فلا تشققن عليّ جيباً، ولا تخمشن عليّ وجهاً، ولا تقلن هجراً»(١) فنداء الإمام عليه السلام [يا أختاه يا أمّ كلثوم وأنت يا زينب] يدلّ على أنّ الشخصيّتين كانتا معه في الطفّ، وللسيدة أمّ كلثوم مواقف سجلت فيها أروع صور البطولة والشجاعة(٢).

(١) اللّهوف في قتلى الطفوف: ٣٢.

(٢) ظ: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام: ٢٣١-٢٣٣، وظ: أعلام النساء: ٢٥٣-٢٥٤.

بلاغتها وفصاحتها

تميّزت السيدة الفاضلة أم كُلثُوم عليها السلام كمثيلاتها من سيدات آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالفصاحة البلاغة، والمعرفة بمواقع الكلام، في كلّ مقام، لأنّها كانت فهيمة، وذات فصاحة طلقة، فضلاً عن صفات أُخرى اتّصفت بها، ومنها أنّها كانت عالمة، جليلة القدر، عظيمة المنزلة عند أهل بيتها عليهم السلام وسائر الناس حتّى من الأعداء الذين كانوا يعترفون بشجاعتها الأدبيّة وبلاغتها القويّة...

وقد جعلت السيدة أم كُلثُوم عليها السلام من هذه الملكة التي منحها الله سبحانه وتعالى لها من قوّة في البيان، ومعرفة في الفنون البلاغيّة وظيفة لخدمة الحق، إذ كانت لخُطبتها في أهل الكوفة «الأثر في توعية الناس وتعريفهم بحقيقة الأمور، وبأنّهم آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لا خوارج كما يدّعي يزيد»[1]، إذ كشفت عن عُمْق جريمتهم النكراء، وكذلك كشفت عن البُعد الحقيقي لأحقّيّة أهل البيت عليهم السلام بتولّي الأُمور من خلال استفهاماتها الاستنكارية، التي أعطت مفهوماً في مكانة أولاد أمير المؤمنين عليهم السلام في نفس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ممّا أدّى إلى أن تكون هذه الخطبة من أشدّ ما وقع على أسماع أهل الكوفة وتركّز في ذهنهم، لأن الخطيبة عليها السلام كشفت عن الموقف بصراحة ووضوح تامّين، مُستثمرة في ذلك الحشد الكبير المتجمّع، فدعت إلى الله بعد أن أعلنت عن مظلوميّتهم جرّاء امتدادهم الرِّسالي للدعوة الإلهية، ومعاداة ذراري المُشركين لهم، فكان إعلانها للمظلوميّة هو الدعوة إلى الله بعينه، وبحنكة بلاغية ودراية

(١) أعلام النساء المؤمنات: ٢٣٣.

بيانية نجحت عليها السلام في إيصال ما نشدته من خلال تأثيرها في القوم.

ولم تخلف السيدة عليها السلام الخطبة التأريخية فحسب؛ بل تركت لنا أشعاراً وإن لم تكن شاعرة، لأنّ هناك ما يشغلها عنه، ولكنّها قالته في مواقف[1].

وفاتها

بعد رحلة الأسر المُضنية رجعت عليها السلام إلى المدينة ومكثت فيها أربعة أشهر وعشرة أيّام[2]، ثمّ توفّيت عليها السلام بعد أن قلبت الرأي العام عليهم بخطابها التاريخي الذي أدّى إلى جانب خطابات أهل البيت عليهم السلام في أثناء المسير إلى توالي الانتفاضات وتتابع الثورات.

٤- السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليهما السلام

سمّاها أبوها عليه السلام باسم أمّه السيدة الزهراء عليها السلام، وكنيتها أمّ عبد الله، وكانت تُلقَّب بفاطمة الكبرى لأنّها البنت الكبرى للإمام عليه السلام أو كبرى الفواطم اللائي جئن بعدها من نساء أهل البيت عليهم السلام[3].

إنّ سيرة السيدة فاطمة عليها السلام تكشف عن أنّها كانت عالمة تبلغ من العلم درجاته العليا، مُحدّثة، راوية للحديث، عارفة بنصوص الإمامة، ورواياتها وأحاديثها كثيرة في الكتب ذكرها الرواة والعلماء خلفاً عن سلف[4].

---

(١) ظ: أعلام النساء: ٢٦١ - ٢٦٣.

(٢) ظ: م ن: ٢٤١.

(٣) ظ: فاطمة بنت الحسين: ٥.

(٤) للاطلاع ظ: أعلام النساء المؤمنات: ٥٨٥ - ٥٩٠ روايتها للحديث.

فصاحتها وبلاغتها

لقد تلقّت السيدة فاطمة عليها السلام علومها من علوم بيت الوحي، وورثت منهم الفصاحة والبلاغة، فكانت تروي وتحدّث عنهم، ممّا حدا بها إلى أن تكون من النساء الفصيحات الألسن، البليغات الكلام.

ولبلاغتها الواضحة أثر كبير في مستمعيها، إذ إنّ تلك البلاغة كشفت عن مكنون ما تمتّعت به تلك الشخصية الفذّة من معدن الحكمة، وينبوع المعارف، فضلاً عن فصاحة مشهودة كانت تُطلق بها عنان كلامها في المواعظ والأخلاق والآداب.

وكان للبلاغة العلوية أكبر الأثر في نفس السيدة فاطمة عليها السلام، فمنها اقتبست، وبخطب جدّها أمير المؤمنين عليه السلام تأثّرت، وقد كانت لها حافظة، ففي مقطع من خطبتها في الكوفة تقول: «وَجَعَلَ عِلْمَهُ عِنْدَنَا، وَفَهْمَهُ لَدَيْنَا، فَنَحْنُ عَيْبَةُ عِلْمِهِ، وَوِعَاءُ فَهْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَحُجَّتُهُ فِيْ الأَرْضِ فِيْ بِلادِهِ لِعِبَادِهِ، أَكْرَمَنَا اللّهُ بِكَرَامَتِهِ»[١]، نجدها تستند إلى لغة جدّها أمير البلغاء عليه السلام حينما رأى في آل البيت عليهم السلام وعاء لفهم علم الله وحكمته[٢].

وهي حينما ألقت خُطبتها هذه افتتحتها بحمد الله والثناء عليه، ثم الإقرار بالشهادتين، - كما هو الحال في خُطب آل الرسول عليهم السلام -، إذ لم يكونوا يبدؤون الكلام - ولاسيّما الخطب - إلا بحمد الله وذكر الشهادتين - وهي سنّة متّبعة في الخطابة الإسلاميّة -، ثُمَّ تواصل خطبتها

(١) اللّهوف في قتلى الطفوف: ٩٦-٩٧، االحتجاج: ٢ /١٠٦.

(٢) ظ: نهج البلاغة: ٤٧.

بأسلوب فصيح بلاغي حكيم أمام أهل الكوفة، وكان لذلك الأثر الواضح في إبداء ندمهم، وذلك لما استعملته من فنون البيان.

و لو لم يكن من كلام للسيدة فاطمة عليها السلام إلا هذه الخطبة لكفى، لما أنبأت عنه من أنّها كانت على جانب كبير وعظيم من العلم والدِّرَاية وقوّة البيان التي وظّفتها في تقريع القوم وتنبيههم على فعلتهم، ممّا أدّى إلى امتلاك تلك القلوب بقوّة البيان وأسلوب البلاغة الذي أثّر في الأسماع، ونفذ في الأعماق، وجديرٌ بالذكر أنّ لهذه الخطبة النصيب الأوفر في مباحث وفصول هذا البحث، لثرائها اللُّغوي والبلاغي.

ولم تقتصر بلاغة السيدة على هذه الخطبة فحسب، بل نجد لها بين صفحات الكتب الأدبيّة أبياتاً من الشعر [١].

ونذكر من كلامها البليغ على سبيل المثال لا الحصر وهي توجه وترشد: «والله ما نال أحد من أهل السفه بسفههم شيئاً، ولا أدركوا من لذّاتهم شيئاً، إلا وقد ناله أهل المروّعات، فاستتروا بجميل ستر الله»[٢]، فهذا المقطع من كلامها يُقدِّم لنا أنموذجاً بارعاً من فصاحتها المُتميّزة، وحرصها الكبير على أُمّة جدّها، وهي إنّما تُوظّف ما تمتلكه من ثراء بلاغي للتبليغ والإرشاد.

وفاتها

توفّيت السيدة فاطمة عليها السلام في المدينة المنورة سنة ١١٧هـ، ودفنت في البقيع.

---

(١) ظ: الدُّرّ المنثور: ٣٦٢.

(٢) الأعلام: ٥ / ٣٢٨، الدُّرّ المنثور: ٣٦١.

الفصل الأول: مضامين خطب سيّدات البيت النبوي

* المبحث الأوّل: المضامين الدينيّة
* المبحث الثاني: المضامين السياسيّة
* المبحث الثالث: المضامين الاجتماعيّة

مدخل

تُعدّ خُطب سيدات البيت النبوي موسوعة ثقافيّة واسعة، لما تضمّنته من موضوعات ذات اتّجاهات وأهداف مختلفة ومتنوّعة، وفيها ظهرت مقدرتهنّ الكبيرة، إذ نجد في كلّ خطبة التنقّل الواضح من موضوع إلى آخر، ومن مفهوم إلى آخر، من دون الإخلال بالنّص، وذلك لأنّ الخطيبة لا تخرج من البحث في موضوع أو مضمون مُعيّن حتّى تفيه حقّه، بقِلَّةٍ من العبارات، وغزارة في المعاني، وهذا يدلّ على المقدرة البلاغيّة، والإحاطة العلميّة ذات الثقافات المتنوّعة لدى الخطيبة، بحيث أهّلتها إلى مثلِ هذه الخطابات الّتي تُعدُّ مدرسة معطاء لفنٍّ الخطابة العربية.

وجديرٌ بنا ونحن في صدد دراسة نصوص هذه الخطب أن نبحث في المضامين التي اختلفت باختلاف الباعث وأسلوب كلّ خطيبة في إيصال الخطاب وحاجتها في إشباع قضايا قد تشترك فيها مع المتلقّين، أو أنّها تريد إشراكهم فيها، وبما أنّ النّص الخطابي واحد من أكثر النُصوص الفنيّة التي تُلزم الخطيب بحشد الطاقات التعبيريّة المؤثّرة، لما يَتميّز به الفنّ الخطابي من الاعتماد على الإقناع والاستمالة [١].

(١) ظ: النقد الأدبي عند اليونان: ١٤٠.

فإنّ الخطيب المُبدع يسعى إلى تحشيد وظائف متنوّعة داخل النّص ويتعلّق بعض هذه الوظائف بالمضمون، بينما بعضها الآخر يتعلّق بالشّكل القائم على لغة الإيحاء [١].

وفي نصوص خطب السّيدات تجلّت لنا بعض المضامين الخطابيّة التي أوحَت بها فِقْرات نُصوص هذه الخطب، ممّا حدا بنا إلى أن نُفرِد دراسة خاصّة لكلٍّ منها ضمن هذا الفصل.

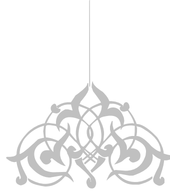
والإفراد في دراسة المضامين ما هو إلا لغرض الدّراسة، لأنّ النّص الفنّي لا يُخاطب جانباً مُعيّناً من دون آخر في نفس المتلقّي، وإنّما يُخاطب الكينونة بما فيها من عقلٍ وحسٍّ ونفسٍ [٢]، والفصل بين تلك المضامين يكشف عن خصائص النّص وقيمته الفنّية [٣].

ومضامين هذه الخطب (الدّينيّة والسّياسيّة والاجتماعيّة).

(١) ظ: شعر الشريف الرّضي - الفنّ والإبداع: ٩٥.

(٢) ظ: الصورة الفنّية في القرآن الكريم: ٤٣٧.

(٣) ظ: الصورة الشعرية في النّقد العربي الحديث: ٥٤.



المبحث الأوّل: المضامين الدينيّة

تنوّعت وجوه الأثر الديني في خُطب سيّدات البيت النبوي، فكان للموضوعات العقيديّة والتشريعيّة حظٌ وافرٌ في نُصوصها، وكان ذلك نتيجة الرّغبة المُلحّة لدى الخطيبات في إشباع تلك الموضوعات وإظهارها على حقيقتها بطريقة أدبيّة تؤثّر في نفس المُتلقّي.

وقد عمدت الخطيبات إلى استمداد تلك الموضوعات من القرآن الكريم؛ لما له من وقع في النفوس على مرّ العصور، ولذلك فإنّ الخُطباء «ينهلون منه ويقتبسون ويسعون إلى محاكاة أسلوبه، وكان أثره في النّثر، سواء من حيث الأسلوب والصّياغة أم من حيث الأفكار والمعاني، أو من حيث الصّور والأخيلة، هذا فضلاً عن اقتباس آيات منه وتوشيح الخُطب بها» [1].

وتُعدّ خُطب سيّدات البيت النبوي مِنَ النّصوص الأدبيّة التي استمدّت موضوعاتها من الدِّين الحنيف.

وقد تنوّعت سُبُل التضمين الديني في تلك النّصوص الفنّيّة، فجاءت بأشكال مُختلفة.

---

(١) الخطابة العربية في عصرها الذهبي: ٤١.

وقبل الخوض في تلك المضامين أودّ الإشارة إلى أنه قد يكون نصّاً أو معنىً أو إشارة إلى معنى، وأمثلته في خُطب العُلويّات كثيرة، منها ما ورد في خُطبة السيّدة الزهراء عليها السلام في المسجد:

«وَأَنْتُمُ الآنَ تَزْعُمُونَ: أَنْ لا إِرْثَ لَنَا، ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (١)؟! أَفَلا تَعْلَمونَ؟ بلَى، قَدْ تَجَلَّى لَكُم كالشّمْسِ الضَّاحِيَةِ: أنّي ابنَتُهُ.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ! أَأُغْلَبُ عَلَى إرْثِيَهْ؟! يا ابنَ أَبِي قُحَافَةَ! أَفِي كِتَابِ اللهِ أنْ تَرِثَ أَبَاكَ وَلا أَرِثَ أَبِي؟ ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ [عَلَى اللهِ وَرَسُولِه]! أَفَعَلَى عَمدٍ تَرَكتُم كِتَابَ اللهِ وَنَبَذْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُم؟ إذ يَقُولُ: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ﴾ (٢)، وَقَالَ: فِيمَا اقْتَصَّ مِن خَبَرِ يَحْيَى بن زَكَريا عليه السلام إذْ قَالَ: ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ (٣)، وَقَالَ [أَيضاً]: ﴿ وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ (٤)، وَقَالَ: ﴿ يُوصِيكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴾ (٥)، وَقَالَ: ﴿ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ (٦)، وَزَعَمتُم أن لا حِظْوَةَ لي ولا إِرْثَ مِنْ أَبِي وَلا رَحِمَ بَيْنَنَا، أَفَخَصَّكُمُ اللّهُ بآيَةٍ [مِنَ القُرآنِ] أَخْرَجَ أَبِي [مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم] مِنْهَا؟ أَمْ هَل تَقُولُونَ: إنّ أَهْلَ

(١) المائدة / ٥٠.
(٢) النمل / ١٦.
(٣) مريم / ٥ - ٦.
(٤) الأنفال / ٧٥.
(٥) النساء / ١١.
(٦) البقرة / ١٨٠.

المِلَّتَينِ لا يَتَوارَثـانِ؟ أَوَ لَسْتُ أَنَـا وَأَبِـي مِـنْ أَهْـلِ مِلَّـةٍ وَاحِـدَةٍ؟! أَمْ أَنْـتُمْ أَعْلَـمُ بِخُصُوصِ القُرآنِ وَعُمُومِهِ مِن أَبِي وابنِ عَمِّي» (١).

فهنا اقتبست الخطيبة هذا الجمع من الآيات المباركة التي حوت على أحكامٍ تشريعيّةٍ حول موضوع الإرث، والمُلاحظ أنّها تطرّقت إلى هذا الحكم بعد أن ذكرت مآسيها، ثُمَّ أتت بآيات المواريث لتجعلها حلقة وصل مسبوقة بتلك المآسي وملحوقة بشجونها، وهذا ما جعلها تذكر آيات المواريث الخاصّة بالأنبياء أوّلاً، ومن ثُمَّ آيات المواريث بشكلٍ عام، وكلاهما مواريث الأنبياء وموضوع الميراث بشكل عام مُتّحدٌ في موضوع تشريعي واحد ألا وهو الإرث.

والخطيبة عليها السلام استثمرت آيات المواريث هذه بالتحديد بشكلٍ متتالٍ لُمحاجحة القوم بطريقة استدلالية، فهي عليها السلام كانت في معركة كلامية محتدمة مع خصومها، فلم يكن لها سلاح غير الكلام المنطقي المُفعم بالأدلّة والبراهين.

ومن المضامين الدينيّة أيضاً ما ورد في خُطبة السيدة الزهراء عليها السلام في نساء المهاجرين والأنصار، وهي تَنصح وتُوجّه وتُنذر وتُشير إلى الخطر جرّاء ما يُحاكُ حول الإمام علي عليه السلام في قولها: «وَنَصَحَ لَهُم سِرّاً وإعْلاناً، وَلَمْ يَكُنْ يَتَحَلَّى مِنَ الغِنى بِطَائِل، وَلا يَحْظَى مِنَ الدُّنيَا بِنائِل، غَيْرَ رَيِّ النَّاهِل، وَشِبْعَةِ الكَافِل، وَلَبَانَ لَهُمُ الزَّاهِدُ مِنَ الراغِب، والصادِقُ مِنَ الكَاذِب، ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٢)، ﴿ وَالَّذِينَ

---

(١) الاحتجاج: ١ / ٢٦٧ - ٢٦٨.

(٢) الأعراف / ٩٦.

ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلاَءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (١)، أَلا هَلُمَّ فاسْتَمِع» (٢)، وهنا يتجلّى الموضوع الذي أرادت إظهاره بوضوح، وهي تعرض صفات الإمام علي عليه السلام وتمزج كلامها بكلام الباري عز وجل، لتُحقّق وحدة موضوعيّة ضمن سياق فنّي بين فِقْرات الخُطبة، وهذا إنّما يدلُّ على عُمق ثقافتها الإسلامية، واستيعابها لدلالات القرآن الكريم، وقُدرتها على الاختيار الدّقيق لنصّين مختلفين، وجمعهما في فضاء دلالي واحد ضمن سياق موضوعي، وهذان النّصان بما يحملان من معانٍ مشتركةٍ لما أرادت عرضه من موضوع قد أسهما في تعزيز دلالة النّص الخطابي دلالة مركزية.

ونجد السيدة زينب عليها السلام قبل أن تدخل في موضوع خُطبتها أمام يزيد في قولها: «صَدَقَ الله سُبحانه كذلك يقول: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُون ﴾ (٣)» (٤)، فهنا تسبق النّص بالإشارة إليه، ثم تأتي به تامّاً من دون تغيير، وهذه الخُطبة الوحيدة التي عمدت فيها عليها السلام إلى الإشارة منها بأنّ ما ستقوله هو من القرآن لا من كلامها، ويظهر أنّ تلك الإشارة تحمل معانيَ ومقاصدَ لا تتوقّف عند حد إثارة أو شدِّ انتباه المتلقّين وضمان إصغائهم، بل إنَّ المسألة أبعد، إذ إنّها عليها السلام عمدت إلى هذه الآية وأتت بها مع الإشارة إليها ولم تُغيّر فيها لترُدّ على قول يزيد:

لعبت هاشمُ بالمُلك فلا ... خَبَرٌ جاء ولا وحيٌ نَزَلْ

(١) الزمر / ٥١.
(٢) الاحتجاج: ١ / ٢٨٩.
(٣) الروم / ١٠.
(٤) الاحتجاج: ٢ / ١٢٣ - ١٢٤.

وهو بهذا الاستشهاد قد أنكر نزول الوحي، وهذا دليلٌ على كُفرِهِ وزندقته، فمعنى البيت يؤكّد أنَّ بني هاشم لعبوا بالمُلك تحت اسم النبوّة والرِّسالة، وليس هناك وحيٌ من عند الله عز وجل، ولأجل أن تُدحض الخطيبة هذا الادعاء بدأت خطابها بهذا النّص القرآني، فكان اقتباساً موفّقاً، إذ إنّ الآية جاءت متناسبة من حيث المعنى لتفنيد هذا الادّعاء الباطل، فعاقبة كلّ شيء آخره، وعاقبة الذين أساءوا هي النار نتيجة كثرة الذنوب والمعاصي في سجلِّ أعمالهم، ممّا أدّى إلى أن يُكذّبوا بآيات الله، ويُنكروا الحقائق الواضحة، ويَستهزئوا بالمقدّسات، وممّا يُلاحظ أيضاً من خلال هذا الاقتباس أنّ الخطيبة عليها السلام قد شعرت بِعِظَم الموقف وقلّة الناصر، وهي في ذلك الموقف حيث الأسر ووجود أُناس في المجلس جاهلين للحقيقة، بسبب التعتيم الإعلامي الذي مارسه الحُكم الأُموي آنذاك، وهذا يُحتّم على من يدّعي خلافة المسلمين، وعلى كُلّ مُسلم الإنصات والاستجابة، وهذا ما يقوّي حُجّة الخطيب ويرفعها أمام الجمهور، وهذا المضمون الدِّيني في خُطبة السيدة زينب عليها السلام كشف عن قوّة إيمانها بقضاء الله عز وجل، وكذلك عن رؤيتها العميقة والواضحة لدلالة الآيات القُرآنية التي تقتبسها ضمن موضوعات خُطبها، كما كشفت عن استيعابها للموقف وهي تستمدّ نصّاً تامّاً تضمّنه قولها في خطبتها بالشام «فَمَهلاً مَهْلاً لا تَطِش جَهْلاً! أَنسيْتَ قَولَ اللهِ عَزَّ وَجَلّ: ﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [1]» [2]، لتقوّي موقفها وحُجّتها بهذه

(١) آل عمران / ١٧٨.

(٢) الاحتجاج: ٢ / ١٢٤، مقتل الخوارزمي: ٢ / ٧٦.

الاقتباسات القرآنية، فهنا أرادت عليها السلام أن تُلقي الحُجّة على المُخاطب وتُذكّره بقول الله عز وجل، وقولها (أنسيت قول الله) لم يكُن بدافع حاجتها لجوابٍ منه، وإنّما أرادت به الخُروج للتقريع والتوبيخ والإنكار لما هو فيه من فرح وسُرور نتيجة جهله واعتقاده بأنّه المنتصر، ولكنّها فنّدت هذا الاعتقاد بهذا الاقتباس، وأثبتت أنّ حقيقة الانتصار لهم، وما فيه هو ليس بخير، لأنّ العذاب ينتظره.

وتميّزت المضامين الدينية في خطب سيدات البيت النبوي بإكثار الاقتباس من آيات القرآن الكريم بما يُناسب الحال والمقام، وأيضاً تميّز هذا الاقتباس بأنّه تارةً يكون مباشراً وضمن سياق الخُطبة كما أسلفنا، إذ يجعل من النّص وكأنّه عبارة واحدة مُترابطة الفِقْرات بشكلٍ وثيق ضمن لوحة فنّيّة، إلى درجة أنّ المُتلقّي لا يشعُرُ معها بالانتقال من فِقْرَةٍ إلى أُخرى، وذلك لإجادة الخطيبة في الربط بين الكلام والآية، وأُخرى يكون غير مباشرٍ بحيث يُشير المُنشئ إليه من الآيات أو بعض الآية، من دون أن يلتزم بلفظها وتركيبها[١]، كما في قول السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليها السلام: «والله قَسَتْ قُلُوبُكُمْ، وَغَلُظَتْ أَكبَادُكُمْ، وَطُبِعَ عَلَى أَفئِدَتِكُمْ، وَخُتِمَ عَلَى سَمْعِكُمْ وَبَصَرِكُمْ»[٢]، ففي مضمون خطابها إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾[٣]، وهكذا تستمر الخطيبة بمضامين خطبتها بطريقة أدبيّة تُعزّز من خلالها القيمة المعنويّة للنّص الخطابي.

(١) ظ: معجم آيات الاقتباس.

(٢)اللهوف في قتلى الطفوف: ٩٧ - ٩٨، الاحتجاج: ٢ /١٠٧.

(٣) الأنعام / ٢٥.

ومن المضامين الدينية في خُطب السيدات المضامين العقيديّة، وقد كان لها حضور وزخم كبير، ومنه في قول السيدة الزهراء عليها السلام «وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَه إلا اللّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَه، كَلِمَةً جَعَلَ الإِخْلاصَ تَأوِيلَهَا، وَضَمَّنَ القُلُوبَ مَوْصُوْلَهَا، وَأَنَارَ فِي التَّفَكُّرِ مَعْقُولَهَا، المُمْتَنِع مِنَ الأَبْصَارِ رُؤْيَتُهُ، وَمِنَ الأَلْسُنِ صِفَتُهُ، وَمِنَ الأوهَامِ كَيْفِيَّتُهُ، ابْتَدَعَ الأَشْيَاءَ لا مِنْ شَيءٍ كانَ قَبْلَهَا، وَأَنْشَأَهَا بِلا احْتِذَاءِ أَمْثِلَةٍ امتَثَلَهَا، كَوَّنَهَا بِقُدْرَتِهِ»[1]، فهنا تحدّثت الخطيبة عليها السلام «عن ركائز الدين ودعائم الإسلام، مُبادِرَةً وقَبْلَ أن تُثيرَ أيّ موضوعٍ مع خُصُومها الذين ملأوها قهراً واهتضاماً، وفي ذلك حكاية صادقة عن تعلُّقِها بربّها ومعبودها، وحرصها على تركيز مبادئ الاعتقاد في نفوس الأُمّة، وأن تحفظ مكان النّبي صلى الله عليه وآله وسلم في إرشادها وتعليمها للأمّة، مُضافاً إلى اعتداد ذلك ركيزة في مُناقشاتها الآتية»[2]، ونلحظ من نصّها الأدبيّ أنّ الأفكار التي عرضتها في موضوع التوحيد، الأصل الأوّل من أُصُول العقيدة، تتلخّص بالشهادة التي أكّدت عليها بأكثر من صيغة (لا إله إلا الله، وحده، لا شريك له) والإخلاص له، والتوحيد الفطري ثُمَّ التوحيد النظري، وأخيراً عمدت إلى ذكر الصفات المقدّسة له في مظاهر التوحيد.

وفي خُطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليها السلام يتجلّى لنا الأصل الرابع من أُصُول العقيدة وهو الإمامة في قولها «وَجَعَلَ عِلْمَهُ عِنْدَنَا، وَفَهْمَهُ لَدَيْنَا، فَنَحْنُ عَيْبَةُ عِلْمِهِ، وَوِعَاءُ فَهْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَحُجَّتُهُ فِيْ الأَرْضِ فِيْ بِلادِهِ لِعِبَادِهِ، أَكْرَمَنَا اللّهُ بِكَرَامَتِهِ، وَفَضَّلَنَا بِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله

(١) الاحتجاج: ١ / ٢٥٥، دلائل الإمامة: ٣١ - ٣٢.
(٢) فاطمة صوت الحق الإلهي: ٢٩ - ٣٠.

وسلم عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ تَفْضِيلاً»[١]، فهنا نلحظ البُعد العقيدي، إذ تصف أهل البيت عليهم السلام بالقُدرة على حفظ علم الله، واستمراريّتهم على ذلك ومعرفة حكمته، وتتدرّج في خطابها حتّى تصفهم بأنّهم المؤتمنون على إرث النبوّة الدِّيني والعلمي، وهذه إشارة منها عليها السلام إلى أنّهم حُجَّة الله على الأرض، لذلك فهو أكرمَهُم وفَضَّلَهُم على غيرهم، وقد أتت بدليل قرآني من خلال اقتباسها للآية بعد قولها «ويلكم أحسدتمونا على ما فضّلنا الله {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}[٢]»[٣] يقوّي كلامها هذا.

وبإشارة إلى الأصل العقيدي الثالث والرابع (النبوّة والإمامة) من السيدة زينب عليها السلام في خُطبتها أمام أهل الكوفة تقول: «قَتْلَ سَلِيلِ خَاتَمِ النُّبُوَّةِ، وَمَعْدِنِ الرِّسَالةِ، وَسَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ»[٤]، إذ كنّت عليها السلام لتظهر مقام النبوة (الرسول) على سائر الأنبياء، وهي عليها السلام إنّما عمدت إلى هاتين الكنايتين لتحمل كلمة سليل التي أُضِيفَت إليهما الدلالة التي تراها لذلك السليل، إذ إنّها لم تُعَدّ سلالة دمويّة جسديّة، بل تحوّلت إلى سُلالة عقيديّة إيمانية وانتماء إلى أرقى ما في النبوّة من معنى، وقد أتت عليها السلام بجُملة (سيد شباب أهل الجنّة) وعطفتها على (سليل خاتم النبوّة) لا لتذكّر برأي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الإمام الحسين

(١) اللّهوف في قتلى الطفوف: ٩٦ - ٩٧، الاحتجاج: ٢ / ١٠٦.

(٢) الحديد /٢١.

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف: ٩٧.

(٤) بلاغات النساء: ٢٤، نثر الدُّر: ٢٠، الاحتجاج: ٢ / ١١١.

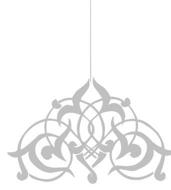
عليه السلام فحسب؛ ولكن لتُقدّم مظلوميّة الإمام ومقامه عند ربّ العالمين أيضاً، ولِتُضيء كلمة (سليل) إضاءة جديدة وتجعله (سليلاً مُميّزاً) وغرضها من ذلك الإيماء إلى العصمة، مُمَهّدةً بذلك للحديث عن صورة الإمام الحسين عليه السلام ببُعدها العلمي الدنيوي عبر سلسلة من أسماء المكان المُضافة إلى القضايا الأساس التي كانت تشغل أذهان الكوفيّين (١).

وفي خُطبة للسيدة أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليهما السلام تقول: «قَتَلْتُمْ خَيْرَ رِجَالاتٍ بَعْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، وَنُزِعَتِ الرَّحْمَةُ مِنْ قُلُوبِكُمْ» (٢)، فهنا تشير إلى مضمون عقيدي هو الإمامة للإمام الحسين عليه السلام، وخطابها عليها السلام يكشف عن مكانة الإمام الحسين عليه السلام إلى جانب بيانه لعظم الجريمة التي اقترفوها؛ إذ قتلوا خير الرجال بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعد أبيه وأخيه "عليهم السلام".

من خلال النّماذج التي تمّ عرضها نستطيع القول بأنّ المضامين الدينية قد تمحورت في مجالين هما: التشريعي والعقيدي، وقد أُسنِدَ كلٌّ منهما بالدعم القرآني والحديث الشريف، ولذلك اتّسقت تلك المضامين مع حياة المجتمع الإسلامي، وخرجت مؤثّرة فيه، فالخطيبات انطلقن في تلك المضامين من أُصول دينيّة بحتة، مستهدفات من ذلك ترسيخ المبادئ والقيم الدينيّة، فكان مسار تلك المضامين مُتَشَابِهاً إلا ما جاء رهناً بظروف طرأت نتيجة تقلُّب الأحداث وتأزُّم الأوضاع، ولكنّها بأيّ حالٍ كانت ضمن سياق الإطار الدِّيني.

(١) ظ: أثر كربلاء في خطابة آل البيت والتوابين - رؤية عناصر الواقعة واللُّغة الفنّيّة (بحث منشور في مجلّة المنهاج) ع٥ - ٦، السنة الثانية.

(٢) اللّهوف: ٩٩.



المبحث الثاني: المضامين السياسيّة

كان للموضوعات السياسيّة نصيب وافر في خطب سيدات البيت النبوي، لأنّها لازمت تغييرات كبيرة على واقع السياسة في مرحلتين؛ الأولى بعد وفاة النّبي صلى الله عليه وآله وسلم، والثانية بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام، وقد تفاعلت الخطيبات مع تطورات الساحة السياسيّة، لأنّ العصر كان مُزدحماً بالأحداث والتّطوّرات، حافلاً بتضارب الآراء والنّزعات، مليئاً بالاصطدام وكان أدبه زاخراً بصور ذلك كلّه [١]، لذلك جاءت خُطبهنّ مُمثّلة للواقع وعُمْق اتّصاله وارتباطه بوجدان المُتلقّين.

وتتجلّى المضامين السياسيّة في خُطبة السيدة الزهراء عليها السلام أمام المهاجرين والأنصار بشكلٍ واضح، وسبب ذلك أنّه لّما قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأجمع أبو بكر على منعها فدكاً وحرمانها من مُلكِها ومَنْعِها من التّصرّف [٢].

خطبت عليها السلام خطبتها التي كانت «مثالاً للفصاحة والبلاغة،

---

(١) ظ: الخطابة في عصر صدر الإسلام: ٢ / ٧٣.

(٢) ظ: فاطمة صوت الحق الإلهي: ١٦.

ورسمت صورة عن السياسة أثر وفاة النّبي وبيَّنت التخاصُم الذي وقع طلباً للخلافة» [١]، وفيها تحدّثت عن الآثار الوخيمة التي ظهرت في المجتمع بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم جرّاء اغتصاب الخلافة من محلّها، فبدأت عليها السلام بوصف فشل المهاجرين والأنصار في المرحلة التي مرّوا بها بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله وسلم الذي طالما سمعوه يقول: (يا علي أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبي بعدي) [٢]، ويقول صلى الله عليه وآله وسلم: (علي أخي ووصيّي ووزيري وخليفتي من بعدي) [٣]، وإذا بهم بعد وفاته ينسجون المُؤامرة فيُزيحون الخلافة عن صاحبها الشرعي الذي تحدّث عنها قائلاً: «إنّ محلّي منها محلّ القُطُب من الرّحى، ينحدر عنّي السيل ولا يرقى إليّ الطير» [٤].

وهذا ما يتجسّد في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام في نساء المهاجرين والأنصار:

«وَيْحَهُمْ أَنَّى زَعْزَعُوهَا عَنْ رَوَاسِي الرسالة، وَقَوَاعِدِ النُّبوَّةِ والدَلالَة، وَمَهْبِطِ الرُوح الأَمِين، والطِبينِ بِأُمورِ الدُّنيا والدِّين؟! { أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ } [٥]. وَمَا الّذي نَقِمُوا مِنْ أَبِي الحَسَنِ عليه السلام؟! نَقِمُوا واللّهِ مِنْهُ نكيرَ سَيْفِهِ، [وَقِلَّةَ مُبَالاتِهِ لحتفِهِ]، وَشِدَّةَ وَطْأَتِه، وَنَكَالَ وَقْعَتِهِ،

---

(١) الأدب السياسي المُلتزم في الإسلام: ٩٦.
(٢) مسند أحمد بن حنبل: ١ / ٣٣٠.
(٣) تاريخ الأُمم والملوك: ٢ / ٢١٧.
(٤) نهج البلاغة: ١ / ٢٥.
(٥) الزمر / ١٥.

وَتَنَمُّرَهُ فِي ذَاتِ اللهِ. وتاللهِ لَوْ مَالُوا عَنِ المَحَجَّةِ اللايِحَة، وَزَالُوا عَنْ قَبُولِ الحُجَّةِ الواضِحَة، لَرَدَّهُم إِلَيْهَا، وَحَمَلَهُم عَلَيْهَا، وَلَسَارَ بِهِمْ سَيْراً سُجُحَاً، لا يَكْلَمُ خِشَاشُه، ولا يَكِلُّ سَائِرُه، ولا يَمَلُّ راكِبُه، ولأوردَهُم مَنْهلاً نَمِيراً صافياً رويّاً، تطفحُ ضِفّتاه، وَلا يترَنَّقُ جانباه، وَلأصْدَرَهُمْ بِطاناً، وَنَصَحَ لَهُم سِرّاً وإعْلاناً» [١].

فهنا تدرّجت الخطيبة منطقيّاً في خطابها لتُعالج أعظم الأمورِ وأخطرها، ألا وهو الإمامة، فأخذت تُظهر عجبها من الأمور وتصرّف الدّهور، وتستمر في سياق خطبتها لتكشف عن جلال مُرتقى الإمامة وشامخ مقام الإمام عليه السلام مُتّخذة من الوصف عُنواناً على الموصوف، ومن مواقفه الحكم للموضوع، فكيف وإلى أين نَحُّوا الإمامة وأبعدوها عن مواطنها، ومن كلام السّيدة الزهراء عليها السلام يظهر لنا أنّ أساس رأس الحكومة الإسلامية هم أهل البيت عليهم السلام، وخلاف تسلمهم لها فإنّ الأمة الإسلامية ستكون في خلاف مستمر، والفرقة ستحدث بينهم بلا شكّ، وهي إنّما عمدت إلى الإشارة إليها بعد اغتصابها من صاحبها الشرعي، ولعلّ الأيام التي أعقبت كلامها أثبتت ذلك.

ويبدو أنّ صوتها، حينما خرجت لتخطب في مسجد أبيها لم يسمعه إلا نفر قليل - إنّ ما سُمِعَ من خطابها ليس كلامها المنطوق - إنّ ما دونه التأريخ من ذلك الخطاب، هو المعنى - هو الفكر - هو التمرد على كلّ ما هو ظلم وجور... لقد شرحت في الخطاب رسالة أبيها - لا لتشرح الرِّسالة - بل لتُعيّن مركزها من الرّسالة - مركز علي منها - ولقد طالبت بالإرث، مثبتة

(١) بلاغات النساء: ٢٠، دلائل الإمامة: ٤٠، نثر الدُّر: ٨ - ٩، الاحتجاج: ١ / ٢٨٧ - ٢٨٩.

أنّ لها حقّاً فيه كما لكلّ النبيّين من وراء آبائهم [١]، وهي عليها السلام كانت تعلم بأنّ مطالبتها بفدك لن تُعيد إليها الأرض، لذلك فإنّها لم تطلب أرضاً فيها نخيل ولم تقصدها، بل قصدت إرثاً آخر، إرثاً فيه عزّة النّفس، وأصالة الحقّ، فضلاً عن عنفوان الرِّسالة ورأس سياسة الدّولة الإسلامية [٢].

وقد صرّحت بذلك في خُطبتها عليها السلام أمام المهاجرين والأنصار في مسجد أبيها حينما قالت: «وطاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً من الفرقة» [٣]، إذ قصدت عليها السلام أنّ طاعة أهل البيت عليهم السلام عامل إيجابي لاستقامة الأمّة، كونهم خلفاء الله في أرضه، ولأنّهم وجود مقدّس لا باطل ولا ضلال، وفي ذلك إشارة منها إلى قضيّة سياسيّة ألا وهي رئاسة الأمّة الإسلاميّة من قبل أهل البيت عليهم السلام، لا لأجل المنصب، بل لأنّ إمامتهم عليهم السلام ضمان لسلامة الأمّة وتوحّدها، ذلك أنّ إمامتهم عليهم السلام صمّام الأمان لوحدة المسلمين وعدم تشتّتهم، إذ إنّها تنطلقُ من نصٍّ إلهيٍّ في تنصيب وتولية الأمر إلى الإمام علي عليه السلام، وهذا التنصيب لم يرد بحقِّ إمامة أخرى، وعلى ذلك فإنّ المسلمين إذا لم يُفرّطوا بهذه الإمامة فسيكونون جماعة واحدة لا يُفرّقهم شيء، ويؤيّد ذلك قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «النُّجُوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمّتي» [٤].

---

(١) ظ: فاطمة الزهراء وتر في غمد: ١٣١ - ١٣٢.

(٢) ظ: م ن: ١٣١.

(٣) دلائل الإمامة: ٣٣. الاحتجاج: ١ / ٢٥٨.

(٤) ينابيع المودّة: ٢٠.

ولفهم الحديث المتقدّم يتوجّب ضمّهما إلى قول السيدة فاطمة عليها السلام: «وإمامتنا أماناً من الفرقة»، فستكون النتيجة أنّ المقصود بإمامة أهل البيت عليهم السلام أن يكونوا على رأس الحكومة الإسلامية، لا أن يلتزموا بيوتهم لا حول لهم ولا قوّة، أو كانوا مُشرّدين، فإنّ الخلاف والفرقة سيحصلان قطعاً، لذا فإنّ حديثي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقول الخطيبة عليها السلام تستدعي العمل الحثيث من أجل إعادة السُّلطة إلى أصحابها (أهل البيت عليهم السلام)، وهذه نتيجة واضحة من خلال خطاب السيدة الزهراء عليها السلام، ولاسيّما أنّها أدلت بها في أثناء اغتصاب الخلافة[١] بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتطرّقت لشجونها وأشارت في أكثر من موضع من خُطبتها أمام المهاجرين والأنصار إلى أنّهم قد مالوا بها عن موطنها [٢].

ومضامين السياسة في خُطب السيدة الزهراء عليها السلام الأُخرى

(١) ظ: فاطمة الزهراء عليها السلام شخصيّتها / ظلامتها (رؤية جديدة): ٢٦٤.

(٢) ظ: خطبة السيدة الزهراء عليها السلام على القوم لّما منعوها فدك، بلاغات النساء: ١٢ - ١٩، دلائل الإمامة: ٣٠ – ٣٩، نثر الدُر: ٥ - ٨، الاحتجاج: ١ / ٢٥٣ - ٢٧٨، وخطبتها أمام نساء المُهاجرين والأنصار: بلاغات النساء: ١٩ - ٢٠، دلائل الإمامة: ٣٩-٤١، نثر الدُّر: ٨ - ٩، الاحتجاج: ١ / ٢٨٦ - ٢٩٢، ففيهما تطرقت إلى مسألة الخلافة وأحقيّة أهل البيت عليهم السلام فيها، وكانت إشاراتها ببُعد نظر نتيجة خبرتها بشؤون الحياة وشجونها وآلامها فلمحت في خُطبتها أمام نساء المهاجرين والأنصار بقولها: ((فَيَا حسرةً لَكُمْ! وَأَنَّى بِكُم)) إلى تخاصم أهل البيت في الخلافة، ممّا حدا بها إلى تحذيرهم من سوء العاقبة، وبالفعل تُشير الكتب التأريخية إلى ما حلّ بأهل المدينة بعد بيعة عثمان بن عفّان التي مهّدت إلى الحكم الأُموي، الذي خاض وقعة الحرّة واستباح المدينة سنة ٦٣ هـ.

فضلاً على التي ذكرناها إنّما جاءت استكمالاً لنظائرها من المضامين الدينيَّة والاجتماعيَّة، وكأنّما حدت بها الرغبة إلى إشباع هذا الجانب في نفس المُتلقّي وإشراكه في القضيّة التي ثارت شجونها (الخلافة)، وهي عليها السلام إنّما أعطت من خُطبها مساحة واسعة للمضامين السياسيَّة ذلك أنّ أهل البيت عليهم السلام إنّما يبتغون من السياسة الإصلاح، ولذلك نجد المؤثرات الدينية تُغطي بشكلٍ واسع تلك الموضوعات السياسيَّة التي تطرّقت إليها، فحينما تأتي بالجهاد تذكر الإسلام (والجهاد عزّاً للإسلام)، وحينما تذكر طاعتهم المفروضة من قبل الباري عز وجل تأتي معه بلازم نظام الأمّة الإسلاميّة (وطاعتنا نظاماً للملّة)، وبعد أن تذكر الخلافة تربطها بالرِّسالة (ويحهم أنّى زحزحوها عن رواسي الرِّسالة)، وهذا يدلُّ على أنّ المؤثر الإسلامي مُلازمٌ لأغلب مضامينها السياسيّة، ويُعدُّ هذا نوعاً من التداخل بين الحسّ السياسي والدِّيني وليس هذا بغريب، إذ إنّ أهل البيت عليهم السلام لا يفصلون بين الدِّين والسياسة.

وجديرٌ بنا بعد أن تطرّقنا إلى المضامين السياسيَّة في خُطب السيدة الزهراء عليها السلام أن نذكر بأنّها موسوعة ثقافيّة ووثيقة تأريخيّة بكلّ ما حوته من مضامين سياسيّة دلّت على جوهر المواقف التي مرّ بها آل البيت عليهم السلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وكما تصدّت السيدة الزهراء عليها السلام سياسيّاً تصدّت ابنتها العقيلة زينب عليها السلام بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام حينما وقفت مُتحدّيةً يزيد بن معاوية بقولها: «أَظَنَنْتَ يَا يَزِيْدُ أنّك حينَ أخَذْتَ عَلَيْنَا أقطارَ الأرضِ، وَضَيَّقْتَ عَلَيْنَا آفَاقَ السَّمَاء، فَأَصْبَحْنَا لك في إِسار، نُسَاقُ إليك سَوقاً في

قِطار، وأَنْتَ علَينا ذو اقتِدار أَنَّ بِنَا مِنَ اللّهِ هَوَانَاً وعلَيْكَ منه كَرَامةً وامتِنانـاً، وَأَنَّ ذَلِكَ لِعِظَم خَطَرِكَ، وجلالة قَدْرك، فَشَمَخْتَ بِأَنْفِكَ، وَنَظَرْتَ فِي عِطْفِك، تَضْرِبُ أَصْدَرَيْكَ فَرِحاً وتنْقُضُ مِذْرَوَيْكَ مَرَحاً حِيْنَ رَأَيْتَ الدُّنيا لَكَ مُسْتَوْسِقَةً والأُمُورَ لَدَيك مُتَّسِقَةً وَحِيْنَ صفَا لَكَ مُلْكُنَا، وَخَلُص لَكَ سُلْطَانُنَا، فَمَهلاً مَهْلاً»[1]، وقد كشفت في خُطبتها عليها السلام هذه عن حكمه الباطل، وأعلنَتْ أمام الحاضرين بأنّ المُلك والسُّلطة إنّما لأهل البيت عليهم السلام حينما قالت: (حين صفا لك مُلكُنا وسُلطاننا)، وهي بذلك تكشف عن قضيّة سياسيّة بشجاعة فائقة، وتتدرّج بحديثها لتُبيّن أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم جدّها هو الذي «أرسى دعائم الدِّين بأحكام أمر الإمامة والخلافة في صفوة عترته وأهل بيته، فعليٌّ إمام ووصي ووارث، ومن بعده ابناه وسبطا رسول الله الإمام الحسن فالإمام الحسين»[2]، وهذا الخطاب من السيدة زينب عليها السلام يكشف عن شجاعتها، إذ خاطبت من لا يجرؤ أحد على تكليمه وفضحته أمام الخلائق، وكشفت عن أحقّيّة أهل البيت عليهم السلام في تولّي السّلطة، وإنّه وأباه مغتصبان لها.

ولم تكتفِ بذلك، بل أشارت إلى حدث سياسي مهمّ حينما قالت: «أمِنَ العَدْل يا بنَ الطُلَقَاءِ تخديرُكَ حرائِرَك وإماءَك، وَسَوقُكَ بناتِ رسولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم»[3]، وبه تُحطّم كبرياء ذلك الحاكم الجائر باستخدامها كلمة (يا ابن الطلقاء)، إذ بها أعلمت الحاضرين بأنّ يزيد الحاكم

(١) نثر الدُر: ١٧ - ١٩، الاحتجاج: ٢ / ١٢٤.
(٢) زينب والظالمون: ١١٠.
(٣) بلاغات النساء: ١٢، نثر الدُر: ١٨، الاحتجاج: ٢ / ١٢٥.

عليهم، والمُسيّر لأمور بلادهم، إنّما هو من سُلالة الطُّلقاء الذين أطلقهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد فتح مكّة وامتلاكه لرقابهم ودمائهم، لكنّه صلى الله عليه وآله وسلم أطلق سراحهم، وكان أبو سفيانَ وهند وابنهما معاوية على رأس الطّلقاء المُعتقين، والخطيبة عمدت إلى ذكر هذه الحادثة التأريخيّة السياسيّة، لتؤكّد مآل الحُكم إلى من لا يستحق بعد أن هزلت المقاييس (١).

وبذلك تكون السيدة زينب عليها السلام قد أشارت إلى مسألة مهمّة جداً وهي أنّ هذه الدولة والكيان الإسلامي إنّما شادته سُيُوفُ بني هاشم وتضحيات آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالدرجة الأولى (حين صفا لك مُلكنا وسلطاننا)، فأهل البيت عليهم السلام هم أصل القيادة الحقيقيّة للأمَّة الإسلاميّة، وإليهم يعود الفضل (٢)، ولاسيّما للرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذي عفا عن الطُّلقاء من أسلاف يزيد.

نستشفّ من ذلك أنّ السيدة الزهراء عليها السلام والسيدة زينب عليها السلام قد اشتركتا في إظهار قضيّة مهمّة من خلال خُطبهنّ، ألا وهي (الإمامة)، والهدف واحد وهو «بثّ الدعوة لأهل البيت ونشر فضائلهم ومحاسنهم ومثالب غيرهم ومساوئهم، وإفهام النَّاس جميعاً أنّ الإسلام في حقيقته لا يقومُ على التلفُّظ بالشهادة وتأدية الفرائض المكتوبة وكفى، بل لابُدّ أولاً وقبل كلّ شيء من التصديق بما جاء به محمّد، وممّا جاء به وجوبُ

---

(١) ظ: زينب والظالمون: ١١٧ - ١١٨.

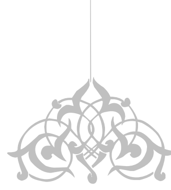
(٢) ظ: دور نساء آل البيت السياسي والفكري في معركة الطف (اطروحة) دكتوراه: ٢٧٩ وما بعدها.

التّمسّك بالكتاب والعترة»[١].

من هذه المضامين السياسية في خطب سيدات البيت النبوي تتجلّى روحيّة الخطيبات الهادفة إلى الإصلاح والإرشاد لا إلى السُّلطة بما هي سُلطة، فقد كشفن في خُطبهنّ من خلال التعرّض لمسألة الخلافة (الإمامة) عن المآل والمصير الذي ستؤول إليه البلاد الإسلاميَّة إذا لم تنهض الأُمَّة لتصحيح المسار وضبط زمام الأُمور لإصلاح الأمر وتوجيه الموقف، مُتّخذاتٍ سندهنّ السياسي في أثناء خطاباتهنّ من واقع آثار الفوضى التي حلّت بالمجتمع في مرحلتين؛ الأولى ما بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والأخرى ما بعد واقعة كربلاء وقتل الإمام الحسين عليه السلام، فكان من الطبيعي أن تعرض كلّ خطيبة ما ضمّنته لخطبتها من موضوعات سياسيّة في سياق تلك الأنماط الخاضعة لآثار هذه الفوضى، ولذلك كانت تلك المضامين بمثابة إظهار لما في نفس الخطيبات من رسم ومنهج وخُطّة في الأمور السياسيّة المُرتبطة بالرّسالة المُحمّدية.

---

(١) ظ: زينب والظالمون: ١٤٧ - ١٤٨.



المبحث الثالث: المضامين الاجتماعيّة

استطاعت خُطب سيّدات البيت النبوي أن تُغطّي مساحة واسعة من الموضوعات الاجتماعيّة عبر فِقْراتها المُتنوّعة، وبدت مضامينها رهناً بما كانت تمرُّ به الخطيبات، ولكنّها - في هذا الإطار - ظلّت مشوبة بالمطالب الاجتماعيّة وما يرتبط بها، ونتيجة ذلك بدا المؤثّر الإسلامي رافداً من روافدها، ممّا حدا بالبحث أن يصف بعض تلك المضامين الاجتماعيّة ضمن سياق اللّون الديني الصريح، وهذا ما يبدو من خلال عرض تلك المضامين التي تُعدُّ بمثابة المرآة العاكسة لواقع الحياة وطبيعة الفكر الإنساني السائد لما تضمّنته من قيم وعلاقات اجتماعيّة سائدة في المجتمع آنذاك، ومثال ذلك ما ورد في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام في المسجد: «فَجَعَلَ اللّهُ الإيمانَ؛ تَطهيراً لَكُم مِنَ الشِّرك، والصَّلاةَ؛ تنْزيهاً لَكُمْ عَنِ الكِبرِ، وَالزّكاة؛ تَزكِيَةً للنَّفْسِ، وَنَمَاءً فِي الرِّزْقِ، والصِّيامَ؛ تَثْبِيتاً للإخلاصِ، والحَجَّ؛ تَشْيِيداً للدِّين، والعَدْلَ؛ تَنْسِيقاً للقُلُوبِ، وَطَاعَتَنَا؛ نِظاماً للمِلّةِ، وإمامَتَنَا؛ أَمَاناً مِنَ الفِرْقَةِ، والجِهَادَ؛ عِزّاً للإسلام، [وَذُلّاً لأهلِ الكُفْرِ والنّفاق]، والصَّبْرَ؛ مَعُونَةً على استِيجَابِ الأَجْرِ، والأَمْرَ بِالمعرُوفِ؛ مَصْلَحَةً للعَامَّةِ، وَبِرَّ الوَالِدَينِ؛ وِقَايَةً من

السَّخَطِ، وَصِلَةَ الأَرْحَامِ؛ منسأةً في العُمر ومنماةً للعَدَدِ، والقِصَاصَ؛ حَقْنَاً للدِّمَاءِ، والوَّفَاءَ بِالنَّذْرِ؛ تَعْرِيضَاً لِلمَغْفِرَة، وَتَوْفِيَةَ المَكايِيلِ وَالمَوَازِينِ؛ تغييراً لِلْبَخْسِ، والنَّهْيَ عَنْ شُرْبِ الخَمْرِ؛ تَنْزِيهاً عَنِ الرِّجسِ، وَاجْتِنَابَ القَذْفِ؛ حِجَاباً عَنِ اللَّعْنَة، وَتَرْكَ السَّرِقَةِ؛ إِيْجَاباً لِلعِفَّةِ، وَحَرَّمَ اللّهُ الشِّرْكَ إخلاصاً له بالرّبوبيّة فـ { اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }[١]، وأطيعوا الله فيما أمركم به و[ما] نهاكم عنه، فإنّه { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ }[٢]»[٣]، إذ إنّها عليها السلام قد ضمّنت هذا المقطع من خطبتها مضامين اجتماعية متعدّدة، وقد وشّحتها بمؤثّر ديني، وهذا لا يعني أنّ هذه المضامين دينية، إذ إنّ «المؤثر الديني شيء والخطابة الدّينيّة شيء آخر مختلف تماماً»[٤]، والخطيبة إنّما عمدت إلى المؤثرات الدّينيّة لكونها راسخة في فكر المتلقّين، لذلك آثرتها لتَجذُب انتباههم وتشُدّ أذهانهم، وسأُفصّلُ الشرح في مضامين هذا المقطع وصولاً إلى أنواع مضامينها الاجتماعيّة بدءاً من قولها: «فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك»، إذ إنّها عليها السلام تؤكّد انزياح ظاهرة الشرك التي كانت مُتفشّية في المجتمع الجاهلي، وحلول الإيمان محلّها، ونمو عمليّة التطهير، واعتقد أنّها عمدت إلى مفردة (الشرك) مقابل كلمة (التوحيد)، فالشرك هو ما يُخالف التوحيد بكلِّ ما يحمل من معنىً للذّات المقدّسة.

---

(١) آل عمران / ١٠٢.

(٢) فاطر / ٢٨.

(٣) بلاغات النساء: ١٦، دلائل الإمامة: ٣٢ - ٣٣، الاحتجاج: ١ / ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٤) النثر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي (دراسة تحليليّة): ٢٠٥.

وفي قولها: (والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر) نجدها عليها السلام تجعل من الصلاة لازماً أخلاقيّاً، وهنا يتّضح التأثير الدّيني في خطابها، فقد أشارت عليها السلام إلى أنّ الصلاة تنزيهٌ عن الكبر، وهذا واضح من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ (١)، و«المنكر هو كلّ ما يُنكره العقل والشرع. والكبر، الذي تنزّه عنه الصلاة منكر عقلاً وشرعاً فالعقل يقول: إنّ النّاس سواسية فلماذا يتكبّر زيد على عمرو؟ والشرع يقول: الكبر رداء الله فمن تكبّر فقد نازع الله رداءه» (٢).

والخطيبة عليها السلام أرادت من ذلك أن تُبيّن أنّ الصلاة هي التي تقوم بهذه الوظيفة الأخلاقيّة التي تترك آثارها الإيجابيّة على عموم المجتمع إذا ما التزم بها أفراده.

ومن المُنطلق نفسه توجّهت إلى الزّكاة بقولها: (والزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق) لتُفصح عن بعض آثارها الأخلاقيّة، إذ إنّها تُزكّي النّفس، وهذا المعنى مُستمدٌّ من قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ ﴾ (٣)، فالزكاة لا تُمثّل حركة ماديّة في المجتمع فحسب؛ بل تتعدّى ذلك لتُمثّل ارتفاعاً في روحيّة العطاء، بحيث يشعر الإنسان بطهارة نفسه، وهو يُؤثّر في المحرومين ويُساعدهم، وهكذا تتدرّج عليها السلام حينما تقول: (والصيام تثبيتاً للإخلاص) وهذا لازم أخلاقي، إذ ركّزت على العلاقة الوطيدة ما بين الاثنين، فالصوم ليس ظاهراً للعيان، لذلك فخيرُ ملازم له هو الإخلاص.

---

(١) العنكبوت / ٤٥.

(٢) فاطمة الزهراء عليها السلام شخصيّتها، ظلامتها (رؤية جديدة): ٢٦١.

(٣) التوبة / ١٠٣.

وأتت بعد ذلك بعبارة: (والحج تشييداً للدِّين) ذلك أنّ فريضة الحج لها أثر في تشييد دعائم الدّين، فهو على الرغم ممّا يُلاقيه مؤدّيه من تعب ونصب وتعرّض للخطر، إلا أنّه مستمر على مدار السنين، فالحشود متواصلة في سيرها لأدائه، وهذا يدلُّ أنّ سبب أدائها هو الدافع الدِّيني انطلاقاً من قوله تعالى: { وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً }[١]، وإلى جانب ذلك تتجلّى فيه آثارٌ جمّةٌ ذات منافع كبرى تعود على المجتمع، فمنها اجتماع المسلمين في مكان واحد، وتبادل الثقافات والآراء وطرح الأفكار السياسيّة منها والاجتماعيّة، وهذه الأمور مجتمعة في الحجّ إذا ما وظّفت بشكلٍ صحيح فستعود بمنافعها على المجتمع، وهذا ما أرادت الخطيبة عليها السلام الإشارة إليه.

ثُمَّ أكّدت على أهمّية العدل في تنظيم وتنسيق القلوب، فقالت: (والعدل تنسيقاً للقلوب)، وقد أرادت من ذلك أن تُبيّن بأنّ المجتمع إذا كان مُعتمداً في نظامه على مبدأ العدل، فإنّه بلا شكّ سيزخر بالأمن والاستقرار، وسوف لن يُواجه أيّة مشكلات، وهي بهذا الإيراد أكّدت على قضيّة اجتماعيّة كُبرى من المُمْكن أن تنهار مجتمعات بأكملها عند غيابها أو عدم وجودها.

وتستمر السيدة الزهراء عليها السلام في ذكر المضامين الأخلاقيّة بطريقة ذات أبعاد جديدة يغلب عليها منطق الصّراع ولُغة التّحدّي حينما تقول: (والصبر معونة على استيجاب الأجر)، وكأنّها عمدت إلى ذكر الصبر بشكلٍ مباشر، كونه يخصّ الإنسان المؤمن، وهي في ظرف كان يتطلّب منها الصبر

(١) آل عمران / ٩٧.

لمواجهة التّحديات، إذ إنّ الصبر وظيفته المقاومة.

وفي كلامٍ وجّهته إلى المتلقّين من المهاجرين والأنصار أرادت فيه بيان مصلحة الأمّة الإسلاميّة القائمة على مبدأ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر بقولها: (والأمر بالمعروف مصلحة للعامّة) فيه تكامل حركة المجتمع في إصلاح الواقع، لأنّ الناس إذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضعف المجتمع وسار نحو الانهيار، ذلك أنّ مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فضلاً عن أنّ باعثه ديني إلا أنّه إذا لم يُمارس فستنعدم الرِّقابة العمليّة، وسوف يُسيطر من يصنع المُنكر على المجتمع ويُفسده حتماً [(١)].

واستمرّت الخطيبة عليها السلام في تنبيه المُتلقّين وحثّهم في مواضع كثيرة، لتعزيز موقفهم وهم ينتقلون إلى وضع جديد ممزوج بحيثيّات ذات أبعاد متحوّلة، بما حملته تلك الأبعاد من الانخراط في زحام اللاواقع، وكثرة الفتن، وتباين الفرق والاتجاهات، ممّا حدا بها إلى رفد خُطبتها بدلالات اجتماعية أغنت فيها التجربة الإبداعيّة صدقاً فنّيّاً وواقعيّة، ومنحتها بُعداً زمنيّاً ومكانيّاً خالداً في ضمير المتلقّين، فكانت مضامينها الاجتماعية مقدّمة بطريقين؛ هما الردع لبعض القيم المفروضة، وتعزيز القيم التي أمر الله عز وجل نبيّه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بها من خلال القرآن الكريم والسُّنّة النّبويّة لترسيخهما، وهذا ما يتجسّد في قولها: «وَبِرَّ الوَالِدَينِ؛ وِقَايَةً من السَّخَطِ، وَصِلَةَ الأَرْحَامِ؛ منسأةً في العُمر ومنماةً للعَدَدِ، والقِصَاصَ؛ حَقْنَاً للدِّمَاءِ، والوّفَاءَ بِالنَّذْرِ؛ تَعْرِيضاً لِلمَغْفِرَة، وَتَوْفِيَةَ المَكايِيلِ وَالمَوَازِينِ؛ تغييراً لِلْبَخْسِ، والنَّهْيَ عَنْ شُرْبِ الخَمْرِ؛ تَنْزِيهاً عَنِ الرِّجسِ، وَاجْتِنَابَ القَذْفِ؛ حِجَاباً عَنِ

(١) ظ: فاطمة الزهراء عليها السلام شخصيّتها، ظلامتها (رؤية جديدة): ٢٦٦.

اللَّعْنَة، وَتَرْكَ السَّرِقَةِ؛ إِيْجَاباً لِلعِفَّةِ» (١)، فهنا ذكرت عليها السلام مضامين اجتماعيّة على وفق رؤيتها الجديدة لهذا المجتمع المتحوّل، ورؤيتها هذه مستمدّة من تعاليم الدِّين الإسلامي، فهي تُذكّر بأنّ رضا الله عز وجل مرهون برضا الوالدين، وإذا ما تحقّق هذا الرِّضا فسيكون الأفراد في حماية من كلّ الأخطار المُحدِقَة بهم من قبل الأعداء، هذا إلى جانب أداء التّكاليف الأخرى، وصلة الأرحام تزيد رزق الفرد وتُنمي المجتمع، وأمّا مسألة القِصاص فهي إشارة منها إلى هذه المعالجة التي يُراد بها حماية حقوق الأفراد ومن ثمّ المجتمع، ذلك أنّ القصاص هو ليس جريمة بقدر ما هو عقوبة للمُجرم، فضلاً عن أنّه بمثابة أُسلوب لردع الآخرين ومنعهم من الاعتداء على غيرهم من النّاس.

وضمّنت عليها السلام خطبتها قضايا اجتماعية أخرى كـ(النهي عن شرب الخمر)، لأنّه يضر بالإنسان مادّيّاً ومعنويّاً، وبما أنّ الإسلام يُريد مصلحة الإنسان ويهدف إلى تحقيقها، فقد جاء التشريع بالنهي عنه من أجل إحراز طهارته فهو رجس، وهذا التشريع إنّما جاء لمصلحة الفرد أولاً، ومن ثمّ المجتمع، والخطيبة تهدف إلى إيراد هذا المضمون لتُحقّق غايتها في نُصحهم وإرشادهم لئلا يعودوا أدراجهم إلى الجاهليّة التي ما انفكّ أبناؤها يُغادرون شرب الخمر الذي يذهب بعقولهم ويدفعهم إلى فعل ما لا يُحمدُ عقباه ممّا تترك آثارها على المجتمع.

و(اجتناب القذف)، وفي ذلك أشارت الخطيبة عليها السلام إلى قضيّة اجتماعية مُهمّة، إذ إنّ قذف الناس بعضهم لبعض يدفع بالمجتمع نحو الرذيلة،

---
(١) دلائل الإمامة: ٣٣، الاحتجاج: ١ / ٢٥٩.

فلو انشغل الأفراد بتبادل هذه التعابير لمالوا عن الاستقامة والتوحّد والشعور بالمسؤولية والانتماء للإنسانيّة المنصهرة داخل المُجتمع، ولكون القذف يُنافي هذه الأهداف فقد نهت عنه الشريعة، وعمدت الخطيبة إلى التذكير به في نصّ خُطبتها التي استجمعت فيها جمعاً من المضامين الاجتماعيّة.

و(ترك السرقة)، لأنّها لو حلّت في المجتمع وانتشرت بين أفراده لاضمحلّ الأمان وغاب الاطمئنان، فهي وازع للخوف، ومغيبة للعفّة، ومُضيعة لنزاهة الفرد داخل مُجتمعه.

وهي قد عمدت إلى ذكر هذه القضايا الاجتماعيّة سعياً منها لإصلاح النفس والأُمة، وإدراكاً منها بعُمق تلك السّمات على الفرد والمجتمع، وقد عمدت عليها السلام إلى مسألة التفصيل في كلّ قضيّة تطرّقت إليها لِتُبيّن ما تتركه من آثارٍ إيجابيّةٍ أو سلبيّةٍ في حياة الفرد والمُجتمع لبناء مجتمع إسلامي موحّد.

وفي خُطبتها عليها السلام أمام نساء المهاجرين والأنصار تتجسّد لنا جُملة من المضامين الاجتماعية في قولها: «لَفَظَتْهُمْ بَعْدَ أَنْ عَجَمَتْهُمْ، وَشَنَأَتْهُمْ بَعْدَ أَنْ سَبَرَتْهُم، فَقُبْحاً لِفُلُولِ الحدِّ، واللَّعبِ بَعْدَ الجِدّ»[1]، فهنا توجّهت عليها السلام بخطابها إلى ذلك الجمْع لتُصرّح بأنّهم كالسيف المهشوم، لا بل كالقناة الهشّة الضّعيفة، إذ إنّهم يميلون إلى فساد الرأي ويتّبعون ما تسوّله لهم أنفسهم، لذلك فإنّ الله قد غضب عليهم، وسيخلدون حتماً في العذاب كونهم استجابوا للدُّنيا التي أوثقتهم بعرى حبالهم، وألبستهم عارها بعد أن أخضعتهم بغاراتها، فأضحوا من الظالمين، فحبس الله عنهم كُلّ خير،

(١) الاحتجاج: ١ / ٢٨٦ - ٢٨٧.

وسيُلبِسُهُم ثوب الخزي والعار [١]، لتركهم الحقّ واتّباعِهِم الباطل، وهي بذلك قدّمت صورة عن صفات ذلك المجتمع.

وفي خُطبة السيدة زينب عليها السلام في أهل الكوفة تتجسّد جُملة من المضامين الاجتماعيّة التي عمدت فيها إلى ترك بصمات مؤثّرة في ذلك المجتمع بقولها: «يَا أَهْلَ الكُوفَةِ! يَا أَهْلَ الخَتْلِ والغَدْرِ أتبكون؟ فَلا رَقَأَتِ الدّمعة، ولا هَدَأَتِ الرنَّة، إِنَّمَا مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الَّتي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُم دَخَلاً بَيْنَكُمْ، ألا وهَلْ فِيكُمْ إلا الصَّلَفُ والشَّنَفُ، وَمَلَقُ الإِماءِ، وَغَمْرُ الأَعْداءِ» [٢]، فهنا شخصت عليها السلام مجموعة من الصفات النفسيّة غير الصالحة التي تفتك بالمجتمع كالغدر والمراوغة والصلافة... إلخ من الصفات التي تؤدّي إلى ضياع المجتمع، وغياب المثل والقيم فيه حينما تحلّ محلّها مثل صفات كهذه، فهي عليها السلام تواجههم بعد جريمتهم النكراء لتوقفهم عند حقيقتهم وتُحلّل شخصيّاتهم التي حوت على تلك الصفات الرّذيلة، ثُمَّ عمدت عليها السلام إلى مَثَلٍ مُقتَبَسٍ من القرآن لتستثمره في تمثيلهم بالمرأة الحمقاء التي تغزل ثُمّ تنقض غزلها ولا يزال ذلك دأبها، والخطيبة عليها السلام هنا جعلتهم رمزاً ومثلاً للحُمْق، وقد أضافوا إلى ذلك الحمق نفاقاً وخيانة ومكراً، وقد استندت الخطيبة عليها السلام في استنتاج تلك الصفات والحُكم على مُجتمع أهل الكوفة إلى نظرها الدقيقة ودراستها المستوعبة لشخصيّاتهم [٣].

---

(١) ظ: الأدب السياسي المُلتزم في الإسلام: ٩٠ - ٩١.

(٢) الاحتجاج: ٢ / ١١٠.

(٣) ظ: زينب والظالمون: ٧٧ - ٨٥.

وتعمد السيدة زينب عليها السلام إلى تقريع وتأنيب أهل الكوفة بكلمات لاذعة تهدف من خلالها إلى توعية الغافلين في ذلك المجتمع، وتنوير عقول الجاهلين بحقيقة ما جرى على الآل من ظلم، ممّا حدا ببعضهم إلى أن يتنبّهوا من غفلتهم، وأخذ الجاهل فيهم يستبصر، فضجّ هؤلاء بالبُكاء وبدا الندم واضحاً على ملامحهم، وذلك حينما قالت عليها السلام: «أَلا سَاءَ مَا قَدَّمَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ، وَسَاءَ مَا تَزِرُونَ لِيَومِ بَعْثِكُمْ ، فَتَعْسَاً تَعْسَاً! ونَكْسَاً نَكْسَاً! لَقَد خَابَ السَّعْيُ، وَتَبَّتِ الأَيدي، وَخَسِرَتِ الصَّفْقَةُ، وَبُؤْتُمْ بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ، وَضُرِبَتْ عَلَيكُمُ الذِّلَةُ والمَسْكَنَةُ»[1]، فهنا حين أوردت (تعساً، نكساً، تبّت الأيدي، بؤتم) قد وصلت أقصى درجات التقريع لبيان حقيقة ما وصل إليه هذا المجتمع.

ومثل ذلك نجده أيضاً في خُطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليها السلام بقولها: «يَا أَهْلَ الكُوْفَةِ! يَا أَهْلَ المَكْرِ والغَدْرِ والخُيَلاء، إنّا أَهْلُ بَيْتٍ ابْتَلانَا اللّهُ بِكُمْ، وابْتَلاكُمْ بِنَا»[2]، فقد آثرت في خُطبتها تشخيص تلك الصّفات الذميمة التي اتّصف بها أهل الكوفة، وهي بذلك صوّرت المجتمع عن طريق نتاجها الأدبي بلوحة فنّيّة رسمت فيها أبعاد تلك الصفات التي تركّزت في أهل الكوفة، وقد أثّرت بالمتلقّي من خلال تثبيتها لتلك الصفات والبرهنة عليها من جهة، ومن خلال انطلاقها من واقع حسّ الخطيبة عليها السلام الانفعالي وموقفها إزاءهم، فضلاً عن مادّة ثقافتها ومصادر فكرها المستمدّة من روح الدّين الإسلامي.

---

(١) الاحتجاج: ٢ / ١١١.

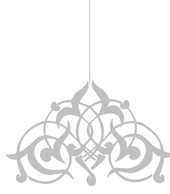
(٢) اللّهوف في قتلى الطفوف: ٩٦.

من خلال الأمثلة التي ذكرناها في نصوص خطب سيدات البيت النبوي يُمكن القول في توافر المضامين الاجتماعيّة على وفق مقاييس الصّدق التي صدرت عنهنّ، وكان لها أثرٌ كبير في استنهاض الجمهور المتلقّي وإيثاره لاستيعاب ما يُراد بالأمّة الإسلاميّة من تفكيك، وما يُدار حولها من مؤامرات، لتدميرها والقضاء على كلّ مقدّراتها.

وقد حرصت الخطيبات من خلال هذه المضامين على تجلية الظواهر الاجتماعيّة الخاصّة بكلّ جزئية من جزئيّات المُجتمع، محاولةً منهنّ النّصح والإرشاد فضلاً عن الإصلاح، ولم تأخذ هذه المضامين منحىً إحصائيّاً بقدر ما أخذت شمولاً واتّساعاً لإشباع الحاجة وتَطَلُّب الموقف، فضلاً عن طبيعة المُعالجة التي كانت كلّ خطيبة تهدف إليها وتعمد إلى إشراك المُؤثّر الدِّيني فيها كقاسم مشترك بينها وبين المُتلقّي.

الفصل الثاني: سبل أداء المعنى في الخطب

* المبحث الأوّل: اللفظ وأثره في السياق
* المبحث الثاني: التراكيب
* المبحث الثالث: الأساليب



المبحث الأول: اللّفظ وأثرهُ في السَّياق

إنّ للألفاظ وسائلَ كثيرةً ومنافذ واسعةً في التعبير عن المعاني التي ينشدها الخطيب، كونها الأدوات المُعبرة عن الدِّلالات الكامنة في نفس المُتكلِّم، ولهذا «ينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف وقبل أن تصير الصورة التي بها يكون الكلم إخباراً وأمراً ونهياً واستخباراً وتعجّباً، وتؤدي في الجُملة معنىً من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضمّ كلمة وبناء لفظة على لفظة»[1]، نلحظ أنَّ الجرجاني (ت ٤٧١ أو ٤٧٤هـ) يحثُّ على تنسيق الكلمات بعضها مع بعض، لأنّه بحُسن التنسيق يتّضح المعنى، ذلك «أنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة، وأنّ الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللّفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك ممّا لا تعلّق له بصريح اللّفظ، وممّا يشهد لذلك أنّك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثُمَّ تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر»[2]، وقد أشار الجرجاني (ت ٤٧١ أو ٤٧٤هـ) إلى وجوب تلاؤم الألفاظ بعضها مع

(١) دلائل الإعجاز: ٤٠.

(٢) م ن: ٤٢.

بعض، وهذا ممّا يُضيف إلى التعبير دِقَّة أكثر؛ لأنَّ «حُسْن الرَّصفِ أنْ تُوضَع الألفاظُ في مواضعها، وتمكن في أَمَاكنها، ولا يُستعملُ فيها التقديمُ والتأخيرُ، والحذف والزيادة إلا حَذفاً لا يُفْسِد الكلامَ، ولا يُعمّي المعنى، وتضم كلّ لفظة منها إلى شكلها»[١]، إذن للألفاظ أهمية كبيرة من حيث كونها الأداة الأساس في التعبير، ولكن هذه الألفاظ إذا لم تخضع لمعايير فنّيّة، فإنَّها بلا شكّ ستفقد قيمتها، التي تتأتّى من تشكيلتها الحسنة، كما هو الحال في خُطب سيدات البيت النبوي، إذ نجد التنوع الواضح للألفاظ، ممّا أدى إلى أن تُحقّق الألفاظ إفادة كبيرة لدلالات مختلفة، ولا يخفى أنَّ لطبيعة موضوع الخُطبة أثراً في تنوُّع الألفاظ، التي تأخذ دورها في أداء المعاني وترتيب المفردات.

وسيدات البيت النبوي كُنَّ حريصات على استعمال كلِّ لفظة في مكانها من السّياق، حتّى تحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها، لذا فإنَّنا نجد في نصوص خُطبهنّ المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة، لارتباط الألفاظ بعضها ببعض، ممّا أدّى إلى أن تكون لكلّ كلمة وقعها في النفوس، وإنّنا إذا ما ألقينا نظرة على هذه النُصوص تجلّى لنا أنّ جُملة كبيرة منها قد طغى عليها الطابع الدِّيني المزوج بالخطاب الفنّي الذي أثرى بدوره الأدبَ العربيّ، فغدت تلك الخُطب تتَّسم بفكرٍ تأصّل بمضامين نبيلة، وهذا الاستعمال للألفاظ الإسلاميّة زاد الخُطب سموّاً ورِقيّاً، كون الخطيبات كنّ يتكلّمن في زمن أصبح الفكر الإسلامي هو المهيمن والمُغذّي للعقول، وأيضاً كنّ ممّن وضعن اللّفظ في محلّه على وفق بِنية التشكيل اللّفظي، وبما يتناسب مع موضوع الخُطبة، وحال المُخاطبين.

---

(١) دلائل الإعجاز: ٤٤.

ومن شواهد ذلك ما ورد في خُطبة السيدة الزهراء عليها السلام في المسجد: «فَجَعَلَ اللّهُ الإيمانَ: تَطهيراً لَكُم مِنَ الشِّرك، والصَّلاةَ: تنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ الكِبرِ، وَالزّكاة: تَزكِيَةً للنَّفْسِ، وَنَمَاءً فِي الرِّزْقِ، والصِّيامَ: تَثْبِيتَاً للإِخلاصِ، والحَجَّ: تَشْيِيداً للدِّين، والعَدْلَ: تَنْسِيقاً للقُلُوبِ، وَطَاعَتَنَا: نِظاماً للمِلّةِ، وإمامَتَنَا: أَمَاناً مِنَ الفِرْقَةِ، والجِهَادَ: عِزّاً للإسلام، [وَذُلاً لأهلِ الكُفْرِ والنّفاق]، والصَّبْرَ: مَعُونَةً على استِيجَابِ الأجْرِ، والأَمْرَ بِالمعرُوفِ: مَصْلَحَةً للعَامَّةِ، وَبِرَّ الوَالِدَينِ: وِقَايَةً من السَّخَطِ، وَصِلَةَ الأَرْحَامِ: منسأةً فِي العُمر ومنماةً للعَدَدِ، والقِصَاصَ: حَقْنَاً للدِّمَاءِ، والوَفَاءَ بِالنَّذْرِ: تَعْرِيضاً لِلمَغْفِرَة، وَتَوْفِيَةَ المَكاييلِ وَالمَوَازينِ: تغييراً لِلْبَخْسِ، والنَّهْيَ عَنْ شُرْبِ الخَمْرِ: تَنْزيهاً عَنِ الرِّجسِ، وَاجْتِنَابَ القَذْفِ: حِجَاباً عَنِ اللَّعْنَة، وَتَرْكَ السَّرِقَةِ: إِيْجَاباً لِلعِفَّةِ، وَحَرَّمَ اللّهُ الشِّركَ إخلاصاً له بالرّبوبيّة»[١]، فنلحظ هنا أنّ الألفاظ الإسلاميّة قد جاءت متوالية ومتناسقة في معانيها على الوجه الدَّقيق، وما يؤكّد ذلك أنّها عليها السلام وفقت في نقل الأحكام والتشريعات التي جاءت في القرآن الكريم بما يتناسب وفهم المتلقّين.

ونجد لبعض المواقف أثراً في اختيار الألفاظ رقّةً أو خشونة، كما في خُطبة السيدة زينب عليها السلام أمام يزيد «فو[اللهِ] الذي شَرَّفَنا بِالوَحْي والكِتاب، والنُبوّة والانتجَاب، لا تُدركُ أَمَدَنا، وَلا تَبْلُغ غايَتَنا، ولا تَمْحُو ذِكْرَنَا، [وَلا يَرْحَضُ عَنْكَ عَارُ مَا أَتَيْتَ إلينا أبداً]، وَهَل رَأْيُكَ إلا فَنَد، وأيامُكَ إلا عَدَدْ، وَجَمْعُك إلا بَدَدْ، يومَ يُنادي المُنادي ألا لعن الظالم العادي»[٢]، لقد امتازت

(١) بلاغات النساء: ١٦، دلائل الإمامة: ٣٢ - ٣٣، الاحتجاج: ١ / ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٢) الاحتجاج: ٢ / ١٣٠.

الألفاظ في هذا المقطع بالتنسيق والوضوح، وإنّ الذي زادها تماسكاً توظيف الخطيبة كلّ لفظة في بيان معنى بحسب ما يقتضيه الحال، ففي البدء أتت باللّفظ السهل (الوحي، الكتاب، النبوة) بحُسن صياغة، وقوّة نظم، ثم استعملت (عارُ ما، فند، يرحض، بدد، الظالم، العادي) وهي ألفاظ تميلُ إلى الخشونة.

وفي الخُطبة نفسها نلمح ألفاظاً توحي بالعِزَّة والإباءِ في قولها: «مع أنّي والله يا عدو الله وابن عدوه أستصغر قدرك وأستعظم تقريعك، غير أن العيون عبرى، والصدور حرّى، وما يجزي ذلك أو يغني عنّا»[1]، والخطيبة هنا أوجدت كيفيّة واضحة بطريقة خاصّة، آلفت فيها بين الكلمات ونظّمتها بنسق كشف عن العِزِّ والإباءِ اللذين كانت الخطيبة تتمتّع وتتّصفُ بهما على الرغم من الظروف التي تمرُّ بها.

وهناك سمة غلبت على ألفاظ الخُطب، حتّى تفاضلت فيها مراتب البلاغة، وهي أنّها كانت تتواءم على وفق أنظمة وأنساق فكرة كلِّ خطيبة، ثُمَّ إنَّ سهولة الألفاظ ووضوحها فضلاً على جزالتها أدَّت إلى أن يكون للخطاب وقعٌ في نفوس السامعين، وكان الابتعاد عن الحوشيّ والغريب إنَّما لعدم تواؤُمه وفكر السامعين، والخطيبات لم يَكُنَّ يُرِدْنَ للسَّامعين الابتعاد كثيراً والتفكير في المعاني أو التأويل في العبارات، وبذلك نستطيع القول إنّ هذه الخُطب قد غيَّرت معياريّة نمط القوّة في الألفاظ بحُلّة جديدة من حيث وضوحها ودقَّتها وصياغة نظمها، ومن ذلك قول السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليها السلام: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَرِيَ عَلَيْكَ الكَذِبَ، وَأَنْ أَقُولَ خِلافَ مَا أَنْزَلْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَخْذِ العُهُودِ لِوَصِيِّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالبٍ عليه

(١) بلاغات النساء: ٢٢. نثر الدُّر: ١٨.

السلام، المَسْلُوْبِ حَقُّهُ، المَقْتُوْلِ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ، كَمَا قُتِلَ وَلَدُهُ بِالأَمْسِ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوْتِ اللّه، وبِهَا مَعْشَرٌ مُسْلِمَةٌ بِأَلْسِنَتِهِمْ»[١]، فهذا النَّص لم يحوِ من الألفاظ ما يحتاج إلى التَّأمُّل والتفكُّر، بل الضّد من ذلك، فقد اتسم بالوضوح، وعدم التنافُر، فضلاً عن الدِّقَّةِ في المعنى، والسامع كان مُدرِكاً لذلك منذ اللَّحظة التي وصل فيها جرس الألفاظ إلى أُذُنه.

وممَّا يُلحظ أنّ بعض الألفاظ قد فرضت وجودها في جُملة سياقات على وفق نكات بلاغيَّة، كما في صياغة الألفاظ بصورة المُخاطب حينما خاطبت العلويات[٢] أهل الكوفة بـ«يَا أَهْلَ الكُوفَةِ! يَا أَهْلَ الخَتْلِ والغَدْرِ والخَذْلِ والمَكْرِ»[٣]، إذ تمخَّضَ الخطاب عن صيغة واحدة، وهذا إمّا لكون السياق بطبيعته قد تطلَّب ذلك، أو قد يكون بسبب الاختلاط في نقل الخطب من قبل الرواة.

وهناك طريقة تعبيريَّة (للألفاظ المُفردة) في خُطب السيدة الزهراء عليها السلام نجدها قد تمّت على وفق ترتيبٍ خاصّ وتوالٍ دقيق، ممَّا جعلها مُتعلِّقة ببعضها، ومن ذلك قولها وهي تُخاطب المهاجرين والأنصار في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «أَلا وَقَد أَرَى أنْ قَد أَخْلَدْتُمْ إِلى الخَفْضِ وَأَبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالبَسْطِ والقَبْضِ، وَخَلَوتُم بِالدِّعَةِ وَنَجَوتُم بِالضِّيقِ مِنّ السِّعَةِ، فَمَجَجْتُمْ مَا وَعَيْتُم، وَدَسَعْتُم الَّذي تَسَوَّغْتُم فـ{ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي

(١) اللّهوف في قتلى الطفوف: ٩٦، الاحتجاج: ٢ / ١٠٥.

(٢) السيدة زينب عليها السلام والسيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليها السلام.

(٣) ظ: خُطبة السيدة زينب عليها السلام أمام أهل الكوفة في الاحتجاج: ٢ / ١١٠، وخُطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليها السلام في في قتلى الطفوف: ٩٦، وفي الاحتجاج: ٢ / ١٠٦.

الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [١] ألا وَقَدْ قُلْتُ مَا قُلْتُ هَذَا عَلَى مَعْرِفَةٍ مِنِّي بِالخَذْلَةِ الَّتي خَامَرَتْكُم، والغَدْرَةِ الَّتي اسْتَشْعَرَتْهَا قُلُوبُكُمْ، وَلَكِنَّهَا فَيْضَةُ النَّفْسِ، وَنَفْثَةُ الغَيْظِ، وَخَوَرُ القَنَاةِ، وَبَثَّةُ الصَّدرِ، وَتَقْدِمَةُ الحُجَّةِ، فَدُونَكُمُوهَا فَاحْتَقِبُوهَا دَبِرَةَ الظَّهْرِ، نَقِبَةَ الخُفِّ، بَاقِيَةَ العَارِ، مَوْسُومَةً بِغَضَبِ اللهِ وَشَنَارِ الأَبَدِ» [٢]، وفي هذا النَّص نُلاحظ الترتيب الواضح والدقيق للألفاظ المُتَّسمة بالجزالة والسُّهولة، على الرغم من ورود بعض الألفاظ الغريبة مثل (دسعتُم، سوَّغتُم)؛ وذلك لأن المقام دعا الخطيبة إلى أن تستجلي معنى النَّص، وقد عمدت عليها السلام إلى ذلك لتُوقع في روع المُتلقِّي المعاني المطلوبة، لذلك عدلت من السهولة والوضوح إلى الغرابة بعض الشيء ثُمَّ عادت أدراجها لانتقاء الألفاظ الجزلة، ولو دققنا في ألفاظ هذه الخُطبة لوجدناها تُطابق معناها، وفي ذلك يقول الجرجاني (ت٤٧١ أو ٤٧٤هـ): «إنّه لا يتصور أو تعرف للفظ موضعاً من غير أن تعرف معناه ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيباً ونظماً وإنَّك تتوخَّى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك، فإذا تمَّ لك ذلك اتبعتها الألفاظ وقفوت بها آثارها وإنَّك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحُكم أنَّها خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها وأنَّ العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النُّطق» [٣]، وهذا ما يُلاحظ فعلاً في خُطبة الزهراء عليها السلام في المسجد.

---

(١) إبراهيم / ٨.

(٢) الاحتجاج: ١ / ٢٧٣ - ٢٧٤.

(٣) دلائل الإعجاز: ٤٧.

ولأجل أن يكون الحديث على الألفاظ بصورة أدقّ؛ فإنّي آثرت الحديث عنها في نُصوص الخُطب كما يأتي:

أولاً: الموروث الديني

حينما جاء الإسلام جاءت معه الثّقافات بمُختلف أنواعها واتجاهاتها، واتّسعت باتّساع مجالات الحياة، والأدبُ واحِدٌ من الثقافات التي تطوّرت واتّسع ميدانها، وذلك لتأثّره بالثقافة الإسلاميّة المُتمثّلة بما يأتي:

أ - القرآن الكريم

يُعدّ القرآن الكريم المصدر الأساس لانتقاء الألفاظ ذات الإيحاء الدلالي والمعنى الرّاقي، وذلك لإعجازه الذي شكّل ظاهرة تنزع إليها النّفوس، ويتوقُ لها الحِسُّ البلاغي المُرهف، وهذا ما سعت السّيدات إلى الاستفادة منه في خُطبهنّ، حتى يُشدَّ المُتلقّي ويُلفتَ انتباهُه، حيث يكون في غاية التفاعل مع النّص المُمتزج بكلامِ الباري عزّ وجلّ، الذي يعتمد على الكلمة، ويُعنى باللّفظة، ولبيان ذلك فإنّي سأتحدّثُ عن تأثّر الخطيبات بالقرآن الكريم وتأثيرهنّ من خلاله في المتلقّين، إذ كان هذا التأثُّرُ بالألفاظ أكثرَ عُمقاً، وأوقعَ دِلالة، ولذلك نَلحَظُ كثِرَةَ اقتباساتهنّ للألفاظ القُرآنيّة التي منحت الخطب بعض سمات النص القرآني المتمثّلة بانتقاء المفردة الموحية[١]، ومن ذلك قول السّيدة الزّهراء عليها السلام في خُطبتها أمام المُهاجرين والأنصار في مسجد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم في قولها: «فَأَنَارَ اللّهُ بِأَبِي مُحمّد صلى الله عليه وآله وسلم ظُلُمَهَا، وَكَشَفَ عَنِ القُلُوبِ بُهَمَهَا، وَجَلَى عَنِ الأَبْصَارِ

(١) ظ: التصوير الفنّي في خُطب الإمام علي عليه السلام (رسالة ماجستير): ٨٣.

غُمَمَهَا»[١]، ففي قولها عليها السلام (غُممها) - وهي جمعُ غُمَّة - [٢] استثمارٌ للفظـة (غُمَّـة) الـواردة في قولـه تعـالى: ﴿ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾[٣]، وهنا يظهر مستوى الانتقاء اللّفظي لدى الخطيبة، إذ تردّدت صيغة اللّفظ المستوحى من القرآن الكريم بصورة عفويّة، وهذا يدلُّ على حرص الخطيبة عليها السلام على انتقاء ألفاظها بدقَّة لتؤدّي دورَها ضمن سياق الخُطبة التي صَدَرَتْ من واقعِ حسٍّ منطقيٍّ واعٍ استندت إليه الخطيبة عليها السلام، وهذا ما نلحظُهُ في هذا المقطع من خُطبتها بالمسجد «مَعَاشِرَ المُسلِمِينَ المُسرِعَة إلى قِيلِ البَاطِلِ، المُغْضِيَةَ عَلَى الفِعْلِ [القَبِيحِ] الخَاسِرِ، ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٤]؟ كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِكُم مَا أَسَأْتُم مِنْ أَعْمَالِكُم»[٥]، إذ إنّها عليها السلام اقتبست ألفاظها من قوله تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٦]، وأيضاً أفادت من قوله تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٧]، وقد حققت بهذه الاقتباسات الإفادة من لفظ الآيات وأسلوبها، وهي عليها السلام في معرض الحديث عن الذين يبخسون حقوق الناس في المكيال والميزان ولا يفوهما، ومعنى الآية كذلك، وهذا يدلُّ على أنّ الخطيبة ذات براعة كبيرة، إذ

---

(١) بلاغات النساء: ١٥، دلائل الإمامة: ٣٢، الاحتجاج: ١ / ٢٥٧.
(٢) يقال: أمرٌ غُمَّةٌ بالضم: أي مُبْهَمٌ، القاموس المُحيط: ١ / ١٤٧٦.
(٣) يونس / ٧١.
(٤) محمّد / ٢٤.
(٥) الاحتجاج: ١ / ٢٧٨.
(٦) المطّففين / ١٤.
(٧) محمّد / ٢٤.

وُفِّقَت في تضمين خُطبتها ألفاظاً مستمدّة من النصوص القرآنيـة، فهـي تـدافع عن قضيّة وتتبنّى رؤيـةً، وتنتـصر لموقـف، وهـذا يتطلّـب منـها اختيـاراً دقيقـاً للألفاظ القُرآنيّة المُضمّنة في خُطبتها.

بينما نجدها عليهـا الـسلام في خطبتـها أمـام نـساء المهـاجرين والأنـصار تُـضمّن خطبتـها ألفاظـاً قُرآنيّـة لغـرض المُحاججـة في قولهـا: «يَحسَبونَ أنَّهُـم يُحْسِنُون صُنْعاً، ﴿ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ ﴾[1]، ويحهـم ﴿ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾؟![2]»[3]، فهنـا اقتبـست عليهـا الـسلام قولـه تعالى: ﴿ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[4]، لتُوظِّفَ ما جاء فيه من ألفاظ لمحاججة المتلقين، وهذا يدُلُّ على سعة ثقافتـها القرآنيّـة، إذ تُوَفَّـقُ في اقتبـاس الألفـاظ وتستثمرها لصالح القضيّة التي تخطب من أجلها، ويظهر من هذا الانتقاء للفظ القرآني قوّة الخطيبة وقُدرتها على استجماع المفـردات القرآنيـة الدّالّـة علـى مـا ترمي إليه عليها السلام مـن وراء مُخاطبتـها لنـساء المهـاجرين والأنـصار، لمـا تحمله من دلالات لفظيّة استنكاريّة. أمّا السّيدة زينب عليها السلام فقـد كـان القرآن الكريم المصدر الأوّل والمنبـع الأسـاس الـذي تنـهَلُ مـن ألفاظـه، ففـي خطبتها أمام يزيد نلمس فاعلية هذا المصدر، إذ تبتَـدِئُها بـنصٍّ قـرآني وتنـهيها

---

(١) البقرة / ١٢.

(٢) يونس / ٣٥.

(٣) بلاغات النساء: ٢٠، دلائل الإمامة: ٤٠، نثر الدُر: ٩، الاحتجاج: ١ / ٢٩٠.

(٤) يونس / ٣٥.

بإشارة إلى معانٍ مُستقاةٍ من القرآن الكريم[١].

ومن قولها: «فَلَئِنِ اتَّخَذْتَنَا مَغْنَماً لَتَجِدَ بِنَا وَشِيْكاً مَغْرَماً، حِيْنَ لا تَجِدُ إلا مَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ، وَمَا اللهُ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ، فَإِلى اللهِ المُشْتَكَى والمُعَوَّل»[٢] نلحظ أنها عليها السلام اقتبست عدّة ألفاظٍ قرآنية، من نصوص مختلفة منها قوله تعالى: { إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا }[٣]، وقوله تعالى { ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ }[٤]، وقوله عز وجل: { ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ }[٥]، وقوله تعالى: { ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ }[٦]، ففي قولها: (ما قدّمت يداك) صلة بـ(ما قدّمت يداه) الموجود في الآية المُباركة، وهذه الصّلة إنّما تأتّت من مُحاكاة الخطيبة عليها السلام لألفاظ القرآن، وهذا يدل على أنّ الخطيبة تنطلق في اختيار ألفاظها من أُصول دينيَّة بحتة، تهدف منها ترسيخ المبادئ والقيم الدينية.

وفي نهاية خُطبتها التي تقول فيها: «أسأل الله أن يرفع لهم الدّرجات وأن يوجب لهم المزيد من فضله فإنّه وليٌّ قدير»[٧]، نلحظ وفرة من الألفاظ

(١) ظ: خطبتها أمام يزيد: بلاغات النساء: ٢١ - ٢٣، نثرُ الدُّرّ: ١٧ - ١٩.
(٢) الاحتجاج: ٢ / ١٢٩ - ١٣٠.
(٣) النّبأ / ٤٠.
(٤) آل عمران / ١٨٢.
(٥) الأنفال / ٥١.
(٦) الحج / ١٠.
(٧) بلاغات النّساء: ٢٣، نثر الدُر: ١٩.

القُرآنيّة التي أبدعت فيها عليها السلام بحيث عُدّ اقتباسُها من «أنجح ما ضمّنه المرتجل، وأرجح ما استعان به المُحتفل، لأنّه الموعظة الحسنة، والحُجَّةُ البالغة والحكمة الباهرة» (١)، إذ إنّها استمدّت مُفرداتها من قولِهِ تعالى: ﴿ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٢)، فأصبحت ألفاظُها سمة فنّيّة بمثابة علامة مميّزة في خطبتها عليها السلام إلى جانب سماتٍ أُخرى ارتبطت بهذا الانتقاء اللّفظي من النّص القرآني على مستوى الأداء الفنّي الذي تعدّى العفوية في اختيار اللّفظ الإسلامي.

وأمّا في خُطبتها عليها السلام في أهل الكوفة فإنّها تستمد من القرآن الكريم مثلاً وتُجسِّدُهُ في صورة من خلال اقتباسها لأكثر ألفاظ ذلك النّص بقولها: «إِنَّمَا مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الَّتي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُم دَخَلاً بَيْنَكُمْ» (٣)، فقد وفِّقت عليها السلام هنا في استثمار قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ ﴾ (٤)، وإلى جانب الأخذ الواضح من الخطيبة عليها السلام من ألفاظ هذا النّص القرآني، نجدها قد أفادت من المثل القرآني لتُشبّه القوم الذين نقضوا العهد بالمرأة التي نقضت غزلها، وهذا يدلُّ على قوّة الخطيبة وثقافتها عليها السلام وتمكّنها من مُحاكاة أسلوب القرآن الكريم بأسلوبٍ تلقائيٍّ خالٍ من الصنعة والتكلُّف، ومما يذكر أنّها عمدت إلى هذا

(١) أحكام صفة الكلام لذوي الوزارتين: ١٦٩.

(٢) النساء / ٩٦.

(٣) اللّهوف في قتلى الطّفوف: ٩٤، الاحتجاج: ٢ / ١١٠.

(٤) النّحل / ٩٢.

النّص القرآني للمثل الموجود فيه، والذي يُمثّل صورةً حيَّةً تُمثّل مشهداً من مشاهد الواقع الذي يفهمه المتلقّي وقتذاك، وهكذا تستمرّ الخطيبة عليها السلام في بقيّة خطبتها من حيث استثمارها للألفاظ والنّصوص فضلاً عن المعاني، وبه تُبدع في فِقْرات خُطبها من حيث مزجها لكلام القرآن وألفاظه بكلامها بأسلوبٍ أدبيٍّ رفيع، تمخّض عنه تكوّن صورة مؤثّرة نتيجة اختيار هذه الوفرة من الألفاظ الانفعالية التي صدرت من الخطيبة بطريقة فنيّة، إذ أوصلت الخطيبة فكرتها إلى المُتلقّي الذي كان في قمّة الاستعداد لفهم كلّ ما تعرضه عليها السلام من أفكار.

ب - الحديث النّبوي الشريف

يُعدُّ الحديث النّبوي ثاني أهمّ ركيزة في التُراث الإسلامي بعد القرآن الكريم، لما يتضمّنه من مُعطيات، يُمكن أن يستمد منها المُبدع ما يحتاجه في إنشائه ولاسيّما الخطيب الذي أشدّ ما يكون بحاجة إلى اقتباس شذرات من الحديث النبوي الشريف لخطبه، ذلك «لأنّه منبع مهمّ من منابع الثّقافة الإسلامية وأصل من أُصول تراث الأمّة الإسلاميّة في العمل والسلوك والأخلاق»[1]، فضلاً على أنّه يُعدُّ موسوعةً فكريّة وعقيديّة يُمكن أن تُغذّي عموم الأدب ولاسيّما الخُطب، إذ إنّها حفلت باقتباسه من قبل المنشئين، وذلك لحاجة المُنشئ في إيراد الأدلّة النقليّة أو البراهين العقليّة، هذا بشكلٍ عام لدى الخُطباء العرب، وأمّا أهل البيت عليهم السلام فقد جعلوا الحديث بعد

(١) شعر رثاء الإمام الحسين عليه السلام في العراق ابتداءً من سنة ١١٠٠هـ وحتى ١٣٥٠هـ - (رسالة ماجستير): ٥٢.

القرآن في استشهادهم وتضمينهم في أثناء كلامهم وخطاباتهم، وخطيبات البيت النبوي ممّن عمدن إلى رفد خطبهنّ بالسنة النبوية (قولاً وفعلاً وتقريراً)؛ وذلك لما تحمله هذه الأحاديث من دِقَّة في التعبير وجودة في السّبك، فهو كلام فوق كلام المخلوقين وتحت كلام الخالق من حيث دِقّة بلاغته وقوّة فصاحته، إذ «لم يسمع الناس بكلام قطّ أعمّ نفعاً، ولا أصدق لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين في فحواه من كلامه صلى الله عليه وآله وسلم»[(١)].

والخطيبات إنّما عمدن إلى تضمين خطبهنّ بعض ألفاظ الحديث النبوي للإفادة من معاني تلك الألفاظ التي تحمل طابع الرِّسالة الإسلاميّة من جهة، ولأنّه يُعدُّ المصدر الثاني للتشريع بعد القُرآن الكريم، فضلاً عن أنّه صادرٌ من أبلغ العرب قاطبة، وكذلك الإيماء إلى العلاقة التي تربطهم به صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد تجسّد الاقتباس من الحديث الشريف في خطبهنّ بطُرُقٍ مختلفة ومتنوّعة، تنمُّ عن ثقافة إسلاميّة ومقدرة بلاغيّة، ففي خطبة السيدة الزهراء عليها السلام نجد الاقتباس النّصي للحديث الشريف مع الإشارة إليه في قولها عليها السلام: «يَا مَعْشَرَ النَّقِيْبَة وَأَعْضَادَ المِلَّةِ وَحَضَنَةَ الإِسْلام، مَا هَذِهِ الغَمِيزَةُ فِي حَقِّي والسِّنَةُ عَنْ ظلامَتِي؟ أَمَا كانَ رَسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم أَبِي يَقُولُ: المَرءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ»[(٢)]، فهنا ذكرت الخطيبة عليها السلام

(١) البيان والتبيين: ١/٢٢١.

(٢) بلاغات النساء: ١٧، نثرُ الدُّرّ: ٧، الاحتجاج: ١ / ٢٦٩.

أنّ هذا القول إنّما هو للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والخطيب يلجأ إلى ذلك سعياً منه لإكساب النّصوص الخطابيّة حافزاً معنويّاً القصدُ منهُ تقوية الحُجّة وإقامة الدّليل من جهة وتوشيحها بخصائص التصوير النبوي في الإيجاز والاستيفاء[١] من جهة أخرى.

وهذا النوع من التضمين يُعدّ أقلّ أنواع التضمين في خُطب السيدات، وذلك لحاجة المُنشئ الماسّة إلى الدّعم لقرآني الذي سبق ذكره والحجّة الدامغة لما ورد على لسان النّبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فالخطيبة عليها السلام في موقف يتطلّب إظهار الحجّة فيه، ودعمها بالأدلّة.

ونلحظ أنّ السيدة زينب عليها السلام تعمد إلى انتقاء الألفاظ من الحديث الشريف، لِتُفيد منه مصدراً من مصادر الإثراء اللّفظي، ويتمثّل ذلك في قولها عليها السلام ليزيد: «أمِنَ العَدْلِ يا بنَ الطُلَقَاءِ تخديرُكَ حرائِرَك وإماءَك، وَسَوقُكَ بناتِ رسولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم»[٢]، فلفظة (الطلقاء) مُقتبسة من حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكّة، وقد أوردها عليها السلام لتُذكّر المُخاطب بحادثة تأريخية[٣] يتجسّد فيها الأصل الذي يعود إليه، وهي بهذا التّضمين غير التام للحديث الشريف

(١) ظ: التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية من مكة إلى المدينة (رسالة ماجستير): ٣٣ وما بعدها.

(٢) بلاغات النساء: ٢١، نثر الدُر: ١٨، الاحتجاج: ٢ / ١٢٥.

(٣) يوم فتح مكّة وقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأبي سفيان وأتباعه: (ما ترون أنّي فاعل فيكم، قالوا: خيراً، أخٌ كريم وابن أخٍ كريم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: اذهبوا فأنتم الطلقاء) ظ: سيرة ابن هشام: ٤ / ٣٤.

أعطت بُعداً موضوعيّاً يحمل معنىً دلاليّاً، إذ أكّدت فيه على أنّ ذويه كانوا أُسارى لدى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقد أطلقهم، وهي بهذه اللّفظة المُقتبسة من قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أحدثت تأثيراً في نفس المُتلقّي من خلال إثارته وإحباط عزيمته، وتجدُرُ الإشارة هنا إلى أنّ الخطيبة لم تلتزم بلفظ النّص أو تركيبه، بل اكتفت بالإشارة إلى الحدث وتضمينه المعنى من خلال اقتباس لفظة واحدة فقط.

بينما نجدها في خطبتها أمام أهل الكوفة تقتبس ألفاظاً من الحديث النبوي وتُسبغ عليها تغييرات في قولها: «وَلَنْ تَرْحَضُوها أَبَداً وَأَنَّى تَرْحَضُونَ قَتْلَ سَلِيلِ خَاتَمِ النُّبُوَّةِ، وَمَعْدِنِ الرِّسَالةِ، وَسَيّدِ شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَلاذِ حَرِيْمِكُمْ»[(١)]، فقولها (سيد شباب أهل الجنّة) إنّما اقتبسته من قوله صلى الله عليه وآله وسلم «الحسن والحُسَين سيدا شباب أهل الجنّة»[(٢)]، وضمّنته خطبتها مع تغيير عمدت إليه الخطيبة لينسجم تضمينها مع سياق خطبتها، وهذا إنّما يدلُّ على الثّراء اللّغوي الذي تملكه الخطيبة، إذ غيّرت في نصّ الحديث، وأثّرت في المُتلقّي من خلال هذا الاقتباس.

وفي اقتباس إشاري[(٣)] منها عليها السلام في أثناء خطابها هذا تقول: «هَلْ فِيكُمْ إلا الصَّلِفُ والعَجِبُ، والشَّنَفُ والكَذِبُ، وَمَلَقُ الإِماءِ، وَغَمْزُ الأَعْداءِ؟ أَوْ كَمَرْعَى عَلَى دِمْنَةٍ، أَوْ كَفِضَّةٍ عَلَى مَلْحُودَةٍ»[(٤)]، فمن الواضح في

(١) الاحتجاج: ٢ / ١١١.

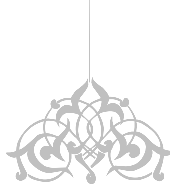
(٢) سنن الترمذي: ٤ / ٤٩٦، وظ: سنن ابن ماجه: ١ / ٩٩.

(٣) الاقتباس الإشاري: وهو ما أشار إليه المنشئ من الآيات، من غير أن يلتزم بلفظها وتركيبها، ظ: مُعجم آيات الاقتباس: ص١٩.

(٤) اللهوف في قتلى الطفوف: ٩٤، الاحتجاج: ٢ / ١١١.

قولها هذا أنّها قد أشارت إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إيّاكُم وخضراء الدّمن " قيل: يا رسول الله ومن خضراء الدّمن؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: [المرأة الحسناء في منبت السوء]»[1]، فهنا أخذت عليها السلام بعض لفظها من الحديث من دون أن تلتزم بتركيب نصّ الحديث، وإنّما اكتفت بالإشارة إلى المعنى، والمُلاحظ أنّها عليها السلام كانت حريصة في انتقاء اللّفظ المُناسب لسياق خُطبتها للإفادة من معناه من جهة، ولإثارة المُتلقّين من جهة أخرى.

(١) الكافي: ٥ / ٣٣٢، وظ: غريب الحديث: ١ / ٣٤٩.



المبحث الثاني: التراكيب

إذا كان الخطيب يحرص على إيجاد ألفاظ رشيقة ومتناسقة في سياقها، دقيقة في معانيها، فإنّه في المُقابل يسعى إلى جعل تلك الألفاظ في وحدة متراصّة، لتفيض بجمعها عن سمة فنيّة ضمن فكرةٍ أو هدفٍ واقعٍ في نصّ أدبيّ، ولهذا فإنّي سأتناول في هذا المبحث دراسة التراكيب في الخطب، ذلك أنّه من الواضح أنّها ناتجة عن اجتماع الألفاظ التي اختارها الخطيب وانتقاها ليُنشِئَ نصّه الأدبي في سياق من التعبير له مزاياه وخصائصه وفقاً للنّصّ الأدبي الذي يخضع له، وبما يتناسب ومستوى المتلقّي، وبخلاف ذلك فإنّه لا يكون للنّصّ قيمة فنيّة، فمثلاً الخطيب الذي يُعنى بالألفاظ ويُحسن انتقاءها ثم لا يُعنى برصفها رصفاً دقيقاً، فإنّه سوف لا يسمو بعمارة نصّه، ذلك لأنّ «حُسن التأليف يزيد المعنى وضوحاً وشرحاً، ومع سوء التأليف وَرَدَاءة الرَّصفِ والتركيب شعبة من التّعمية، فإذا كان المعنى سبيّاً، ورصف الكلام رَدِيّاً، لم يُوجَد له قبولٌ، ولم تظهر عليه طلاوة، وإذا كان المعنى وسطاً، ورصف الكلام جيّداً كان أحسن موقعاً، وأطيَبَ مستَمعاً، فهو بمنزلة العِقد إذا جُعِلَ كلّ خَرزَة منه إلى ما يَليق بها كان رائعاً في المَرأى وإن لم يكن مُرتفِعاً جَليلاً، وإن

اختلَّ نظمُه فضُمَّت الحبّةُ منه إلى ما لا يليق بها اقتحمته العينُ وإن كان فائقاً ثميناً»[١]، من هذا القول يتّضح أنّ أهمّية اللّفظ ورقيّه إنّما تتأتّى من تناسقه مع الألفاظ المجاورة له، واتساقه في تعابير ذات روعة وبيان.

وبما أنّ الخُطبة هي وحدة فنيّة تنتظم في فِقْراتها مجموعة من الموضوعات، فإنّه لابُدّ من أن يكون لها إطار خاص من الصياغة، من حيث ارتباط كلّ لفظ بالآخر، ثمّ ارتباط كلّ فِقْرَة بالأخرى، وهكذا ارتباط كلّ موضوع بما سبقه أو لحقه، ثم تجانس الألفاظ في وحدة موضوعيّة ذات لبنة قوية عليها يقوم ويرتكز النّصّ الأدبي.

والألفاظ لن تكون لها قيمتها ما لم توضع في تركيب قد تآلفت أجزاؤه جيداً، وفي ذلك يقول عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ أو ٤٧٤هـ): «أن ليس النظم سوى تعليق الكلِم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض. والكلم ثلاث اسم وفعل وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلُّق اسم باسم وتعلُّق اسم بفعل وتعلُّق حرف بهما»[٢]، ذلك أنّ نظم الكَلِم له قواعد وأُسس يتبعها المؤلف في صياغة الكلمات التي لابُدّ من أن تتوافق مع الموضوع لتؤدّي المعنى، فالتركيب ليس وضع الألفاظ أو المفردات الواحدة جنب الأخرى؛ بل يجب أن يكون ترتيب المفردات ترتيباً يُؤدي الغرض أو المعنى المنشود.

وما يهمُّنا بحثه هنا هو التراكيب في نصّوص خطب السيّدات، من حيث الخصائص والسمات والدلالة، ذلك أنَّ المفردات والألفاظ يكون لها

(١) كتاب الصناعتين: ١٦٧.

(٢) دلائل الإعجاز: ٥.

خصائصها وسماتها داخل التركيب، يقول الدكتور أحمد الشايب «وتبدو التراكيب في صورٍ شتّى من الرِّقّة والجزالة أو السهولة أو الصعوبة حسب المعاني التي تؤديها العبارة، وإنَّ العناصر التركيبيّة التي يرتبط بعضها ببعض في المعنى كأصل وتابع أو معنى وضدّه، وقد ركبت بنظام دقيق وتأليف مُنسق بحيث لا يتعب القارئ في تبين هذه الأصالة بين الأجزاء فينصرف عن المعنى»(١)، ولبيان ذلك في الخطب نورد أمثلة من شأنها أن تُفصح لنا عن قوّة التراكيب واستوائها.

ونلمس في هذه الخُطب جودة نظم التراكيب من حيث القوّة والتماسك ووحدة البناء ودِقّة المعنى، ومثال ذلك ما ورد في خُطبة السيدة الزهراء عليها السلام في المسجد «أَنْتُمْ عِبَادُ اللهِ نُصْبُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَحَمَلَةُ دِيْنِهِ وَوَحْيِهِ، وَأُمَنَاءُ اللهِ عَلَى أَنْفُسِكُم، وَبُلَغَاؤُهُ إلى الأُمَمِ، وَزَعَمْتُمْ حَقٌّ لَكُمْ، للهِ فِيْكُم عَهْدٌ قَدْ مَدّه إِلَيْكُم، وَبَقِيَّةٌ اسْتَخْلَفَهَا عَلَيْكُم: كِتَابُ اللهِ النَّاطِقُ، والقُرآنُ الصَّادِقُ، والنُّوْرُ السَّاطِعُ، والضِّيَاءُ اللامع، بَيِّنَةٌ بَصَائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرَائِرُهُ، مُنْجَلِيَةٌ ظَوَاهِرُهُ، مُغْتَبِطٌ بِهِ أَشْيَاعُهُ، قَائِدٌ إلى الرِّضوانِ اتِّبَاعُهُ، مُؤَدٍّ إلى النَّجَاةِ اسْتِمَاعُهُ، بِهِ تُنَالُ حُجَجُ اللهِ المُنَوَّرَةُ، وَعَزَائِمُهُ المُفسَّرة، وَمَحَارِمُهُ المُحَذّرَةُ، وَبَيِّنَاتُهُ الجَالِيَةُ، وَبَرَاهِينُهُ الكَافِيَةُ، وَفَضَائِلُهُ المَنْدُوبَةُ، وَرُخَصُهُ المَوْهُوبَةُ، وَشَرَائِعُهُ المَكْتُوبَةُ، فَجَعَلَ اللّهُ الإيمانَ؛ تَطهيراً لَكُم مِنَ الشِّرك، والصَّلاةَ؛ تَنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ الكِبرِ» (٢)، إذ إنّ التراكيب اتّسمت بالمتانة والدِّقّة، وكان للتّعابير جمالها في السياق، ودلالتها في أداء المعنى بِدِقّة، والمُلاحظ على هذا

(١) الأسلوب دراسة بلاغيّة تحليليّة لأُصول الأساليب الأدبيّة: ١٩٠-١٩٤.

(٢) بلاغات النساء: ١٦، دلائل الإمامة: ٣٢، الاحتجاج: ١ / ٢٥٧ - ٢٥٨.

النّصّ الذي أدّى وظيفته الخاصَّة بالكشف والبيان عن الأوامر والنواهي، وما تبعه القوم وما تركه، أنّ الخطيبة قد استثمرت فيه التراكيب الإسلاميَّة ذات الطابع الرشيق، كما في سائر خطبتها؛ إذ نجد مستويات مختلفة في التنظيم والتأليف بين العبارات التي صِيْغَت بشكلٍ فنّيٍّ متصلٍ في فِقْرَاتِه ومحبوكٍ في أجزائِه، ومُتميِّز باتصال كلِّ جزء بالذي قبله وبعده من حيث البناء الخارجي (الهيكل)، ومنظم بترابط واتصال الأدوات (المفردات) فنّيّاً من حيث المضمون، وهذا يدلّ على أنّ الخطيبة تمتلك ثروة بلاغيّة ممتزجة بثقافة إسلاميّة.

وتبدو الجودة في النظم واضحة أيضاً في خطبتها عليها السلام أمام نساء المهاجرين والأنصّار:

«وَيْحَهُمْ أَنَّى زَعْزَعُوهَا عَنْ رَوَاسِي الرِّسالة، وَقَوَاعِدِ النُّبوَّةِ والدَلالَة، وَمَهْبِطِ الرُوح الأَمِين، والطِبينِ بأُمورِ الدُّنيا والدِّين؟! ﴿ أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾[1]. وَمَا الّذي نَقِمُوا مِنْ أَبِي الحَسَنِ عليه السلام؟! نَقِمُوا واللّهِ مِنْهُ نكيرَ سَيْفِهِ، [وَقِلَّةَ مُبَالاتِهِ لحتفِهِ]، وَشِدَّةَ وَطْأَتِه، وَنَكَالَ وَقْعَتِهِ، وَتَنَمُّرَهُ فِي ذَاتِ اللّهِ وتاللّهِ لَوْ مَالُوا عَنِ المَحَجَّةِ اللايِحَة، وَزَالُوا عَنْ قَبُولِ الحُجَّةِ الواضِحَة، لَرَدَّهُم إِلَيْهَا، وَحَمَلَهُم عَلَيْهَا، وَلَسَارَ بِهِمْ سِيْرَاً سُجُحَاً، لا يَكْلَمُ خِشَاشُه، ولا يَكِلُّ سَائِرُه، ولا يَمَلُّ راكِبُه، ولأَورَدَهُم مَنْهلاً نَمِيراً صافياً رويّاً، تطفحُ ضِفّتاه»[2].

وإلى جانب الجودة نلمس العناية بالأساليب الإنشائيّة والخبريّة داخل

(١) الزمر / ١٥.

(٢) بلاغات النساء: ٢٠، دلائل الإمامة: ٤٠، نثرُ الدُّرّ: ٨ - ٩.

وحدة النّصّ، ممّا أكسبه متانة في التأليف، وطلاوة في النسج.

ولأجل أن تتجلّى قضايا التركيب لنا بصورة أدقّ في نصوص خطب سيدات البيت النبوي؛ يجدُرُ بنا الوقوف على:

أولاً: التقديم والتأخير

من فنون البلاغة هو التقديم والتأخير، وأغلب الخُطباء يعمدون إليه إذا ما كان هناك بواعث داعية إليه، ومعناه في اللُّغة: «التقديم من (قدّم) أي وضعه أمام غيره، و(التأخير) نقيض ذلك»(١).

وهو: «أحد أساليب البلاغة، فإنّهم أتوا به دلالة على تمكنهم من الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق»(٢).

وفيه قال الجرجاني (ت٤٧١ أو ٤٧٤هـ): «هو باب كثير الفوائد، جمُّ المحاسن، واسع التصرُّف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعه ويُفضى بك إلى لطيفه، و... تنظر فتجد سبب أنْ راقك ولطف عندك أنْ قدّم فيه شيء وحول اللّفظ من مكان إلى مكان، واعلم أنَّ تقديم الشيء على وجهين - تقديم يُقال إنّه على نيَّة التأخير، وذلك في كُلِّ شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه وفي جنسه الذي كان فيه كخبر المبتدأ إذا قدّمته على

(١) مُقدِّمةُ كل شيء أَوله ومُقَدَّم كل شيء نقيض مؤخره، لسان العرب: مادة (قدم) ١٢ / ٤٦٥، والتأخير من تأخّر ضد القُدُمِ تقول مضى قُدُماً أي تَأَخَّرَ أو التأخر ضدّ التقدّم، لسان العرب: مادة (أخر) ٤ / ١١.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٣ / ٢٣٣.

المبتدأ والمفعول إذا قدّمته على الفاعل»[(١)].

وأشار أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) إلى أسلوب التقديم والتأخير بقوله: «ينبغي أن تُرتِّبَ الألفاظَ ترتيباً صحيحاً، فَتُقدّم منها ما كان يحسن تقديمه، وتُؤَخِّر منها ما يَحْسُنُ تأخيرُه، ولا تُقدّم منها ما يكونُ التأخيرُ به أحسن، ولا تُؤخِّر منها ما يكونُ التقديم به أليَق»[(٢)].

وفي خطب السيّدات لاحظنا أنَّ تقديم جزء من الكلام أو تأخيره لم يرد بشكلٍ عفوي في نظم فِقْرَات الخُطب، وإنَّما كان مقصوداً لغرض بلاغي.

ومن أمثلته ما ورد في خُطبة السيدة زينب عليها السلام في قولها: «وَيْلَكُمْ أَيَّ كَبِدٍ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم فَرَثْتُمْ؟! وَأَيَّ عَهْدٍ نَكَثْتُم؟! وَأَيَّ كَرِيمَةٍ لَهُ أَبْرَزْتُمْ؟! وَأَيَّ حُرْمَةٍ لَهُ هَتَكْتُمْ؟! وَأَيَّ دمٍ لَهُ سَفَكْتُمْ؟!»[(٣)]، فَهُنا قدّمت الخطيبة عليها السلام المفعول به (أيَّ) على الجُملة الفعليّة (فرثتُم ونكثتُم وأبرزتُم وهتكتُم وسفكتُم) لتصوّر عظم المأساة التي مرّت بها السبايا على يد أعداء أهل البيت عليهم السلام، وكان لتقديم المفعول به (أيّ) دليل على التخصيص.

وفي خُطبتها بالشام لجأت إلى تقديم بعض كلامها وتأخير بعضه الآخر في قولها: «أَنَّ بِنَا مِنَ اللهِ هَوَانَاً وعَلَيْكَ منه كَرَامةً وامتِنانَاً»[(٤)]، فـ(بنا) جار ومجرور، ولابُدّ للجار والمجرور من مُتعلّق، وفي كلام الخطيبة عليها السلام

---

(١) دلائل الإعجاز: ٨٢.

(٢) كتاب الصناعتين: ١٥٧.

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف: ٩٥، الاحتجاج: ٢ / ١١١ - ١١٢.

(٤) بلاغات النساء: ٢١، نثر الدُّر: ١٧، الاحتجاج: ٢ / ١٢٤.

مُتعلِّق بخبر (أنّ)، فقدّمت عليها السلام الجار والمجرور المُتعلِّق بالخبر، لتُدلل على أنّ ذلك محط الإنكار، وتحليل المعنى: (ليس بنا على الله هوانٌ، وأنت ليس لك عند الله كرامة).

وتزخر خُطب السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بأسلوب التقديم والتأخير لدواعٍ بلاغيّة، ونذكر على سبيل المثال قولها في أثناء خطبتها في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «{ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ }(١)؟!... أَفَعَلَى عَمدٍ تَركتُم كِتَابَ اللّهِ وَنَبَذْتُمُوهُ»(٢)، فأصل الكلام (أفتركتم كتاب الله على عمد) وقد قدّمت الخطيبة عليها السلام وأخرت لغرض التوبيخ والتقريع، فضلاً عن التعجب الاستنكاري.

وفي مقطع من خطابها تُقدّم وتُؤخّر لتؤكّد حقيقة هي واضحة كالشّمس في قولها: «مَا كَانَ أَبِي رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَنْ كِتَابِ اللّهِ صَادِفَاً، وَلا لأحكَامِهِ مُخَالِفَاً!»(٣)، نُلاحظ أنَّ التقديم والتأخير ورد بترتيب يناسب خِفّة حروف كلمات الخُطبة، وتقدير الكلام (ما كان أبي مُخالفاً لكتاب الله، صادفاً عن أمرِ الله).

ثانياً: الفَصْل والوَصْل

هُما من فنون البلاغة التي تُحدد محاسن الكلام، وتفصح عن حظّ المُتكلِّم من المعرفة بذوق الكلام، وذلك لدِقّة مسلكهما، وعظيم خطرهما،

---

(١) المائدة / ٥٠.

(٢) دلائل الإمامة: ٣٤- ٣٥.

(٣) دلائل الإمامة: ٣٦، الاحتجاج: ١ / ٢٧٦ - ٢٧٧.

وعلى ذلك فهما البلاغة بحدِّها.

والفصل في اللّغة: «بون ما بين الشيئين، ... وقيل: هو أن يفصل بين الحق والباطل، والفصل من الجسد: موضع المفصل، وبين كلِّ فصلتين وصل، والفصل الحاجز بين الشيئين، فَصَل بينهما يفصِل فَصْلاً فانفصل وفَصَلَت الشيءَ فانفصل: أي قطعته فانقطع» [(١)].

وأما الوصل فهو خلاف الفصل «وَصَلْت الشيء وَصْلاً وَصِلةً والوَصْلُ خلاف الفَصْل وَصَل الشيء بالشيء يَصِلُه وَصْلاً وصِلةً وصلَة الشيء بالشيء يَصِلُهُ وَصْلاً وصِلَةً وصُلَةً، واتصل الشيء بالشيء: لم ينقطع» [(٢)].

وفي الاصطلاح ذكره الجرجاني (ت ٤٧١ أو ٤٧٤ هـ) بقوله: «اعلم أنَّ العلم بما ينبغي أن يضع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة وبما لا يأتي لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخُلّص وإلا أقوام طبعوا على البلاغة وأتوا فنّاً من المعرفة في ذوق الكلام هم به أفراد، وقد بلغ من قوّة الأمر في ذلك أنّهم جعلوه حدّاً للبلاغة... ذاك لغموضِهِ ودِقَّة مسلكه وأنَّه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة» [(٣)].

وأشار القزويني (ت٧٣٩هـ) لهما بقوله: «الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه وتمييز موضع أحدهما من موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة فن منها عظيم الخطر صعب المسلك دقيق المأخذ لا يعرفه

(١) لسان العرب: مادة (فصل) ١١ / ٥٢١.

(٢) م ن: مادة (وصل) ١١ / ٧٢٦.

(٣) دلائل الإعجاز: ١٥٤.

على وجهه ولا يُحيط علماً بكُنهه إلا من أُوتي في فهم كلام العرب طبعاً سليماً ورُزِقَ في إدراك أسرارهِ ذوقاً صحيحاً ولهذا قصر بعض علماء البلاغة على معرفة الفَصْل من الوَصْل وما قصرها عليه؛ لأنَّ الأمر كذلك إنَّما حاول بذلك التنبيه على مزيد غموضه وإنّ أحداً لا يكمل فيه إلا كمُل في سائر فنونها» [١].

و«الفصل في البلاغة أو الكلام ترك عطف بعض الجُمل على بعض، والوصل عطف بعضِها على بعض» [٢]، وجديرٌ بالذكر أنّ الجاحظ (ت٢٥٥هـ) كان من أوائل الذين تكلّموا عن (الفَصْل والوَصْل) في كتبه، ونوجز ما قاله بنصٍّ نقتبسه من كلامِهِ حدّ فيه البلاغة «بأنَّها معرفة الفصل من الوصل» [٣]، وهكذا نُلاحظ كثرة الحديث عن الفصل والوصل في كتب البلاغيين، وذلك لأهميتهما حتّى ذكر أنّ «من أسرار البلاغة العلم بمواطن الوصل والفصل في الكلام، ... والوصل يعني عند علماء المعاني عطف جُملة على أخرى بـ(الواو) فقط من دون سائر حروف العطف الأخرى، ويقصد علماء المعاني بـ(الفصل) ترك هذا العطف» [٤].

ونظراً لما تُضفيه مواضع الفَصْل والوَصْل من جمال ودِقَّة في البلاغة فضلاً عن فهم وحنكة في إدراك الأديب ورصانة نتاجه، فإنَّنا نُلاحظ وفرهما في خطب سيّدات البيت النبوي، إذ جاءت الفواصل مُتّسقة ومُختلفة في

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة: ١ / ١٤٥.

(٢) معجم المصطلحات البلاغيّة: ١١٨/٣.

(٣) البيان والتبيين: ٦١/١.

(٤) علم المعاني: ١٧٤ - ١٧٥.

مواضعها والدواعي الخارجة لها، فضلاً عن الدِقَّة الواضحة في شبه كمال الاتصال بحسب ما يقتضيه المقام ويفهمه المتلقي.

وأمثلتهما في نُصوص الخُطب كثيرة، وعلى سبيل المثال من موارد الفَصْل ما جاء في قول السيدة الزهراء عليها السلام في خُطبتها أمام نساء المهاجرين والأنصّار في قولها: «لأورَدَهُم مَنْهِلاً نَمِيراً صافياً رويّاً، تطفحُ ضِفّتاه»(١)، وهي عليها السلام إنَّما تركت العطف بالواو؛ لأنَّ العطف إنَّما يكون للجمع بين الشيئين والربط بينهما، وذلك لا يكون في المعنيين إذا كان بينهما غاية التباين، ثُمَّ إنَّ كُلَّ صفة كانت بمعنى الصِّفة التي قبلها أو بمنزلة الجزء منها، ولذلك اقتضى المقام ترك العطف كون الشيء لا يُعطف على نفسه، والجُزء لا يُعطف على الكل.

وكما أنَّ مواضع الفصل قد سمت وجاءت مناسبة للخطب، كذلك تناسقت مواضع الوصل فيها، وهي من الوفرة ومنها على سبيل المثال ما ورد في خُطبة السيدة الزهراء عليها السلام في قولها: «وَشَنَأتُهُمْ بَعْدَ أَنْ سَبَرتُهُم، فَقُبحاً لِفُلُولِ الحدِّ، [واللَّعبِ بَعْدَ الجِدّ، وَقَرْعِ الصفاة]، وَصَدْعِ القناة، وَخَتَلِ الآراء، وَزَلَلِ الأهواء، وَبِئْسَ ما قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ»(٢)، فهنا جمعت عليها السلام وربطت بين الجُمل لصلة بينهما في الصورة والمعنى ولأن المعاني التي ذكرتها كلها قبيحة فقد جمعته بواو العطف ليكون أكثر قبحاً.

وتسترسل عليها السلام في الوصل لغرض الإيضاح وبيان المُراد، فتأتي بالجُمَل مُتّحدة في الإنشاء، ومُتناسبة في المعنى، وشاهد ذلك قولها: «نكيرَ

(١) بلاغات النساء: ٢٠، دلائل الإمامة: ٤٠، نثر الدُر: ٨ - ٩، الاحتجاج: ١ / ٢٨٩.

(٢) المصدر السابق: ١/٢٨٦-٢٨٧.

سَيْفِهِ، [وَقِلَّةَ مُبَالاتِهِ لحتفِهِ]، وَشِدَّةَ وَطْأَتِه، وَنَكَالَ وَقْعَتِهِ، وَتَنَمُّرَهُ فِي ذَاتِ اللّٰهِ. وتاللّٰهِ لَوْ مَالُوا عَنِ المَحَجَّةِ اللايِحَة، وَزَالُوا عَنْ قَبُولِ الحُجَّةِ الواضِحَة، لَرَدَّهُم إِلَيْهَا، وَحَمَلَهُم عَلَيْهَا، وَلَسَارَ بِهِمْ سَيْراً سُجُحاً، لا يَكْلَمُ خِشَاشُه، ولا يَكِلُّ سَائِرُه، ولا يَمَلُّ راكِبُه»[1]، نُلاحظ في هذه الخُطبة أنَّ الخطيبة عليها السلام عطفت جُملة على أخرى، ووصلت بين كلِّ جُملتين اتحدتا وتناسبتا في المعنى، فلم يكن هناك ما يقتضي الفصل بينهما.

وتستوقفنا جُملة من المقاطع التي لم تفصل فيها السيدة زينب عليها السلام في خطبتها أمام أهل الكوفة بقولها: «فَقَدْ بُلِيتُمْ بِعَارِهَا، وَمُنِيتُمْ بِشَنَارِهَا وَلَنْ تَرْحَضُوها أَبَداً وَأَنَّى تَرْحَضُونَ قَتْلَ سَلِيلِ خَاتَمِ النُّبُوَّةِ، وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ، وَسَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ، ... وَسَاءَ مَا تَزِرُونَ لِيَومِ بَعْثِكُمْ»[2]، فالمُلاحظ على هذه الجُمَل أنَّ الخطيبة أرادت إشراك كلِّ جُملة بسابقتها في الحكم، ولذلك نجدُ كُلَّ جُملة معطوفة على التي قبلها موصولة بها، لعدم إمكان الفصل بينها، وهنا كمال الاتصال، كون إمكان جعل كلِّ جُملة تالية بدل التي قبلها.

وفي خطبتها أمام يزيد نُلاحظ أنَّ جملها تتشح بالوصل وتزخر به، بقصد الإشراك بين هذه الجُمل بالحُكْم الإعرابي من جهة، واختلاف هذه الجُملة خبراً وإنشاءً من جهة أخرى، ولذلك نجد الوصل عليها السلام بين كلِّ جُملتين، ولو فصلت لأوهم الفصل خلاف ما قصدت من معنى [3].

(١) دلائل الإمامة: ٤٠، نثر الدُر: ٨.

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف: ٩٤ – ٩٥، الاحتجاج: ٢/١١١.

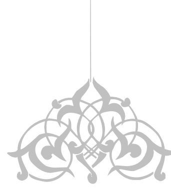
(٣) ظ: خُطبتها عليها السلام بالشام: إذ توصل بين أغلب جملها: (وهتف بأشياخك، وتقرّبت ←

وتأتي السيدة أم كلثوم عليها السلام بالوصل بين الجُمَل في خُطبتها لتجمع وتربط بين أكثر من جملتين بـ(الواو) خاصَّةً لصلة واضحة ومتسلسلة بين هذه الجُمل في الصورة والمعنى، فضلاً عن دفع اللَّبس في قولها «سَوأَةً لَكُمْ، مَا لَكُم خَذَلتُمْ حُسَيْنَاً وَقَتَلْتُمُوهُ، وَانْتَهَبتُمْ أَمْوَالَهُ وَوَرِثْتُمُوهُ، وَسَبَيْتُمْ نِسَاءَهُ وَنَكَبتُمُوه؟ فَتَبَّاً لَكُمْ وسُحْقَاً»[1]، نُلاحظ هنا أنَّ الخطيبة عليها السلام ابتدأت بجُملة إنشائية من خلال استفهاماتها الاستنكاريّة، وقد عطفتها على جُملٍ خبريَّةٍ (وقتلتموه وانتهبتم أمواله وورثتموه وسبيتم نساءه ونكبتموه)، ثُمَّ استأنفت عطفها بجُملة إنشائيّة دُعائيَّة على هذه الجُمل، وإذا كان لابُدّ من الوصل بينها كونها غير منقطعة عن بعضها انقطاعاً كاملاً فضلاً عن تناسبها وتناسقها مع بعضها ووجود رابط جامع بين هذه المتعاطفات.

وهكذا لو تأمّلنا في باقي الخطب فإننا سوف نجد أمثلة كثيرة من الفصل والوصل، وفيما ذكرنا دلالة على البقيّة.

بدمه إلى الكفرة من أسلافك، ثم صرخت بندائك، ولعمري لقد ناديتهم لو شهدوك ! ووشيكاً تشهدهم ولم يشهدوك، و... ومُخاصمك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)، الاحتجاج: ١٢٧/٢.

(١) اللّهوف في قتلى الطفوف: ٩٩.



المبحث الثالث: أساليب بناء العبارة في الخطب

تُعدّ الخطابة من أرقى الفنون النثريّة التي ترتكز في قوّة تأثيرها وجذب الأذهان لها على ما يَستعمله الخطيب من أساليب تربط مفرداتها بعضها ببعض، لتنسج منها عبارات ذات نسق مُتسلسل في وحدة عضويّة فنّية.

وإلى جانب هذا النّسق المُتسلسل في العبارات لابُدّ للخطيب أيضاً من التنويع في استعمال الأَساليب التي تُبنى منها الجُمل.

ومن أجل الوقوف على أسرار بلاغة الخطيبات وفصاحتهن فإنّي سأتناول في هذا المبحث طُرُق أداء المعنى من خلال دراسة الأساليب التي اعتمدنها في بناء جُملهنّ، والتي ارتكزت على أُسلوب الإنشاء، ولكنّها مع هذا لم تخلُ من أساليب إلقاء الخبر، إذ كنّ يَعمدن إلى أساليب مُتعدّدة لإلقاء الخبر للمُخاطبين من أجل الإفصاح والإظهار لهم، وما كان يُميّز الإلقاء في خُطبهنّ هو معرفتهنّ بما يتناسب ومقتضى الحال، لذا تميز هذا الإلقاء بأنّه كان على قدر الحاجة ولم يكن عبثاً، ولذلك اختلفت السُّبُل باختلاف أحوال المُخاطبين، ففي خُطبة السيدة الزهراء عليها السلام أمام نساء المهاجرين والأنصار نُلاحظ تُعدّد طُرُق إلقائها للخبر، ومن ذلك قولها عليها السلام:

«استبدَلوا وَاللّهِ الذُّنابى بالقوادِمِ» [١]، فهنا ألقت الخبر للمتلقين الذين كانوا منكرين ومعتقدين بخلافه، لذلك جاءت بمؤكد (القسم)، فكان الخبر إنكارياً لإنكارهم، ولم تكتف بهذا المؤكّد؛ بل أكدت أيضاً بالإثبات؛ لأنّها أرادت تأكيد الحكم، فجاءت بالجُملة الفعليّة (استبدلوا) لمجرد الإخبار، فضلاً عن إفادة المُخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام، وقد أفادت الجُملة الإخبارية عموماً الاستمرارية والتّجدُّد إذا ما بقوا على حالهم في خُذلانهم لأمير المؤمنين عليه السلام، وكانت طريقة إلقائها تنمُّ عن عُمق بلاغتها، فقد كشفت بأنّ المُخاطب كان منكراً لحكم الخبر «وفي هذه الحال يجب أن يؤكد الخبر بمؤكد أو أكثر، بحسب درجة إنكاره من جهة القوّة والضَّعف، ويسمى هذا الضرب من الخبر - إنكارياً -»[٢].

وفي مقطع آخر نلحظ أنّها ألقت الخبر وقد أتت بأكثر من مؤكّد في قولها: «أمَا لَعَمْرِي لقد لَقِحَت فَنَظِرَةٌ ريثُمّا تُنتِج» [٣]، فنُلاحظ وجود المؤكدات وهي: «حرف الاستفتاح - أما - الواردة قبل القسم، القسم، قد» المُتعدّدة ذلك لأنّ المُخاطب أنكر الخبر الذي أرادت إلقاءه، وهي إنّما أتت بأكثر من مؤكد لقوّة إنكار المُتلقي وشدّته، فجاءت بقولها على مُقتضى ظاهر الحال، والخطيبة هنا أنزلت المُخاطب العالم بفائدة الخبر ولازمَهُ منزلة الجاهل بذلك لعدم التزامه وعمله على مُوجب ما يُعلم به، لذلك ألقت الخبر كما يُلقى إلى الجاهل به توبيخاً للمُخاطب على عدم عمله بمُقتضى علمه، وهذا

---

(١) بلاغات النساء: ٢٠، دلائل الإمامة: ٤٠، نثر الدُر: ٩، الاحتجاج: ١/٢٩٠.
(٢) علم المعاني: ٥٦.
(٣) بلاغات النساء: ٢٠، نثرُ الدُّرّ: ٩، الاحتجاج: ١/٢٩٠.

الدَّاعي هو الذي جعل الخطيبة تأتي بكلام مخصوص، كون الأمر الداعي ثابتاً في الواقع.

وأما السيدة زينب عليها السلام فنُلاحظ في خطبها تَعدّد الطُرُق في إلقاء الخبر، ففي خطبتها أمام أهل الكوفة تُنزل المُتلقين منزلة خالي الذِّهن المتردّد بقولها: «فَلا يَسْتَخِفَّنَّكُمُ المُهَلَ، فَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لا يَحْفِزُهُ البِدارُ ولا يُخْشَى عَلَيْهِ فَوْتَ الثّارِ، كَلا إِنَّ رَبَّكَ لَنَا وَلَهُمْ لَبِالمِرْصَادِ»(١)، وقد اجتمعت المؤكّدات في خطابها وذلك لشرف الحكم وتقويته(٢)، مع العلم أنّ الحكم ليس فيه تردد، ولا يُمكن إنكارُه، ولكنّ القوم تظاهروا بالإنكار، وهي عليها السلام استشعرت ذلك منهم، فأفادت بإلقائها هنا بأنّها عالمة بمكامن نواياهم وسابق أعمالهم، كمُخاطبة الإمام الحسين عليه السلام حينما كان في المدينة، لذا كان الخبر لازم الفائدة إلى جانب تَضَمُّنِهِ للحكم الذي تَضَمَّنَهُ خلال إيراد الخطيبة عليها السلام أكثر من مؤكد (نون التوكيد، إنّ، التكرار).

وفي خطبتها بالشام تُلقي الخبر في قولها: «ولتردنّ على الله وشيكاً موردهم، ولتودّنّ أنّك عميت وبكمت» (٣)، وقد أفادت من الحكم الذي تضمنه الكلام، وهي بذلك عمدت إلى أن تُبيّن وتُوضح لسامعيها المصير الذي سينتهون إليه، فجاء الخبر إنكاريّاً لتكرار المؤكد (نون التوكيد) على الواحد، وهنا أنزلت المُتردّد (المُخاطب) منزلة الخالي الذِّهن، ويبدو واضحاً أنّها

---

(١) اللّهوف في قتلى الطفوف: ٩٥، الاحتجاج: ٢ /١١٢.

(٢) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: (قد يؤكد الخبر لشرف الحكم وتقويته، مع أنّه ليس فيه تردد ولا إنكار): ٦٣.

(٣) نثرُ الدُّرّ: ١٨.

أخرجت الكلام خلاف مقتضى الظاهر[١]، لذلك كان المُتلقّي (يزيد) كالسائل الخالي الذِّهن أو المُتردّد المنكِر لعدم وجود القرينة.

ويُطالعنا أُسلوب إلقاء الخبر في خُطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليها السلام بقولها: «فَلا تَدْعُوَنَّكُمْ أَنفُسُكُمْ إلى الجَذَلِ بِمَا أَصَبْتُمْ مِنْ دِمائِنَا»[٢]، وبهذا الإلقاء نجدها تُنْزِل المتلقّين منزلة المُتردّدين، وتأتي بأكثر من مؤكد، والخبر على مقتضى ظاهر الحال، وجاء تأكيدها بالنهي، والسامعون كانوا مُنكرين للخبر لاعتقادهم بخلافه، وهذا هو سبب تُعدّد المؤكدات، واستثمرت الخطيبة ظاهرة الإلقاء للتحذير، والجُملة الفعليّة أفادت التجدُّد والحدوث في زمن معين[٣].

وهكذا تستمرّ الخطيبات في إلقاء الخبر بأساليب وطُرُق متنوعة لأغراض بلاغيّة تتناسب وطبيعة الموضوع، لكنّنا مع هذا نجد أنَّ الإنشاء هو الغالب على نُصوص خطبهنّ، حتّى إنّه عُدَّ ظاهرة أُسلوبيّة في هذه النُصوص، وأعتقد أنّ سبب ذلك هو مُلاءمةُ هذه الأساليب لموضوعات الخطب التي تطلّبت أن يكون الإنشاء الطلبي هو الغالب، ولم يكن ذلك ليمنع من استعمال أساليب أخرى لتحقيق مناشئ جديدة بأساليب مختلفة لها أغراضها وأهدافها كالتقريع والتوبيخ والاستنكار والتهكّم الخ.

ونظراً لكثرة توافر أُسلوب الإنشاء الطلبي فإنّنا سنقف عند كلٍّ واحد

---

(١) ظ: علم المعاني: ٦٥.

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف: ٩٧، الاحتجاج: ٢/١٠٦.

(٣) ظ: جواهر البلاغة: ٧١، (الجُملة الفعليّة موضوعة لإفادة التَّجدُّد والحدوث في زمن مُعين مع الاختصار).

منها في هذه النُصوص لإبراز مكامن البلاغة في نصوص هذه الخطب.

أولاً: الأمر والنهي

يُعدّ أُسلوب الأمر من أساليب الإنشاء الطلبي [1]، وهو «طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، ويقصد بالاستعلاء أن ينظر الآمر لنفسه على أنّه أعلى منزلة ممّن يُخاطبه أو يوجه الأمر إليه، سواء أكان أعلى منزلة منه في الواقع أم لا» [2].

وللأمر أربع صيغ[3] هي:

فعل الأمر، والمضارع المجزوم بلام الأمر، واسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر، وقد تخرج هذه الصيغ عن معناها الأصلي وهو (الإيجاب والإلزام) إلى معانٍ أخرى تُستفاد من سياق الكلام، وقرائن الأحوال، كالدُّعاء والالتماس والتهديد والتعجب والتأديب والتقريع.

وهذه الصيغ نجدها بوفرة في خطب سيدات البيت النبوي، والملاحظ أنّها وردت بشكل متنوع، إذ لم تعتمد الخطيبات على فعل الأمر أو لامه فحسب، بل تُعدّى أُسلوبهن إلى استعمال اسم فعل الأمر، وذلك لاقتضاء الحاجة وتطلُّب المقام.

(١) الطلب: (من غير تصور إجمالاً أو تفصيلاً لا يصح وأنّه يستدعي مطلوباً لا محالة ويستدعي فيما هو مطلوبه أن لا يكون حاصلاً وقت الطلب) والطلب نوعان: نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول - ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول؛ ينظر: مفتاح العلوم: ٥٢٣.

(٢) علم المعاني: ٨١.

(٣) ظ: جواهر البلاغة: ٧٨-٧٩.

ومن ذلك ما ورد في خُطبة السيدة الزهراء عليها السلام أمام نساء المهاجرين والأنصار في قولها: «أَلَا هَلُمَّ فاسْتَمِع»[(١)]، فقد استخدمت اسم الفعل (هَلُمّ) الذي هو بمعنى (أَقْبِل)، ثُمّ تبعته بفعل آخر، وبين الفعلين جاءت بـ(الفاء) وهي رابطة لجواب الطلب، فضلاً عن إفادتها في تقوية المعنى وتوكيده، وملاءمتها لجو الخُطبة التي جاءت في ظروفٍ عصيبةٍ تمرُّ بها السّيدة الزهراء عليها السلام.

وفي مقطع آخر تُوظّف صيغ الأمر لأغراض بلاغيّة منها السُّخرية والتهكُّم، كما في قولها: «ثُمّ طِيبُوا عن دُنياكُم أنفساً، واطمئِنُّوا للفتنةِ جَأْشاً، وَأَبْشِروا بِسَيْفٍ صَارمٍ»[(٢)]، فـ(طيبوا، اطمئنوا، أبشروا) إنَّما هي صيغ أمر تُوحي بالسعادة والطمأنينة واللّين والبشارة، ولكن الخطيبة عليها السلام منحتها معنىً مُغايراً، ونقلتها من السعادة إلى الشقاء، وهذا ما أضاف للخُطبة سموّاً من حيث تأثّرها بأُسلوب القرآن الكريم، فضلاً عن أنّه أُسلوب أدّى إلى تطوّر دِلالة اللّفظة العربيّة، من خلال تنقلها في أثناء الخطاب من الإخبار إلى الإنشاء، ومن الغائب إلى المُخاطب، فهي تُحدِّث نساء المهاجرين والأنصار وانتقلت إلى القوم وكأنّهم يسمعونها، وممّا يُلاحظ أيضاً أنّها تميل إلى الالتفات وحُسن التصرف، حتّى عُدّ ذلك من أُسلوب خطابها، من حيث تعمدها على نقل الخطاب إلى المتكلِّم مباشرةً، ولاسيّما في خُطبتها هذه.

ومن الخطيبات من وظّفت صيغة الأمر المقرونة بتكرار الفاء للتأنيب والتهديد بقوّة، فمثلاً في خُطبة السيدة زينب عليها السلام في أهل الكوفة

---

(١) نثرُ الدُّرّ: ٩، الاحتجاج: ١ /٢٨٩.

(٢) بلاغات النساء: ٢٠، دلائل الإمامة: ٤١، نثر الدُر: ٩، الاحتجاج: ١/٢٩١.

نُلاحظ التكرار المستمر للفاء مع كلِّ فعل أمر في قولها: «فَابْكُوا فَإِنَّكُمْ والله أحْرِيَاءُ بالبُكاء، فَابْكُوا كَثيراً وَاضْحَكُوا قَلِيلاً»[(١)].

بينما في خطابها أمام يزيد في الشام نجدها توظّف صيغة الأمر للتحذير، بقولها «حِيْنَ صَفَا لَكَ مُلْكُنَا، وَخَلُصَ لَكَ سُلْطانُنَا، فَمَهلاً مَهْلاً لا تَطِش جَهْلاً»[(٢)]، فهنا جاءت بالأمر (مهلاً مهلاً) وقد كرَّرته لغرض تأكيد الفعل، والتَّحذير له ومّما فَرِحَ به، وإلى جانب ذلك أفادت من هذه الصيغة الاستنكار على يزيد في عدم الإسراع، فالسيدة زينب عليها السلام أرادت أن تُبيّن للمُخاطب أنّ الأمر ليس كما يعتقد أو يظنّ، لذلك أوقفته بقوّة وهي تقول له (مهلاً مهلاً، أي على مهلك) ثم انطلقت بخطابها وهي تبيِّن له حقيقة خسارته.

ومثل ذلك في خُطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليها السلام، فبعد أن عادت من كربلاء توجهت إلى أهل الكوفة مُخاطبة إياهم على فعلتهم قائلة: «تَبّاً لَكُمْ! فَانْظُرُوا اللَّعْنَةَ والعَذَابَ»[(٣)]، وهي في خطابها استثمرت صيغة الأمر في التهديد والوعيد لما ينتظر القوم من العذاب، وقد قرنت (الفاء) بفعل الأمر لتؤكد هذا المعنى، وفي نهاية الخُطبة تقول: «فَاكْظِمْ وَاقْعَ كَما أقْعَى أَبُوْكَ»[(٤)]، وهي لم تقصد بالأمر الإيجاب والإلزام، بل خرجت به لغرض بلاغي وهو التوبيخ والتقريع.

(١) الاحتجاج: ٢/١١١.
(٢) م ن: ٢/١٢٤.
(٣) اللّهوف في قتلى الطفوف: ٩٧، الاحتجاج: ٢ / ١٠٧.
(٤) اللهوف في قتلى الطفوف: ٩٨، الاحتجاج: ٢ / ١٠٨.

ثانياً: أسلوب الاستفهام

يُعدّ أُسلوب الاستفهام من أكثر الأساليب الإنشائية تواجداً في فِقْرات نُصوص الخطب، وهو «طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأداة خاصّة»[١]، وعلى الرغم من وفرته إلا أنّه لم يأت بمعناه الحقيقي، وإنّما خرج لمعانٍ مجازية، وهذا بديهي؛ إذ إن مضامين الخطب استدعت أن يكون هذا الأُسلوب الطلبي «من أوفر أساليب الكلام معاني وأوسعها تصرّفاً وأكثرها في مواقف الانفعال وروداً... وحيث يُراد التأثير وهيجان الشعور للاستحالة والإقناع، فالاستفهام أقدر تلك الأساليب على الوفاء بحقِّ تلك المواقف»[٢].

فالظرف الذي كان يَمرّ به البيت العلوي من اغتصابٍ للحقوق بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فضلاً عن قتل الأئمة الواحد تلو الآخر، والأمر الذي جعل تلك الخطب تترجم تلك المعاناة، وما يجيش من عواطف ومشاعر حزينة بسبب عظم الرزايا والمصائب، وكان الاستفهام هو الأُسلوب الملائم لتلك التعبيرات، إذ نُلاحظ كثرة استعمال علاماته التَّقريريَة المُكلَّلة بطابع التوبيخ والتقريع، كما في خُطبة السيدة زينب عليها السلام أمام أهل الكوفة «هَلْ فِيكُمْ إلا الصَّلِفُ والعَجِبُ، والشَّنَفُ.. أَتَبْكُونَ أَخِي؟!... أتَدْرُونَ وَيْلَكُمْ أَيَّ كَبِدٍ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم فَرَيْتُمْ؟! وَأَيَّ عَهْدٍ نَكَثْتُم؟! وَأَيَّ كَرِيمَةٍ لَهُ أَبْرَزْتُمْ؟! وَأَيَّ حُرْمَةٍ لَهُ هَتَكْتُمْ؟! وَأَيَّ دمٍ لَهُ سَفَكْتُمْ؟!... أَفَعَجِبْتُم أَنْ تُمْطِر السَّمَاءُ دَمَاً»[٣]، هكذا نَجِد الخطيبة تتابع استفهاماتها

(١) علم المعاني: ٩٦، وظ: جواهر البلاغة: ٨٥.

(٢) أساليب الاستفهام في القرآن الكريم: ٢٩٢.

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف: ٩٤ - ٩٥، الاحتجاج: ٢/ ١١٠- ١١٢.

الاستنكارية، إذ لم تُرد منهم جواباً بل أنكرت عليهم فعلتهم التي خذلوا بها الإمام الحسين عليه السلام مُستثمرة الموقف لتأجيج المشاعر وإثارة الحماس في نفوسهم بعد أن نبّهتهم على جسامة ما اقترفوه بحقّ الإمام المفروض الطاعة، فقد وجّهت الخطاب لهم وهي تعيد ضمير المُخاطب عليهم وحدَهم من دون أن تترُك احتمال وجود مُشاركين لهم في الجريمة، مع علمها عليها السلام - وكذا علمهم - أنّ الفاجعة تَمَّتْ بأمر من يزيد، وهذا ما أعطى الكلام لازماً دِلالياً، مفاده إظهار خطئهم على مقدار ما اقترفوه.

وأمّا في خُطبتها أمام يزيد فقد جعلت الاستفهام طاغياً على خطبتها، موظفة إيّاه لغرض التوبيخ والتقريع في قولها: «أمِنَ العَدْلِ يا بنَ الطُّلَقَاءِ»[1]، وبعد هذا تسترسل في طرح استفهاماتها بتوبيخ واستنكار، ثم تعقبه بتحقيرٍ وزجرٍ في قولها: «وَهَل رَأيُكَ إلا فَنَد، وأيامُكَ إلا عَدَدٌ، وَجَمْعُك إلا بَدَدٌ»[2]، موضحة باستفهاماتها فداحة خسارته.

ومن الخطبيات من وظفت الاستفهام للكشف عن عظم المُصاب الذي لحق آل البيت عليهم السلام بسبب ما اقترفه القوم، فجاء الاستفهام انكارياً مُشيراً إلى عداء هؤلاء، ممّا أدّى إلى أن يكون أُسلوب الخطاب خافياً في فِقْراتِهِ التعجب ممّن قتل ابن بنت نبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم، ومثال ذلك قول السيدة أُم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليها السلام في أهل الكوفة «وَيْلَكُمْ، أَتَدْرُوْنَ أَيَّ دَوَاهٍ دَهَتْكُمْ؟ وَأَيَّ وِزْرٍ عَلَى ظُهُورِكُمْ حَمَلْتُمْ؟! وَأَيُّ دِماءٍ سَفَكْتُمُوها؟ وَأَيُّ كَرِيمَةٍ أصَبْتُمُوهَا؟ وَأَيُّ صِبيَةٍ سَلَبْتُمُوهَا؟ وأَيُّ أمْوَالٍ

(١) بلاغات النساء: ٢١، نثرُ الدُّرّ: ١٨.

(٢) الاحتجاج: ٢/١٣٠.

انتَهَبْتُمُوها؟»[١] وهذا العرض في أُسلوب الاستفهام المتكرر قد ترك أثراً بليغاً في نفوس المستمعين لما تضمنه من معانٍ أُخرى غير الاستفهام كالتوبيخ والإنكار، ولذلك جاءت الخطيبة بالاستفهامات مُتتالية من دون فاصل، لإظهار فداحة جريمتهم.

وفي خُطب السيدة الزهراء عليها السلام تكثر العبارات الاستفهامية، ذلك أنّها عليها السلام وجهت خطابها إلى قوم خالفوا طريق الحق، لذلك وظفت أُسلوب الاستفهام الذي توالى في خطبها لأغراض مجازية كثيرة، وذلك بحسب ما اقتضته الفِقْرَات من توبيخ وانكار وتعجُّب ونهي ونفي وأمر ولوم وتقرير وتهويل واستبعاد وتحقير، فضلاً عن التهكم والوعيد والتنبيه على الخطأ أو الباطل أو ضلال الطريق، وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على أنّ الخطيبة عليها السلام جعلت لأُسلوب الاستفهام مزية ارتقى بها كلامها إلى مستويات بلاغيّة عالية.

ومِنَ الأمثلة على ذلك ما ورد في خطبتها في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم «أو نصبر منكم على مثل حز المدى، وزعمتم أن لا إرث لنا؟ أفحكم الجاهلية تبغون؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟... إيهاً معشر المسلمين، أأبتزّ إرث أبي؟! يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟... أفعلى عمدٍ تركتم كتاب الله بين أظهركم ونبذتموه؟!... وزعمتم أن لا حظّ لي ولا إرث من أبي؟ أفخصّكم الله بآية أخرج أبي منها؟ أم تقولون أهل ملّتين لا يتوارثان؟ أولست أنا وأبي من ملة واحدة؟ أم أنتم بخصوص القرآن وعمومه أعلم ممن جاء به؟... أفتجمعون إلى الظلامة الشنعاء، والغلبة

(١) اللّهوف في قتلى الطفوف: ٩٩.

الدهياء؟!... قد زعمت أن النبوة لا تورث وإنما يورث ما دونها، فما لي أمنع إرث أبي؟ أأنزل الله في كتابه: إلا فاطمة بنت محمّد؟ فدلّني عليه أقنع به»[١]، نلحظ هنا أنّ السّيدة الزهراء عليها السلام تسترسل في عرض أُسلوب الاستفهام على المتلقين، وهي تُزاوج وتُخالط بين ما هو طلب وما هو خبر، لاسيّما الخبر المعروف بـ(لازم الفائدة)[٢]، ومثاله قولها عليها السلام:

«فَأَنّى حِرتُم بَعْدَ البيَانِ؟ وَأَسْرَرْتُم بَعْدَ الإعْلانِ؟ وَنَكَصتم بَعْدَ الإقْدامِ؟ وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الإِيْمَانِ؟ بُؤساً لِقَومٍ نَكَثُوا إيمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ، وَهَمُّوا بإخْراج الرَّسول، وَهُم بَدأوكم أوّلَ مَرَّة ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٣]»[٤].

نُلاحظ أنَّ هذا التداخل بين الإنشاء الطلبي المُتمثّل بـ(الاستفهام) وبين الخبر قد أضفى على خطابها وشاحاً أدبيّاً دَلَّل على عُمق إدراك الخطيبة عليها السلام للذوق الأدبي الرفيع.

من ذلك نلحظ غزارة الاستفهامات التي جاءت في خطبتها عليها السلام في الشام التي خرجت لأغراضٍ، منها: التهكُّم والتنبيه على الخطأ والتأنيب[٥]، وفي خطبتها عليها السلام أمام نساء المهاجرين والأنصار نُلاحظ

(١) بلاغات النساء: ١٧- ١٩، دلائل الإمامة: ٣٤- ٣٦.

(٢) خبر لازم الفائدة: (هو الذي يُلقى لغرض إفادة المُخاطب أنَّ المتكلم عالم بالحكم)، ظ: علم المعاني: ٥٢.

(٣) التوبة / ١٣.

(٤) بلاغات النساء: ١٨، دلائل الإمامة: ٣٧، نثرُ الدُّرّ: ٨.

(٥) ظ: خُطبتها عليها السلام في المسجد في بلاغات النساء: ١٢- ٢٠، الاحتجاج: ٢ /٢٥٣- ٢٧٨.

تَتالي استفهاماها التي خرجت لأغراض مجازية، فمن التهديد والتقريع واللّوم والتقرير إلى التّحسُّر، ومن ذلك قولها عليها السلام: «وَيْحَهُمْ أَنَّى زَعْزَعُوهَا عَنْ رَوَاسِي الرِّسالة، وَقَوَاعِدِ النُّبوَّةِ والدَلالَة، وَمَهْبِطِ الرُوح الأَمِين، والطِبين بأُمورِ الدُّنيا والدِّين؟! { أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ } [(١)]، وَمَا الّذي نَقِمُوا مِنْ أَبِي الحَسَنِ عليه السلام؟!» [(٢)].

وعلى الرغم من كثرة الاستفهامات في نُصوص الخُطب، إلا أنّه لم يرد بصورة حقيقيّة، بل خرج لأغراضٍ بلاغيّة أفادت المعنى وناسبت السياق، وما ذكرنا من أمثلة دليل على ما لم يُذكر، وجدير بالذكر أنّ الخطيبات استثمرن أُسلوب الاستفهام الوارد في نُصوص قرآنيّة مختلفة استثماراً حقيقياً، فمثلاً نُلاحظ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام قد سخّرت الأُسلوب الذي تضمّنته الآيات التي اقتبستها في خطبها، وهذا التوظيف جاء بما يتناسب وسياق الخطاب [(٣)].

ثالثاً: النداء

النداء لغة هو: «النَّداء، والنُّداء: الصوت مثل الدُّعاء والرُّغاء، وقد ناداه ونادى به وناداه مناداة ونِداءً أي: صاح به» [(٤)].

---

(١) الزمر / ١٥.

(٢) بلاغات النساء: ٢٠، دلائل الإمامة: ٤٠، نثرُ الدُّرّ: ٨، الاحتجاج: ١ /٢٨٧ - ٢٨٨.

(٣) ظ: الآيات الواردة في خُطبة السيدة الزهراء عليها السلام في المسجد: {آل عمران /٨٥، المائدة /٥٠، هود / ٣٩، الزمر / ٣٩-٤٠، إبراهيم / ٨، الشعراء /٢٢٧، محمّد /٢٤} وظ: الآيات الواردة في خُطبتها عليها السلام أمام نساء المهاجرين والأنصار: {يونس /٣٥، هود / ٢٨ }.

(٤) لسان العرب: مادة (ندي) ١٥ / ٣١٣.

وفي الاصطلاح «النِّداء التصويت بالمنادى ليقبل، أو هو طلب إقبال المدعو إلى الداعي، وقد أدخله البلاغيون المتأخرون في أنواع الإنشاء الطلبي»[(١)]، وبصورة أدق هو «طلب المُتكلِّم إقبال المُخاطب عليه بحرف نائب مناب "أُنادي" المنقول من الخبر إلى الإنشاء، وأدواته ثمانية: الهمزة، وأي، ويَا، وآي، وأَيَا، وهَيَا، ووا» [(٢)].

وكان لأُسلوب النداء نصيب في نُصوص الخطب، ولاسيّما ما ورد بالأداة (يا)، وهي من أدواته التي تستعمل لنداء البعيد، وتعزى كثرة استخدامها لقوّة تأثيرها في السّامع.

ومن نماذجه في الخُطب ما ورد في خُطبة السيدة الزهراء عليها السلام في المسجد بقولها: «أأُبتزّ إرثَ أبي يا ابن أبي قحافة؟» [(٣)]، نُلاحظ أنّها عمدت إلى استعمال الحرف (يا) لتُلفِت أنظار السَّامعين وهي تخاطب أبا بكرٍ بهذه اللّهجة، إذ أنزلته منزلة البعيد، وهذه إشارة من الخطيبة عليها السلام للحطِّ من منزلة المُخاطب ودرجته.

وتوظّفه عليها السلام لغرض اللّوم والعتب في قولها: «أَيُّهَا المُسْلِمُونَ! أَأُغْلَبُ عَلَى إرثَيهْ؟!» [(٤)].

ومثلها فعلت السيدة زينب عليها السلام حينما عمدت إلى استعمال الحرف (يا) وهي تُخاطب يزيد بقولها: «أَظَنَنْتَ يَا يَزِيْدُ أنّك حينَ أخَذْتَ عَلَيْنَا

(١) معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوُّرها: ٣ / ٣٢٦.

(٢) جواهر البلاغة: ١٠٥.

(٣) دلائل الإمامة: ٣٤.

(٤) الاحتجاج: ١/٢٦٧.

أقطارَ الأرضِ»[١]، فقد أَنْزَلَتْهُ أدنى الدرجات أمام الحاضرين، ثم انتقلت بأُسلوب النداء المباشر لتقول له: «أمِنَ العَدْلِ يا بنَ الطُّلَقَاءِ»[٢]، وكان نداؤها له بهذه الطريقة دليلاً على عدم قصدها للسؤال والاستفهام، بل كانت تقصد التوبيخ.

وأمّا السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليها السلام فقد أرادت لفت ذهن السامع وشدّ انتباهه، فعمدت إلى أُسلوب النداء بقولها: «أَيُّهَا القَائِلُ الكَثْكَثُ وَالأَثْلَبُ»[٣]، وهي إنّما اختارت الحرف (أيُّ) لأنَّه للقريب، ولكنَّه ينزله منزلة البعيد للحطِّ من قدره والاستهزاء به.

ونُلاحظ في خطب العلويات [السيدة زينب عليها السلام، السيدة أمّ كلثوم عليها السلام، السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليهما السلام] أمام أهل الكوفة استعمال حرف النداء (يا)، فجاءت خطبهنّ ضمن أُسلوب واحد، ومثاله خُطبة السيدة أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليها السلام: «يَا أَهْلَ الكُوْفَةِ، سَوأَةً لَكُمْ، مَا لَكُم خَذَلْتُمْ حُسَيْنَاً وَقَتَلْتُمُوهُ»[٤]، وهكذا بقيّة الخطب، إذ إنّها جاءت على الشاكلة نفسها[٥]، وكأنّ هذا المقطع مكرّر، ولكنّ السيدات لم يقصدن التكرار بقدر ما قَصَدن توظيف هذا الأُسلوب

(١) بلاغات النساء: ٢١، نثر الدُر: ١٧، الاحتجاج: ٢/١٢٤.

(٢)بلاغات النساء: ٢١، نثرُ الدُّرّ: ١٨.

(٣) اللّهوف في قتلى الطفوف: ٩٨، الاحتجاج: ٢ /١٠٨.

(٤)اللّهوف في قتلى الطفوف: ٩٨.

(٥) ظ: خُطبة السيدة زينب عليها السلام بحضرة أهل الكوفة، في اللهوف في قتلى الطفوف: ٩٤، الاحتجاج: ٢ / ١١٠، وظ: خُطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليهما السلام، في اللّهوف في قتلى الطفوف: ٩٦، الاحتجاج: ٢ /١٠٦.

لتنبيه أهل الكوفة على غفلتهم وَنَكْثِهِم عهد الإمام المفروض الطاعة الحسين بن علي عليه السلام، وهم يعلمون بعاقبة هذا الأمر، ولكن لشرودِهم الذِّهني الذي عمدوا إليه هرباً من المسؤولية، هو الذي جعل الخطيبات ينهجن ذلك النهج في بداية كُلِّ خُطبة، وهذا ما زاد الخطب روعة، فبهذا الأُسلوب استُحضرت الأذهان الشاردة، فتأثرت بالخطاب، وهذا سبب استعمال الحرف (يا) الذي أنزل القريب منزلة البعيد لجعله حاضراً ومنشداً لما يُقال.

رابعاً: القسم

القسم لغةً: «اليمين، والجمع أقسام، وأقسمت: حلفت، وأصله من القسامة، والقسامة: الذين يحلفون على حقِّهِم ويأخذون»(١).

وفي الاصطلاح: «أن يحلف على شيء بما فيه فخراً أو مدحاً، أو تعظيماً، أو تغزلاً، أو زهواً أو غير ذلك ممّا يكون فيه رشاقة في الكلام وتحسين له»(٢).

ونُلاحظ أنّه ورد في نُصوص الخُطب وقد زادها حُسناً، ومثاله في خُطبة السيدة الزهراء عليها السلام في خطبتها أمام نساء المهاجرين والأنصار: «أَصْبَحْتُ واللهِ عائِفةً لدُنياكُنَّ، قَالِيَةً لِرِجَالِكُنَّ، لَفَظْتُهُمْ بَعْدَ أَنْ عَجَمْتُهُمْ، وَشَنَأْتُهُمْ بَعْدَ أَنْ سَبَرْتُهُم، فَقُبحاً لِفُلُولِ الحدِّ... وَمَا الّذي نَقِمُوا مِنْ أَبِي الحَسَنِ عليه السلام؟! نَقِمُوا واللهِ مِنْهُ نكيرَ سَيْفِهِ، [وَقِلَّةَ مُبَالاتِهِ لحتفهِ]، وَشِدَّةَ وَطْأَتِه، وَنَكَالَ وَقْعَتِهِ، وَتَنَمُّرَهُ فِي ذَاتِ اللهِ، وتاللهِ لَوْ مَالُوا عَنِ المَحَجَّةِ

(١) لسان العرب: مادة (قسم) ١٢ / ٤٧٨.

(٢) الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ٣ /٥٣.

اللايِحَة، وَزَالُوا عَنْ قَبُولِ الحُجَّةِ الواضِحَة، لَرَدَّهُم إِلَيْهَا، وَحَمَلَهُم عَلَيْهَا، وَلَسَارَ بِهِمْ سَيْراً سُجُحاً... استبدَلوا وَاللهِ الذُّنابى بالقوادِمِ»[1]، ففي هذه الخُطبة وفي أكثر من مقطع منها عمدت الخطيبة إلى استعمال أُسلوب القسم، وممّا يُلاحظ اقتران لفظ الجلالة (الله) بالواو العاطفة، والقسم بهذه الصيغة (اقتران الواو بلفظ الجلالة) إنّما يَزيدُ ويؤكد اليمين رسوخاً في الأذهان، وتتفنن الخطيبة عليها السلام بإيراد أُسلوب القسم في هذه الخطبة بأكثر من صيغة، فتارة يرد صريحاً بقولها (لا جرم والله)، وأخرى (أما لعمر الله) وفي قولها (وتالله لَوْ مَالُوا عَنِ المَحَجَّةِ اللايِحَة) قسم صريح، وهذا التُعدّد بصيغ القسم إنما يدلُّ على براعتها الأدبيّة ومقدرتها البلاغيّة، ذلك أن القسم من «وسائل توكيد القول إذا أُريد العزم أو الإصرار على أمرٍ مِنَ الأمور»[2]، وهذا ما نُلاحظه في خطبتي السيدة زينب عليها السلام[3].

ونَجِدُ أُسلوب القسم قد ورد في الخطب على وفق صياغات متُعدّدة، ففي خُطبة السيدة زينب عليها السلام أمام يزيد يرد القسم بصيغة (لعمري) في قولها: «لَعَمْرِي لَقَد نَكَأْتَ القُرْحَة، واستَأْصَلْتَ الشَّأْفَةَ.. وَلَعَمْرِي لَقَدْ نَادَيْتَهُم لَوْ شَهِدُوك!»[4].

وسبق القسم فعل مؤكد بنون التوكيد الثقيلة في خُطبة السيدة الزهراء

(١) دلائل الإمامة: ٤٠- ٤١، الاحتجاج: ١ /٢٨٦ - ٢٩٠.
(٢) أساليب القسم في اللُّغة العربيّة: ١٥.
(٣) ظ: اللّهوف: ٩٥ - ٩٤ (خطبتها عليها السلام بالكوفة)، وظ: بلاغات النساء: ٢٢-٢٣، نثر الدُر: ١٧ - ١٩ (خطبتها عليها السلام في مجلس يزيد).
(٤) الاحتجاج: ٢/ ١٢٦-١٢٧.

عليها السلام التي قالت فيها: «أما والله لتجدنّ محملها ثقيلاً، وعبئها وبيلاً»[١]، وذلك لتؤكّد الحلف (اليمين) في الأذهان.

خامساً: الدُّعاء

كان لأُسلوب الدُّعاء حضور واضح في خُطب سيدات البيت النبوي، ذلك أنَ الدُّعاء من الأساليب التي يوظفها الخطيب في نُصوصه ليُعبِّر بها عن رضاه أو عدمه، ولذلك يُعدّ من الأساليب التي لا يَكاد الخطيب يبتَعِدُ عنها؛ لما يُحققه الدعاء من أغراض، ومعظم هذه الأغراض تعبر عن الرِّضا أو السّخط.

ومثال الأوّل ما ورد في خُطبة السيدة زينب عليها السلام في الشام: «والحمد لله الذي ختم بالسعادة والمغفرة لسادات شبان الجنان، فأوجب لهم الجنة، أسأل الله أن يرفع لهم الدرجات، وأن يوجب لهم المزيد من فضله فإنّه وليّ قدير»[٢].

ومثال الثاني قولها عليها السلام: «اللّهمَّ خُذ بِحَقِّنا، وانْتَقِمْ مِنْ ظَالِمِنَا»[٣]، وأيضاً دعت على أهل الكوفة وهي تُخاطبهُم بقولها: «فَلا رَقَأَتِ العَبْرَة، ولا هَدَأَتِ الزَّفْرَة»[٤]، فهي عليها السلام هنا قد «دعت عليهم، ومن ذلك القلب المُلتَهب بالمصائب والأحزان، دعت أن تُمرَّ عليهم ظروفٌ وأحوالٌ تَجْعَلُ بُكَاءَهُم مُتَوَاصِلاً ودُمُوعَهُم مُستمرَّة في الجَريان، لا تَهدأ ولا تَنقطع،

(١) دلائل الإمامة: ٣٦.
(٢) بلاغات النساء: ٢٣، نثرُ الدُّرّ: ١٩.
(٣) نثرُ الدُّر: ١٩، الاحتجاج: ٢ /١٢٧.
(٤) الاحتجاج: ٢ /١١٠.

ولا تَهْدَأ رنَّتُهُم (أي بُكاؤهُم المَصْحُوبُ بالنَّحيبِ والعَوِيل) بعد أن قاموا بتلك الأعمال الإجراميّة»[(١)].

ونجد عبارات الدعاء تتكرر في خُطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام أمام نساء المهاجرين والأنصار، ومن أمثلتها قولها: «فَجَدْعاً وَعَقْراً، وَبُعْداً للْقَوْمِ الظَّالِمِين»[(٢)]، فهنا تدعو على القوم والسخط بادٍ عليها من سياق الدعاء، والمعنى: «جَدَعهم الله جدعاً، والجدع: قطع الأنف والأُذُن والشفة، قطَّعهم الله آنافهم قطعاً، وعقرهم عُقْراً أي جرحهم جُرْحَاً وقتلهم قتلاً وأهلكهم إهلاكاً وأبعدهم الله من رحمته بُعُدَاً»[(٣)]، وبجُملة إنشائية ودُعائية تقول لهم: «فَقُبحَاً لِفُلُولِ الحدِّ»[(٤)]، فَقُبحاً مصدر لفعل محذوف نحو سُقياً، وهو دعاء بالشَّر، وهكذا تُكرِّر الخطيبة الدعاء بأكثر من صيغة[(٥)].

وتستثمر بعض الخطيبات الأدعية القرآنية، فتقتبس لخطبها الآيات التي ترد فيها الأدعية على وفق ما يتناسب وسياق الكلام، حتّى يُمكن أن نعد هذا الأُسلوب من سمات خُطب السيدات [(٦)].

---

(١) زينب الكبرى: ٢٢٥.

(٢) بلاغات النساء: ٢٠، دلائل الإمامة: ٤٠.

(٣) حياة الزهراء بعد أبيها الرسول: ٣٠١.

(٤) دلائل الإمامة: ٤٠، نثر الدُر: ٨.

(٥) بلاغات النساء: ٢٠، دلائل الإمامة: ٤٠- ٤١ (فرُغماً وتَعْساً) دعاء عليهم وهما مصدران لفعل محذوف، أي: فرغمهم الله رغماً، وتعسهم الله تعساً - أي هلاكاً، وقولها: (ويحهم أفمن يهدي للحق...) أيضاً دعاء (فويح) دعاء تقال لكل من وقع في بلية يُرْحَمُ ويُدْعى له بالتخلص منها، لسان العرب: مادة (ويح) ٢ / ٦٣٨.

(٦) ظ: اللهوف في قتلى الطفوف: ٩٧، الاحتجاج: ٢ / ١٠٧، خُطبة السيدة فاطمة بنت الإمام ←

سادساً: القصر

أُسلوب القصرِ من الأساليب التي زخرت بها نُصوص الخطب وبطُرُق متُعدّدة، فتارة بالنفي والاستثناء، وأخرى بتقديم ما حقّه التأخير، وهو أكثر ما ورد في الخُطَب، وهذه التَعدُّديَّة أضفت على الخطب رصانة وقوّة.

والقصر لغةً: هو الحبس والإلزام، والقصر: «أَقْصَر عن الشيءِ إذا نَزع عنه والقَصْرُ كَفُّك نَفْسَك عن أَمر وكفُّكها عن أَن تطمح بها غَرْبَ الطَّمَع»[١].

وفي الاصطلاح: «تخصيص شيء بشيء أو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص كتخصيص المبتدأ بالخبر بطريق النفي، أو تخصيص الخبر بالمبتدأ بطريق الاستثناء»[٢]، وذكر القصر في كتاب الإيضاح «القصر حقيقي وغير حقيقي وكلٌّ واحدٍ منهما ضربان قصر الموصوف على الصِّفَة وقصر الصِّفَة على الموصوف والمُراد الصِّفة المعنويّة لا النّعت والأوّل من الحقيقي»[٣].

ولأُسلوب القصر طرفان وله طُرُقه المختلفة التي يُؤدى بها، ومنها في نُصوص الخطب ما ورد بالأداة (إنّما)، وبها يكون القصر مزية على العطف، لأنّه يفهم منه الإثبات ثم النفي أو العكس، ويُعزى كثرة القصر (بإنَّما) في خطب السيدات لغرض رد الإنكار، سواء أكان حقيقة أم ادّعاء، ومثاله ما ورد في خُطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في المسجد بقولها: «قد

الحسين عليها السلام في أهل الكوفة، إذ اقتبست قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ للدعاء على القوم.

(١) لسان العرب: مادة (قصر) ٩٥/٥.

(٢) علم المعاني: ١٥٩، وظ: معجم المصطلحات البلاغيّة: ١٣٧.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة: ١ / ١١٨.

زعمت أنّ النبوة لا تورث وإنّما يورث ما دونها، فمالي أمنع إرث أبي؟ أأنزل الله في كتابه: إلا فاطمة بنت محمّد؟»[١]، فهنا أرادت الخطيبة عليها السلام أن تُخْرِج (النبوة) من الميراث لتُثبِتَ ما عداها، فجاءت بالمقصور عليه (يُورث ما دونها) وهو مؤخر في الجُملة وجوباً، وكان قصرها بـ(إنّما) حصراً، لمجيئها بأمر الإرث الذي لا يُمكن للمُخاطب أن يَجهله ولا يُنكره، بل وظفته للتنبيه، وأيضاً لتؤكد ما هو ثابت في نفوسهم بما يستبطن هذا من تقريعٍ خفي، وهذا قصر حقيقي، كون المقصور عليه (يُورث ما دونها) اختُصّ بحسب الحقيقة والواقع، إذ إنّهم فعلاً يرثون من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كلّ شيء ماخلا النبوة.

ونَجِدُ أشهر طُرُق القصر وروداً في الخطب هو (النفي والاستثناء)، والنفي - كما هو واضح - يتحقق بأدوات عدّة هي (لم، لا، لن) فضلاً عن (ما)، وهذا الأُسلوب يُفاد منه لأغراضٍ بلاغيّةٍ لذلك عمدت الخطيبات إلى استعماله في نُصوصهنّ بكثرة، ومثال على ذلك القصر بالاستثناء المسبوق بنفي في قول السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليها السلام: «وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ وَأَنَّ محمّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه صلى الله عليه وآله وسلم»[٢]، نُلاحظ أنّها عليها السلام قصرت بالأداة (إلا) المسبوقة بأداة النفي (لا) وهذا قصر حقيقي، إذ إن المقصور عليه اختصَّ بحسب الحقيقة والواقع، ولم يتُعدّاه إلى غيرهما أصلاً، واستعملت الخطيبة قصر صفة على موصوف من خلال حبسها للصفة على موصوفها واختصاصها به، وهذا واضح، إذ لا

---

(١) بلاغات النساء: ١٩، دلائل الإمامة: ٣٦.

(٢) اللّهوف في قتلى الطفوف: ٩٦، الاحتجاج: ٢ / ١٠٥.

يتصف بالأُلوهيّة غيرُ الله، وجملة القصر هذه تعادل القول: (الأُلوهيّة لله، وليس إله غيره) وهذا يَدُلُّ على أنّ جُملة القصر في مقام جُملتين.

ومن الخطيبات من استعملت أُسلوب القصر بالاستثناء المسبوق بالاستفهام الذي خرج إلى النفي، ومثاله ما جاء في خُطبة السيدة زينب عليها السلام بالكوفة في قولها: «هَلْ فِيكُمْ إلا الصَّلِفُ والعَجِبُ»[(١)]، فهنا خرجت الخطيبة من معنى الاستفهام إلى النفي، فيكون معنى الجُملة (ما فيكم إلا الصلف) وهذا قصر إضافي من جهة أنَّ المقصور عليه (الصَّلف) اختصَّ بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء آخر معين من أهل الكوفة، لا لجميع ما عداه، فقد قصدت قصر (الصّلافة) على أهل الكوفة بالنسبة لغيرهم، ولكن الواقع يشهد غير ذلك، وأرى أنَّ هذا القصر يُمكن أن يَنْزِل منزلة القصر الحقيقي في هذا المورد، من جهة أنّ المقصور عليه (الصَّلف) اختصَّ بأهل الكوفة بحسب الحقيقة والواقع، ولم يتُعدّاه إلى غيرهم في خصوص موقفهم إزاء الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام، ولتقسيم هذا القصر من حيث اعتبار طرفيه ففيه تأمل، وذلك لمعناه الدقيق، إذ يُمكن أن يكون قصر صفة على موصوف إذا جعلنا (الصَّلافة) محبوسة عليهم ومُخْتَصَّة بهم بحيثُ لا يُوصف بها غيرهم، وقد يتصفون بغيرها من الصفات، كما ذكرت الخطيبة عليها السلام صفات أُخرى (العجب، الشَّنَف، الكَذِب)، وهذا إيغال في التشنيع عليهم وإغالتهم، ويُمكن أن يكون قصر موصوف على صفة، من حيث حبس الموصوف على الصفة، واختصاصهم بها من دون غيرها، ومشاركة غيرهم لهم فيها كيزيد وأتباعه.

---

(١) الاحتجاج: ٢ / ١١٠.

بينما في خُطبتها عليها السلام أمام يزيد فإنّها عليها السلام توظف أُسلوب القصر لأغراض بلاغيّة، وعلى سبيل المثال نأخذ قولها: «مَا فَرَيْتَ إلا جِلْدَكَ، وَمَا جَزَزْتَ إلا لَحْمَكَ»[(١)]، فهنا أرادت عليها السلام تمكين الكلام وتركيزه في ذهن المتلقين، فَعَمَدَتْ إلى القصر المسبوق بـ(ما) النافية، وجعلت المقصور عليه بعد أداة الاستثناء (جلدك، لحمك)، وقد أنزلت أمر (الفري، الجزر) منزلة الصِّدق والواقعية، إذ وضّحت أنَّ يزيد لم يفرِ أو يجزر الإمام الحسين عليه السلام أو بقيّة الشهداء رضي الله عنهم بقدر ما أفرى جلده وجزر لحمه، وهذا قصر صفة على موصوف، فقد حبست الصفة (فريت، حزرت) على الموصوف (جلدك، لحمك) وخصّتهما به، ولم تجعل الصفتين وصفاً لغيره (يزيد)، وهذا قصر حقيقي.

ولم تخلُ الخطب من أُسلوب القصر بطريق (العطف بلا) كما في خُطبة السيدة الزهراء عليها السلام حينما قالت: «فَلا يَنْكَفِئ حَتَّى يَطَأَ صِمَاخَهَا بِأَخْمَصِهِ»[(٢)]، وهنا أفردت الخطيبة عليها السلام معطوفها، وما بعده لم يكن داخلاً في عُمُوم ما قبلها.

وقصرٌ بليغ بالأداة (إنّما) يُطالعنا في خُطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليها السلام في قولها: «فَاكْظِمْ وَاقْعَ كَما أَقْعَى أَبُوكَ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ ما قَدَّمَتْ يَدَاهُ»[(٣)]، فالمقصور عليه (لكلٍّ امرئ) مُؤخَّرٌ وجوباً في الجُملة، وللقصر هنا مزية على العطف؛ لأنَّه أفاد الإثبات للمعنى الذي أتت به الخطيبة

(١) بلاغات النساء: ٢٢، نثر الدُر: ١٨.
(٢) بلاغات النساء: ١٣، دلائل الإمامة: ٣٤.
(٣) اللّهوف في قتلى الطفوف: ٩٨، الاحتجاج: ٢ / ١٠٨.

بخصوص المُخاطب، وأُسلوب القصر هنا حدد المعاني تحديداً كاملاً، وحينما عمدت إلى الأداة (إنّما) لتثبت شيئاً من شَأْنِه ألا يجهله المُخاطب أو يُنْكِرَه، ولذلك عمدت إلى تنبيهه فقط، وهذا ما أضفى على خطابها قوّة في التأثير، وما يُلفِتُ انتباهنا في هذا القصر هو أنّ الخطيبة عليها السلام قد أرادت به (التّعريض)، إذ لم تكن قصدت إعلام (المُخاطب) بظاهر المعنى، بل إنّها عرَّضت بالمُخاطب الجاهل لأصله التابع لأصل أبيه.

سابعاً: الإيجاز والإطناب والمُساواة

ممّا لا شكّ فيه أنّ البليغ إذا ما أراد التعبير لا يَعدو طُرُقاً ثلاثاً، فإمّا أن يُوجز أو يُسهب أو يُوازن ليُساوي بين اللّفظ والمعنى على وفق ما يقتضيه الحال أو الواقعة التي يتكلّم بصددها، فضلاً عمّا يقتضيه حال المُخاطب، وهذه الطُرُق (الإيجاز والإطناب والمساواة) هي من علم المعاني، ويُمكن الحديث عنها مُجتمعة إلا أنّ البدء بالمساواة أفضل من حيث جعلها الأصل للإيجاز والإطناب.

أ - المساواة

هي: «تأدية أصل المُراد بلفظ مساوٍ له أو ناقص عنه وافٍ أو زائد عليه لفائدة، والمُراد بالمساواة أن يكون اللّفظ بمقدار أصل المراد، لا ناقصاً عنه بحذف أو غيره، ولا زائداً عليه بنحو تكرير أو تتميم أو اعتراض، وقولنا وافٍ احترازٌ عن الإخلال وهو أن يكون اللّفظ قاصراً على أداء المعنى»[1].

(١) الإيضاح في علوم البلاغة: ١ / ١٧٠.

وأشار أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) إلى المساواة بقوله: «المساواة هي أن تكون المعاني بقدر الألفاظ، والألفاظ بقدر المعاني، لا يزيد بعضُها على بعض، وهو المذهب المتوسط بين الإيجاز والإطناب، و... كأنّ ألفاظه قوالبُ لمعانيه؛ أَيْ لا يَزِيدَ بَعْضُهَا على بعضٍ»[1].

وتُعدّ المساواة من أرقى المستويات التي لا يرتقيها إلا الأفذاذ من البُلغاء، لصعوبة المُرتقى، وجَلال المَقصد، وقليل من الخُطباء من سمت خُطَبُه بهذا اللّون البلاغي، ومن هذه الخُطب خُطبة السيدة الزهراء عليها السلام أمام نساء المهاجرين والأنصار، إذ أتت الألفاظ على قَدْرِ المعاني بقولها: «وَلَمْ يَكُنْ يَتَحَلَّى مِنَ الغِنى بِطَائِل، وَلا يَحْظَى مِنَ الدُّنْيَا بِنائِل، غَيْرَ رَيِّ النَّاهِل، وَشِبْعَةِ الكَافِل»[2]، لو تأملنا هذا المقطع للاحظنا أنَّ الألفاظ فيه بقدر المعاني، بحيث لو حاولنا أن نزيد لفظاً لكانت الزيادة غير مفيدة، ولو أسقطنا لفظاً لكان ذلك إخلالاً بالمعنى، وفي مقطع آخر تقول: «وَيَعْرِفُ التالُونَ غِبَّ ما أَسَّسَ الأوّلون»[3]، فالألفاظ هُنا مُساوية للمعاني، وَمَعَ هذا فالخطيبة عليها السلام جاءت باللّفظ مُساوياً للمعنى مع الاختصار، إذ تحرّت بتعبيرها في تأدِيَة معنى أوجز ما كان من ألفاظ قليلة الأحرف، كثيرة المعاني.

وفي خُطبة السيدة زينب عليها السلام نجد الألفاظ قد جاءت مُساوية للمعاني تمام المساواة، في قولها أمام أهل الكوفة: «فلَقَد خَابَ السَّعْيُ،

---

(١) كتاب الصناعتين: ١٨٥.

(٢) الاحتجاج: ١ / ٢٨٩.

(٣) بلاغات النساء: ٢٠، دلائل الإمامة: ٤١، نثر الدُر: ٩.

وَتَبَّتِ الأَيْدي، وَخَسِرَتِ الصَّفْقَةُ، وَبُؤتُمْ بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ»[١]، فالمُساواة في هذا المقطع من الخُطبة واضحة، وكلٌّ زيادةٍ أو نقص في ألفاظ الحديث إخلال بالمعنى.

ولكي تتبيّن حقيقة المساواة - التي تُعدّ طريقاً وسطاً في التعبير بين الإيجاز والإطناب - نقف عند هذا المقطع من خُطبة السّيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليها السلام المتمثل في قولها: «قَتَلْتُم جَدَّنَا بِالأَمْسِ، وَسُيُوفُكُمْ تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِنَا أَهْلَ البَيْت، لِحِقْدٍ مُتَقَدِّمٍ، قَرَّتْ بِذَلِكَ عُيُونُكُمْ، وَفَرِحَتْ بِهِ قُلُوبُكُم اجْتِرَاءً مِنْكُمْ عَلَى اللّهِ»[٢]، فهنا مساواة ارتقت بها الخطيبة من حيث تلوينها بشيء من الإيجاز، وشيء من الإطناب في وقتٍ واحد، وذلك إذا اكتفينا بالضمير (نا) في كلمة (دمائنا)، فالمسألة مسألة إطناب (أهل البيت)، وأمّا إذا تأملنا فيما نُصِبَ بعد كلمة دمائنا وهي كلمة (أهْلَ) لوجدنا أنَّ هناك فعلاً محذوفاً، وفي ذلك إيجاز حذف، والتقدير: أعني أو أخُصُّ أو أقصد (أهْلَ البيت).

ب - الإيجاز والإطناب

كلٌّ بليغ - بحسب مُقتضيات الأحوال - يسلك في أداء معانيه بعد المساواة؛ إمّا طريق الإيجاز؛ أو طريق الإطناب، ويدور كلّ منهما على معنىً معين، ففي الإطناب يتم التعبير على قدر المعنى، وفي الإيجاز اختزال التعبير على قدر كثيرٍ من المعاني.

(١) اللّهوف في قتلى الطفوف: ٩٥، الاحتجاج: ٢ /١١١.
(٢) اللهوف في قتلى الطفوف: ٩٧، الاحتجاج: ٢ /١٠٦.

وقد أشار السكاكي (ت ٦٢٦هـ) إلى هذا المعنى بقوله: «الإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط، والإطناب هو أداؤه بأكثر من عباراتهم»[(١)]، وهذا التعريف لم يختلف عن سابقه، بل إنَّ أغلب القُدامى ذهبوا في تعريفاتهم للإيجاز والإطناب المذهب نفسه[(٢)].

وأكد العسكري (ت٣٩٥هـ) على أهميتهما بقوله: «إنَّ الإيجاز والإطناب يُحتاج إليهما في جميع الكلام وكلِّ نوع منه؛ ولكلٍّ واحدٍ منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه؛ فمن أزال التدبير في ذلك عن جِهَتِهِ، واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ»[(٣)].

وفي صدد دراستي لخطب سيدات البيت النبوي وجدتهما من الفنون البلاغيّة التي سمت بوضوح في ألفاظ الخطب، ومن أمثلة (الإطناب) فيها ما ورد في خُطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في قولها: «كِتَابُ اللّهِ النَّاطِقُ، والقُرآنُ الصَّادِقُ، والنُّوْرُ السَّاطِعُ، والضِّيَاءُ اللامع»[(٤)]، فهنا زادت الخطيبة عليها السلام اللّفظ على المعنى لغرض الإيضاح من جهة، ولحاجة المُتلقي إلى ذلك من جهة أخرى، ومثل هذه الزيادة في الألفاظ لا تُعدّ تطويلاً؛ بل فائدة في تأكيد المقصد للمُخاطب.

ومرّة أُخرى عمدت عليها السلام إلى الإطناب لغرض تقوية المعنى إلى

(١) مفتاح العلوم: ٤٩٣.
(٢) ظ: المثل السائر: ٢ /٢٦٥، ٢٦٨، ٢٦٩.
(٣) كتاب الصناعتين: ١٩٦.
(٤) الاحتجاج: ١/ ٢٥٨.

جانب تثبيته في ذهن السّامع في قولها: «{ وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ } ، مُذْقَةَ الشّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطَّامِعِ، وَقَبْسَةَ العَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الأَقْدامِ»[(١)]، فالإطناب هنا أفاد تقوية المعنى وتأكيده، وهكذا تسترسل الخطيبة عليها السلام في هذه الخُطبة بهذا اللّون البلاغي لدواعٍ وأغراضٍ بلاغيّة، لا للتطويل.

ويرد الإطناب في خُطبة السيدة زينب عليها السلام في قولها: «اللّهمَّ خُذ بِحَقِّنا، وانْتَقِمْ مِنْ ظَالِمِنَا، وَأَحْلِلْ غَضَبَكَ عَلَى مَنْ سَفَكَ دِمَاءَنَا وَنَقَضَ ذِمَارَنَا، وَقَتَلَ حُمَاتَنَا، وَهَتَكَ عنَّا سُدُولَنَا»[(٢)]، إذ تأتي به مُعترضة لغرض قصدته ورمت إليه غير دفع الإيهام، بل للتأكيد.

ولأجل تثبيت المعنى وتوضيح المُراد والتوكيد، عمدت إلى الإطناب في قولها أمام أهل الكوفة: «لَقَدْ جِئْتُمْ بِهَا شَوْهَاءَ [صَلعَاءَ، عَنْقَاءَ، سَوْدَاءَ، فَقْمَاءَ] خَرْقَاءَ طِلاعِ الأَرْضِ وَالسَّماءِ»[(٣)].

ومِنَ الإطناب في خُطبة السيدة أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليها السلام في أهل الكوفة في قولها: «مَا لَكُم خَذَلتُمْ حُسَيْناً وَقَتَلْتُمُوهُ، وَانْتَهَبتُمْ أَمْوَالَهُ وَوَرِثْتُمُوهُ، وَسَبَيْتُمْ نِسَاءَهُ وَنَكَبتُمُوه؟ فَتَبَّاً لَكُمْ وسُحْقَاً، وَيْلَكُمْ، أَتَدْرُونَ أَيَّ دوَاهٍ دَهَتْكُمْ؟ وَأَيَّ وِزْرٍ عَلَى ظُهُورِكُمْ حَمَلْتُمْ؟! وَأَيَّ دِمَاءٍ سَفَكْتُمُوها؟ وَأَيَّ كَرِيمَةٍ أصَبْتُمُوهَا؟ وَأَيَّ صِبيَةٍ سَلَبْتُمُوهَا؟ وأَيَّ أمْوَالٍ انتَهَبْتُمُوهَا؟»[(٤)]، فهنا إطناب واضح، وهو يدلُّ على البلاغة الواسعة التي تكمُن في نفس الخطيبة.

---

(١) المصدر السابق: ١/٢٦١.

(٢) م ن: ٢ /١٢٧.

(٣) اللّهوف في قتلى الطفوف: ٩٥، الاحتجاج: ٢ / ١١٢.

(٤) اللّهوف في قتلى الطفوف: ٩٥.

وقد أطنبت السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليها السلام في خُطبتها أمام أهل الكوفة حينما قالت: «فَكَذَّبْتُمُونَا، وَكَفَّرْتُمُونَا، وَرَأَيْتُمْ قِتَالَنَا حَلالاً، وَأَمْوَالَنَا نَهْبَاً»[(١)]، ففي (كذبتمونا وكفرتمونا ورؤية القتل حلالاً والأموال نهباً) إطناب، ولكنا مع هذا الإطناب نلحظ إشارات مشحونة بالإيحاء الإنكاري.

وفي ضوء ما تقدّم من أمثلة حول الإطناب نجد أنّ وظيفته متعلّقة في تأدية المعنى بأكثر من لفظ للوصول إلى الغاية المنشودة إزاء المتلقي، وأمثلته في نُصوص الخطب كثيرة، إلا أنّنا نكتفي بهذا القدر، لننتقل إلى اللّون الآخر وهو (الإيجاز)، وحقيقة القول أنَّ أمثلته كثيرة، نذكر منها ما ورد في خُطبة السيدة الزهراء عليهم السلام وهو إيجاز الحذف في مورد تخفيف (أنّ) إذ يحذف اسمها، ومن ذلك قولها: «وَزَعَمْتُم أن لا حِظْوَةَ لي ولا إِرْثَ مِنْ أَبِي!» [(٢)].

ومن الإيجاز في خطبتها أمام نساء المهاجرين والأنصار قولها: «فَنَظِرَةٌ ريثُما تُنتِج» [(٣)]، فهنا إيجاز قصر، إذ إنَّ الخطيبة ضمنت معانيَ كثيرةً في ألفاظ قليلة من غير حذف، فالمعنى هنا كثير واللّفظ يسير.

وفي مورد من هذه الخُطبة تجمع الخطيبة بين قسمي الإيجاز (الحذف والقصر) بقولها: «أَلا فَاسْمَعْنَ، وَمَنْ عَاشَ أَرَاهُ الدَّهْرُ العَجَبَ» [(٤)]، ففي الأوّل إيجاز حذف، فقد أتت بالفعل وفاعله ضمير محذوف، ولم تزد عليه

(١) الاحتجاج: ٢/١٠٦.
(٢) بلاغات النساء: ١٧، دلائل الإمامة: ٣٥.
(٣) بلاغات النساء: ٢٠، نثرالدُّر: ٩، الاحتجاج: ١/٢٩٠.
(٤) دلائل الإمامة: ٤٠، نثرالدُّر: ٩.

شيئاً للاختصار وتسهيل الحفظ، وفي المقطع الثاني إيجاز قصر، فالمعنى كثير والخطيبة اختصرته لتقريب الفهم حتّى غدا قولها (وما عشت أراك الدهر عجباً) مثلاً.

ومثل هذا الإيجاز ما ورد في خُطبة السيدة زينب عليها السلام في الشام، إذ أشارت بإيجاز شديد إلى حادثة تأريخية بقولها: «أمِنَ العَدْلِ يا بنَ الطُلَقَاءِ»[1]، ففي قولها (يا ابن الطلقاء) إشارة إلى حادثة تأريخيّة تتصل بيوم فتح مكة وإطلاق الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الأُسارى ومنهم أبو سفيان وهند جدّا يزيد، وهذه الحادثة أوجزها بكلمتين، وهذا إيجاز قصر.

وفي إيجاز جميل تهدف منه الخطيبة إلى تحصيل معنى كثير بلفظٍ يسيرٍ نجده في خُطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليها السلام بقولها: «ابْتَلانَا اللّهُ بِكُمْ، وابْتَلاكُمْ بِنَا»[2]، وهذا إيجاز قصر للاختصار، فالخطيبة عليها السلام لم تحذف؛ بل ضمّنت معانٍ كثيرةٍ في ألفاظٍ قليلة، وفي مورد آخر تعمد عليها السلام إلى حذف الفعل وفاعله وتُبقي المصدر من دون أن يكون هناك خلل بالفهم، وهذا ما يتجسد في قولها: «تعساً لرؤوسهم، ما دفعت عنه ضيماً»[3]، وتقدير الكلام (تَعَسَ تَعْسَاً لرؤوسهم).

وهكذا نجد أن أكثر ما ورد في نصوص خطب العلويات هو إيجاز حذف أكثر منه إيجاز قصر، وهو مع الإطناب في هذه الخطب دلّ على مكامن وافرة

(١) بلاغات النساء: ٢١، نثرُ الدُّرّ: ١٨، الاحتجاج: ٢ / ١٢٥.
(٢) اللّهوف في قتلى الطفوف: ٩٦.
(٣)الاحتجاج: ٢ /١٠٥.

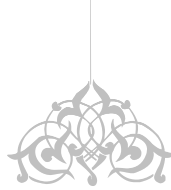
من أسرار البلاغة الكامنة في فكر أولئك الخطيبات وعقولهنّ.

ممّا سبق نُلاحظ أنَّ الخطيبات كُنّ يلجأن إلى أسلوب الإنشاء أكثر من الخبر لاسيّما الطّلبي، ممّا أدّى إلى أن يُشكِّل الإنشاءُ ظاهرة أُسلوبيَّة واضحة فيها، وأعتقد أنَّ ذلك يرجع إلى أسباب بلاغيّة، إذ إنّ أسلوب الإنشاء خصوصاً الطلبي منه يمتاز بلطائف بلاغيّة، على عكس الإنشاء غير الطلبي؛ فإنَّ أكثر صيغهِ في الأصل أخبارٌ نُقلت إلى الإنشاء، وأيضاً لأن الخطيبات "عليهن السلام" كُنّ بحاجة إلى أن يُسمعْنَ صوتهنّ لمن حضر، ويُرِدْنَ أن يوصلْنَ أفكارهنّ إليهم لذا فقد لجأنَ إلى أسلوب الإنشاء أكثر من أسلوب الخبر.

ونستطيع القول أيضاً إنَّ الخطيبات اعتمدن هذا الأُسلوب بسبب الظروف الموضوعيّة التي من أجلها جلجلن خطيبات، فهي مواقف تطلبت مثل هذا الأُسلوب والكلام الذي لا يحتمل صدقاً أو كذباً لذاته، ولكونه أوقع في النفس، وأشدُّ تأثيراً في المُتلقي، بخلاف الخبر الذي يحتمل الصدق والكذب لذاته، ولذا شكّل وجوده ظاهرة أقلّ في الخُطَب، وفي تواجده خرج لمقاصد وأغراض منها إفادة المخاطب الحكم حينما تستشعر الخطيبة أنَّ المُتلقي جاهلٌ به، أو لإفادته بعلمها به، - كما أشرنا إلى ذلك في بداية المبحث -، فضلاً عن أغراضٍ أُخرى خرج بها الخبر تُستفاد بالقرائن من سياق الكلام كالتوبيخ والتحذير والتذكير في خطبهن.

الفصل الثالث: البناء الفني للخطب

* المبحث الأول: بناء الخُطْبة
* المبحث الثاني: بناء الصورة البيانية
* المبحث الثالث: البنية الإيقاعية للخُطَب



المبحث الأول: بناء الخطبة

تَتَكَوَّنُ الخُطبة من أجزاء ثلاثة، هي المقدّمة والموضوع والخاتمة، ولكل جزء من هذه الأجزاء أهمّيته وأثره في بناء هيكليّة الخطبة وإنجاح هدفها، ويُعد أرسطو «أوّل من قسّم الخطبة إلى مراحل»(١)، ولأجل بيان إسهام هذه الأجزاء وأثرها في إنجاح الخطبة، وإظهار براعة الخطيب، سأتناول دراستها في هذا المبحث.

أولاً: المقدّمة

تُبتدَأ الخطبة غالباً بمقدّمة يَفْتَتِحُ بها الخطيب كلامه، وهي «من الخطبة كالمطلع من القصيدة، وكالإيقاع في الموسيقى، كلٌّ منها يُمَهِّدُ لما بعده، ويُعِدّ السامعين إلى الإصغاء»(٢).

وهي أوّل ما يقرع السّمعَ، فإذا كانت بمستوى يرتقي إليه السامع فإنّه سيتهيّأ ويتُأهّب لما بعدها، وانتقل من اللامبالاة إلى الإصغاء، ومن شأن

(١) الخطابة لأرسطو طاليس: ٢٣٤.

(٢) فن الخطابة: ١٢٠.

المقدّمة جذب المتلقّين، لأنّ «الغرض منها تنبيه السامعين إلى موضوع الخطبة وترغيبهم في الاستماع وإعداد أذهانهم للاقتناع»[١].

وبما أنّ مقدّمات الخطب «كلّها بدايات كأنّها تفتح السبيل إلى ما يتلو»[٢]، فإنّها ضرورية، ولا يمكن للخطيب الاستغناء عنها.

وإذا ما تركها الخطيب ودخل إلى الموضوع مباشرة فإنه إما نتيجة عامل نفسي أو عوامل أخرى يستوجبها المقام[٣] والخطيب الناجح هو الذي يلجأ إلى اختيار أو ارتجال مقدّمة لخطبته، يضع فيها جُلّ اهتمامه وعنايته، كما هو الحال في خطب سيدات البيت النبوي (عليهنّ السلام)، إذ نجد مقدّمات خطبهنّ عنواناً موفّقاً للمضامين التي اندرجت بين فِقْرَات خُطبهنَّ.

ومثال ذلك مقدّمة خطبة السيّدة الزهراء عليها السلام في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الحَمْدُ للّهِ عَلَى مَا أَنْعَمْ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا أَلْهَمْ، والثَّنَاءُ بِمَا قَدَّمْ، مِنْ عُمُومِ نِعَمٍ ابتَدَأَها، وَسُبُوغِ آلاءٍ أسْداها، وَتَمَامِ مِنَنٍ أَوْلاها، جَمَّ عَنِ الإحصاءِ عَدَدُهَا»[٤].

نُلاحظُ أنّ هذه المقدّمة قد جرت على وفق سياقات خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأسلوب البدء بحمد الله والثناء عليه قد اختطّه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسار عليه أميرُ المؤمنين عليه السلام، والخطيبة عليها السلام أفادت من أسلوبها من جهة، واختطّت منحىً فنّيّاً

(١) الخطابة في صدر الإسلام: ٢٢/١.

(٢) الخطابة: ٢٣٥.

(٣) ظ: علم الخطابة: ٢٥ - ٢٦.

(٤) بلاغات النساء: ١٥، دلائل الإمامة: ٣١.

خاصّاً بخطبتها من جهة أخرى، إذ تسلّسلت موضوعيّاً من الحمد فالشكر إلى الثناء على معطيات البارئ، ثمّ ذكرت صفاته تعالى، ثمّ النبوّة، وهكذا تدرّجت قي مقدّمتها حتى دخلت في موضوع الخطبة.

وبهذه المقدّمة الطويلة نقلت الجمهور إلى التفكير بصورة مشتركة، فهي عليها السلام لم توجِز بالافتتاحية لِتُسهِبَ في الموضوع، بل جعلتها مناسبة له من حيث الطول والفكرة، لذلك فهي من أروع المقدّمات، بما أضفت عليه الخطيبة من حسن اختيار الألفاظ ودِقّة متناسقة للتعابير، حتى أنهتها بالتدليل على الموضوع الرئيس من الخطبة.

ونجدها في خطبة أخرى تخرج من البناء الفنّي المألوف لمقدّمة الخطبة، ومردّ ذلك يعود إلى المناسبة التي ألقت فيها الخطبة، فقد كانت استطراداً لحديث، وجواباً لسؤال، أجابت عليه: «أصْبَحْتُ واللّه عائفةً لدُنياكُنّ، قاليةً لرجالِكُنّ، شنأتُهُمْ بعد أنْ عَرَفْتُهُم، ولفظتُهُم بعد أن سَبَرْتُهُم، ورَمَيْتُهُم بعد أنْ عجمتُهُم، فَقُبْحاً لِفُلولِ الحد»[١].

وهذه المقدّمة وإن كانت جواباً لسؤال إلا أنّها استطاعت أن تخرج به من نمطيّة الجواب إلى نص أدبي يتوافر على كلّ سمات الخُطبة المؤثّرة القويّة وشروطها، فجعلت ومن خلال أسلوب الحكيم[٢] المعروف في البلاغة العربية انتقالاً ناجحاً جدّاً من جواب معتادٍ على مثل سؤالهنَّ إلى انطلاقٍ واعٍ بخطبةٍ ناجحةٍ، حيثُ بدأتها بجوابٍ حادٍّ، كونها عليها السلام كانت ناقمة على ما أصاب رجال الأمّة من تراجع عن الأهداف الكبرى التي

(١) دلائل الإمامة: ٤٠ - ٤١، الاحتجاج: ٢٨٦ - ٢٨٧.

(٢) أُسلوب الحكيم: هو تلقّي المخاطب بغير ما يترقّبه، ظ: جواهر البلاغة: ٣٨٨.

أرسى قواعدها أبوها الرسول محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ولما صدر عن خصومها، فأرادت أن تُظهر مدى معاناته بسبب ظُلامتها أوّلاً، وانقلابهم على الأعقاب ثانياً، ولكن السبب الثاني كان هو الأقوى أثراً في نفسها، فأخذت بتقريعهم، وتدرّجت بعد ذلك لكشف الحقائق، حتى إذا ما بلغت غايتها صمتت، ولذلك تجاوزت المقدّمة وجاءت بالقسم لتؤكّد فداحة الأمر الذي آل القوم إليه.

ومن خُطب العلويات خطبةُ السيّدة زينب عليها السلام أمام أهل الكوفة؛ إذ بدأتها بعد أن «حمدت الله وأثنت عليه بما هو أهله، وصلّت على نبيّه» [(١)]، بعبارة: «أمّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الكُوفَةِ! يَا أَهْلَ الخَتْلِ والغَدْرِ والخَذْلِ والمَكْرِ، ألا فَلا رَقَأَتِ العَبْرَة، ولا هَدَأَتِ الزَّفْرَة، إِنَّمَا مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الَّتي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُم دَخَلاً بَيْنَكُمْ، هَلْ فِيكُمْ إلا الصَّلِفُ»[(٢)] وهي بذلك تحولت من المقدمة إلى الموضوع.

وهنا تُميّزت افتتاحية الخطيبة عليها السلام بحماس بليغ، وهيمنة بيانية حتى قيل: «كأنّها تنطق وتفرغ عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام»[(٣)]، وقد كان عليه السلام سيد البلغاء والقائد الفصيح للدولة الإسلامية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإفراغها عليها السلام عن لسانه يعني أنّها على مستوى راقٍ من البلاغة والفصاحة وأهليّة القيادة.

---

(١) كما يوجز ذلك الرواة، يُراجَع الاحتجاج: ٢ / ١٠٩-١١٠، (قال حذيم الأسدي...، ثم قالت - بعد حمد الله تعالى والصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم).

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف: ٩٤، الاحتجاج: ٢/١١٠.

(٣) م ن: ٢/١٠٩.

ونجدها أمام يزيد تقف موقفاً آخر وهي في بلاط حكمه، إذ افتتحت خطبتها بما يُناسب المقام، فهي أمام ظالم جائر لا يجرؤ أحد غيرها على تكليمه، فقالت: «الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة على جدّي سيّد المُرسَلين، صَدَقَ الله سُبحانه كذلك يقول: { ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُون }[1]، أَظَنَنْتَ يَا يَزِيدُ أنّك حين أخَذْتَ عَلَيْنَا أقطارَ الأرضِ، وَضَيَّقْتَ عَلَيْنَا آفَاقَ السَّمَاء، فَأَصْبَحْنَا لك في إسار، نُسَاقُ إليك سَوقاً في قِطار، وأَنْتَ عَلَينا ذو اقتِدار أَنَّ بِنَا مِنَ اللّهِ هَوَاناً وعَلَيْكَ منه كَرَامةً وامتِناناً»[2].

وهنا بدأت الخطيبة بحمد الله، ثم ذكّرت الحاضرين بنسبها وصلتها برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفي ذلك مغزى، إذ إنّهم كانوا مخدوعين بأنّ الأسارى من الروم، وهي بهذه المقدّمة أعلمتهم بأنّهم من ذراري رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبعدها بدأت تستنكر على يزيد وأتباعه فداحة ما ارتكبوه، فنادته باسمه مزدرية كل ألقابه، ساحقة نزف غروره، لتدخل بعد ذلك في الغرض الرئيس لخطبتها.

وتكاملت مع هاتين الخطبتين خُطب أخرى لنساء البيت النبوي، بل تعدّى ذلك حتّى إلى صبايا ذلك البيت كالسيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليهما السلام التي لم تكن تبلغ من العمر سوى أحد عشر عاماً، لكنّها وقفت خطيبة مفوّهة أمام أهل الكوفة لتقول: «الحَمْدُ للّهِ عَدَدَ الرَّمْلِ والحَصَى، وَزِنَةَ العَرْشِ إلى الثَّرَى، أَحْمَدُهُ وَأُؤْمِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللّهُ

(١) الروم / ١٠.

(٢) الاحتجاج: ٢/١٢٣ - ١٢٤.

وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ وَأَنَّ محمّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه صلى الله عليه وآله وسلم»[١]، وهذه المقدّمة جاءت متكاملة مع مفاصل الخطبة، حتى تتابعت كلماتها نافذة مؤثّرة في نفوس السامعين.

ثانياً: العرض (موضوع الخطبة)

يعدّ موضوع الخطبة أهمّ ما فيها، لذا لا يُمكن الاستغناء عنه، فالخطيب قد يترك المقدّمة ويستغني عن الخاتمة، لكنّه لا يُمكن أن يترك العرض؛ لأنّه جوهر الخطبة والداعي إليها، وعلى هذا فهو «في حقيقته الخطبة نفسها»[٢]، وعليه يجب «أن يكون من الوضوح بحيث لا يفوت على السامعين مزيّة الفهم ولذّة التتبّع، ولا يسئمهم بالتعقيد والغموض، وأن يكون مؤدياً إلى النتيجة المطلوبة»[٣]، وهذا ما نُلاحظه في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام، إذ بدأت بعرض موضوع خطبتها بدِقَّة، مختارة لذلك الألفاظ المناسبة، ذاكرة للأدلة والبراهين المقوّية لحجّتها ممّا أدّى إلى قوة الخطبة ورصانتها بكلّ ما حوته من أدلّة منطقيّة مبنيّة على مُقدّمة ثابتة يقينيّة ناشئة عن اقتناع ويقين عقلي، وبعض أدلّة موضوعها كانت خطابية مبنية ومسندة إلى العُرْف الشائع لدى المتلقّين، وهكذا تتسلسل الخطبة بموضوعها المتفرع إلى فروع عدّة، بوحدة موضوعيّة في الفِقْرَات، ووضوح في الأفكار وتدرّج في المعاني، جعلت من الخطبة بِنية حيّة نابضة وتامّة في التكوين، ومن ذلك قولها عليها السلام: «إِيْهَاً بَنِي قَيْلَةَ، أَأُهْضَمُ تُرَاثَ أَبِي؟ وَأَنْتُمْ بِمَرأَىً مِنِّي وَمَسْمَعٍ؟ وَمُنْتَدَىً وَمَجْمَعٍ؟

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ٩٦، الاحتجاج: ١٠٤/٢ - ١٠٥.

(٢) الخطب والمواعظ: ٤٢.

(٣) الخطابة في عصر صدر الإسلام: ٢٦/١.

تَلْبَسُكُمُ الدَّعْوَةُ، وَتَشْمَلُكُمُ الخَبْرَة، وَأَنْتُمْ ذَوُو العَدَدَ والعُدَّةِ، والأَدَاةِ والقُوَّةِ وَعِنْدَكُم السِّلاح والجُنّةُ، تُوَافِيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلا تُجِيبُونَ، وَتَأْتِيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلا تُغِيثُونَ، وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالكِفَاحِ، مَعْرُوفُونَ بِالخَيْرِ والصَّلاحِ، والنُّخْبَةُ التي انتُخِبَتْ، والخِيَرَةُ الَّتي اخْتِيْرَتْ لَنَا أَهْلَ البَيْت.

قَاتَلْتُمُ العَرَبَ، وَتَحَمَّلْتُمُ الكَدَّ والتَّعَبَ، وَنَاطَحْتُمُ الأُمَمَ، وكَافَحْتُمُ البُهَمَ، لا نَبْرَحُ أَوْ تَبْرَحُونَ، نَأْمُرُكُمْ فَتَأْتَمِرُونَ، حَتَّى إِذا دَارَت بِنَا رَحَى الإسلام، وَدَرَّ حَلَبُ الأَيَّام، وَخَضَعَتْ ثَغْرَةُ الشِّرْكِ، وَسَكَتَتْ فَوْرَةُ الإِفْكِ، وَخَمَدَتْ نِيرَانُ الكُفْرِ، وَهَدَأَتْ دَعْوَةُ الهَرْجِ [وَالمَرْجِ]، واسْتَوْسَقَ نِظَامُ الدِّينِ، فَأَنّى حِرتُم بَعْدَ البَيانِ؟ وَأَسْرَرْتُم بَعْدَ الإعْلانِ؟ وَنَكَصتم بَعْدَ الإِقْدامِ؟ وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الإِيْمَانِ؟ بُؤْسَاً لِقَومٍ نَكَثُوا إيمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ، وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُول، وَهُم بَدَأوكم أوَّلَ مَرَّة ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [(١)]، أَلا وَقَد أَرَى أنْ قَد أَخْلَدْتُم إِلى الخَفْضِ وأَبْعَدْتُم مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالبَسْطِ والقَبْضِ، وَخَلَوتُم بِالدَّعَةِ وَنَجَوتُم بِالضِّيقِ مِنّ السِّعَةِ، فَمَجَجْتُمْ مَا وَعَيْتُم، وَدَسَعْتُم الَّذي تَسَوَّغْتُم فـ ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [(٢)]، ألا وَقَدْ قُلْتُ مَا قُلْتُ هَذَا عَلَى مَعْرِفَةٍ مِنِّي بِالخَذْلَة الَّتي خَامَرَتْكُم، والغَدْرَةِ الَّتي اسْتَشْعَرَتْها قُلُوبُكُمْ، وَلَكِنَّهَا فَيْضَةُ النَّفْسِ، وَنَفْثَةُ الغَيْظِ، وَخَوَرُ القَنَاةِ، وَبَثَّةُ الصَّدرِ، وَتَقْدِمَةُ الحُجَّةِ، فَدُونَكُمُوهَا» [(٣)].

في هذا المقطع من موضوع الخطبة نلحظ أنّها سلّمت كلّ جزء إلى ما

---

(١) التوبة / ١٣.

(٢) إبراهيم / ٨.

(٣) بلاغات النساء: ١٨، الاحتجاج: ١ / ٢٧١ - ٢٧٤.

بعده حتى ترابطت الخطبة في عِقْدٍ منتظم لا يُحل، مُشكِلة في موضوعها صورة فنّية راقية ببلاغتها، ولو دقّقنا في عرض هذه الخطبة لوجدنا كلّ فقرة تُعطي إثراءً وإغناءً واضِحَين، وذلك لبلاغة الخطيبة القويّة، وبراعتها البيانيّة، فبعد أن سلّمت كلّ فقرة للتي تلتها، ترابطت الفِقْرات وكأنّها جزء لموضوع واحد منتظم ببلاغته كسطر النخيل.

وقريب من ذلك يُلاحظ أيضاً في خطبتها عليها السلام أمام نساء المهاجرين والأنصار «وَيْحَهُمْ أَنَّى زَعْزَعُوهَا عَنْ رَوَاسِي الرِّسَالة، وَقَوَاعِدِ النُّبُوَّةِ والدَلالَة، وَمَهْبِطِ الرُوح الأَمِين، والطِبين بِأُمورِ الدُّنيا والدِّين؟! ﴿ أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [1]. وَمَا الّذي نَقِمُوا مِنْ أَبِي الحَسَنِ عليه السلام؟! نَقِمُوا واللهِ مِنْهُ نكيرَ سَيْفِهِ، [وَقِلَّةَ مُبَالاتِهِ لحتفِهِ]، وَشِدَّةَ وَطْأَتِه، وَنَكَالَ وَقْعَتِهِ، وَتَنَمُّرَهُ فِي ذَاتِ اللهِ» [2]، فعرض الخطبة جاء موزّعاً على فِقْرَات عدّة، تضمّ اللّوم والتقريع وكشف الحقائق، لكنّها عليها السلام طوتها جميعاً في وحدة موضوعية مُتسلسلة، وهذا يُفصح عن سمةٍ راقيةٍ يتمثل بها أدب السيدة الزهراء عليها السلام، فهي لم تعنَ بالعبارات ذات الطابع المترسل لتعرضها كموضوعات مُتنافرة في الخطبة، بل وظفت هذه العبارات لتكوّن وحدة موضوعيّة نموذجية، ولهذا اتّسمت خطبتها بعرضها المتسلسل المنتظم.

وأما في خطب السيّدات أمام أهل الكوفة، فنَلحظ الدخول المباشر إلى الموضوع بعد عبارة «أمّا بعد» التي يؤتى بها لفصل الخطاب، وجديرٌ بالذكر أنّ موضوعات هذه الخطب واحدة، إذ إنّ جميعها منصبّ على اللّوم والتقريع

---

(١) الزمر / ١٥.

(٢) دلائل الإمامة: ٤٠، نثر الدُر: ٨.

والتوبيخ، ولكن على الرغم من وحدة الموضوع إلا أنّنا نلحظ لكلّ خطيبة خصوصيتها في خطبتها التي تختلف بها عن غيرها، ففي خطبة السيدة زينب عليها السلام يبدأ العرض بالتقريع حينما تقول: «يَا أَهْلَ الكُوفَةِ! يَا أَهْلَ الخَتْلِ والغَدْرِ والخَذْلِ والمَكْرِ، ألا فَلا رَقَأَتِ العَبْرَة، ولا هَدَأَتِ الزَّفْرَة، إِنَّمَا مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الَّتي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُم دَخَلاً بَيْنَكُمْ، هَلْ فِيكُمْ إلا الصَّلِفُ»(١)، ثُمَّ التدرّج باللّوم والتّأنيب من جزء إلى آخر، حتى تصل نهاية موضوعها أقصى الدرجات، فتصبّ غضبها عليهم، كي تنبّههم على جسامة ما اقترفوه، وهكذا تصل غايتها في جعلهم يندمون على فعلتهم.

ومثل خطابها خطاب السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليهما السلام، فموضوعها لم يختلفْ عن عمّتها زينب عليها السلام إلا أنّ أُسلوب العرض مختلف، إذ قالت: «يَا أَهْلَ الكُوفَةِ! يَا أَهْلَ... تَبّاً لَكُمْ! فَانْظُرُوا اللَّعْنَةَ والعَذَابَ، فَكَأَنَّهَا قد حلَّتْ بِكُمْ، وَتَوَاتَرَتْ مِنَ السَّمَاءِ نَقِمَاتٌ فَيُسْحِتَكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأسَ بَعْضٍ، ثُمَّ تُخَلَّدُونَ فِيْ العَذَابِ الأَلِيْمِ يَوْمَ القِيَامَةِ، بِمَا ظَلَمْتُمُونا، ألا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ، وَيْلٌ لَكُمْ! أتَدْرُونَ أَيَّةَ يَدٍ طَاعَنَتْنَا مِنْكُمْ»(٢)، وهي هنا وظّفت العرض لتوجيه كلمات التوبيخ والتقريع لتصل غايتها في حثهم على الأخذ بالثأر، بعد أن حذرهم من الوعيد، مُستثمرة في لحظات خطابها ملامح الندم التي بَدَت على وجوههم، وأرادت بعرضها أن تحول بكاءهم إلى وسيلة من وسائل الانتصار للإمام الحسين عليه السلام

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ٩٤.

(٢)الاحتجاج: ١٠٦/٢ - ١٠٧.

والثلة الخيرة من شهداء كربلاء.

وفي خطب أخرى تلوح لنا براعة التوظيف وتدرج المعاني والهندسة اللّغويّة المُذهلة للألفاظ التي أسهمت ببراعةٍ واسترسال في القول عمّا اختلج في صدر الخطيبة، وشاهد ذلك خطاب السيدة زينب عليها السلام في مجلس يزيد، إذ إنّها عليها السلام راعت في عرض خطبتها مستوى الحاضرين وثقافتهم، فهي وسط مناخ مملوء بالطغيان والغطرسة، لذلك تطلّب منها الموقف صلابة في الخطاب، وجرأة في العرض، وقد أعلنت في خطابها عن انتصار مبدأ آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على ظلم يزيد، فبدأت بـ: «أَظَنَنْتَ يَا يَزِيدُ أنّك حينَ أخَذْتَ عَلَيْنَا أقطارَ الأرضِ.. لَعَمْرِي لَقَد نَكَأْتَ القُرْحَة، واسْتَأْصَلْتَ الشَّأْفَةَ، بِإِرَاقَتِكَ دم سيد شباب أهل الجَنَّة، وابن يعسوب العرب»[1]، وهكذا تتسلسل من مقطع إلى آخر، برباطة جأش، واطمئنان نفس، بلسان واثق في الوقت الذي لم يكن أحدٌ يجرؤ على أن يقف ذلك الموقف الحرج المحفوف بسيوف الظلم والطغيان، ويتكلّم بالحقيقة أحد سواهم، وقد فضحت بخطابها موبقات هذا الظالم، مُحَقِّقَة بموضوع خطبتها نجاحاً كبيراً، حينما ختمت بآخر فِقْرة معلنة فيها انتصارها عليه، حامدة الله بكلّ بسالة المقاتلين، فكوّنت بذلك لوحةً فنّيةً متميّزة.

ثالثاً: الخاتمة

بعد أن ينتهي الخطيب من موضوع خطبته؛ ينتقل إلى الجزء الأخير منها وهي الخاتمة، ولابدّ من أن تكون الخاتمة منسجمة مع ما سبقها من مقدّمة

(١) نثر الدُر: ١٨، الاحتجاج: ٢ /١٢٤ - ١٢٧.

وموضوع، ولابدّ من أن ينصبّ اهتمام الخطيب في حُسن التخلّص إليها، وجعلها مؤكّدة كلّ ما عناه ذلك «أنّها آخر ما يبقى في آذان السامعين وأذهانهم من الخطبة، وبعدها يجني الخطيب الثمرة المرتجاة... وفي الخاتمة يتجلّى نجاح الخطيب في لعبه بعواطف الجمهور واستمالتهم»(١)، ولذا فإنّها تُعَدّ «الطرف المقابل للمقدّمة فكما أنّ المقدّمة تُنبّه ذهن السامع للموضوع فالخاتمة تُنهي أفكار السامع بخُلاصة الموضوع كي تظلّ تلك الخُلاصة ذات أثر في ذهنه يَرِنّ صداها في أذنه وتتراءى معانيها في مخيّلته وتتردد عباراتها على لسانه»(٢)، وعلى هذا فهي ليست محطّة للشرح أو النقاش أو ذكر الأدلّة وسوق البراهين، بل هي خُلاصة تتنوّع بتنوّع الموضوعات، وتختلف باختلاف المقام معتمدة في ذلك على براعة الخطيب.

وهكذا تبدو لنا خواتيم خطب سيدات البيت النبوي متنوّعة ما بين خطبة خُتِمَت بنصٍّ قرآنيّ، كما في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام في المسجد، فقد اختتمتها بـ: «لَتَجِدُنَّ وَاللهِ مَحْمَلَهُ ثَقِيلاً، وَغِبَّهُ وَبِيلاً، إذَا كُشِفَ لَكُمُ الغِطَاء، وَبَانَ مَا وَرَاءَهُ [مِنَ البَأْسَاءِ] والضَّرَّاءِ، وبدا لكم من ربِّكم ما لم تكونوا تحتسبون، و { خَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ } (٣)»(٤)، وحقيقةً أنّ هذه الخاتمة تعدّ من أفضل الخواتيم تأثيراً في نفوس المتلقين بلحاظ «زمانها ومكانها وحدثها» وقد ألّمت الخطيبة فيها بأطراف الموضوع، فجاءت موجزة للغاية،

---

(١) ظ: فن الخطابة: ١٤٣.

(٢) علم الخطابة: ٣٠.

(٣) غافر / ٧٨.

(٤) الاحتجاج: ١/٢٧٨.

وفي الوقت نفسه جامعة للأفكار والعناصر البارزة في الخطبة، وكأنّها أرادت أن تُنهي خطبتها بالوتيرة من الحماس والنقمة وتحفيز الضمائر، فاقتبست من القرآن آية كان بها حُسُن الختام، بعد أن شدّت الأذهان، وامتلكت الأسماع، واستثمرت التنقلات أثناء خطابها، لتنهيه بخاتمة تتلاءم وفِقْرَاته، ولهذا كان ختام الخطبة موفّقاً، ففيه أجّجت المشاعر، وأثارت العواطف.

وأمّا في خطبتها أمام نساء المهاجرين والأنصار فاختتمت عليها السلام بإشارة إلى نصٍّ قرآني، بقولها: «فَيَا حسرةً لَكُمْ! وَأَنَّى بِكُم، وَقَدْ عُمِيَتْ عَلَيكُمْ، أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُم لَهَا كَارِهُون»[١].

وهذا النوع من الخواتيم جديد وغير مألوف في وقته، فقد ورد على وفق طابع مترسّل خلافاً لما طرحته في خطبتها من فِقْرات متسلسلة، ومع ذلك فإنّها جاءت متّسقة ومتناسبة مع المضمون، وهذا «يُفصح عن سمة...، وهي: أنّ المعصومين عليهم السلام لا يعنون بالأداة الفنية بما هي مجرد أداة، بل يُوظّفونها من أجل الموضوع، ممّا يجعل لنتاجهم طبيعته الخاصّة المُتفرّدة بالنحو الذي لحظناه»[٢] في خطبتها.

وأمّا في بعض الخطب فقد أخذت الخطيبة من النّص القرآني شاهداً وحجّة وخاتمة لموضوع خطبتها، كما هو الحال في خطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليهما السلام: «أحَسَدْتُمُونَا وَيْلاً لَكُمْ عَلَى مَا فَضَّلَنَا اللهُ:

فَمَا ذَنْبُنَا إِنْ جَاشَ دَهْرُ بُحُورِنَا وَبَحْرُكَ سَاجٍ لا يُوارِي الدَّعامِصا

(١) بلاغات النساء: ٢٠، دلائل الإمامة: ٤١، نثر الدُر: ٩.

(٢) تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: ٢٦٢.

{ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } [(١)] { وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ } [(٢)]» [(٣)]، فهنا جعلت الخطيبة عليها السلام هذه الخاتمة متناسبة مع المضامين التي عرضتها في خطبتها من لوم وتأنيب على قتل آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وهم من فضلهم الله على غيرهم، وبهذه الخاتمة تركت المُتلقّين وَسْط أجواء مشحونة بالألم بعد أن أخذ منهم النَّدَمُ مأخَذَهُ.

وكان الشعر نوعاً من أنواع الخواتيم في هذه الخطب، ومثال ذلك ما ورد في خُطبة السيدة زينب عليها السلام أمام أهل الكوفة، إذ ختمت خطبتها بأبيات من الشعر وظّفتها كشاهد على قياس حالها مع المخاطبين، وكانت خاتمتها بالشعر بمثابة خُلاصة لموضوع الخطبة، إلى جانب تأثيرها في المُتلقّين، فقد أثارت حماسهم، وشحذت هممهم، حينما قالت:

مَاذَا تَقُولُونَ إذ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ ... مَاذَا صَنَعْتُمْ وَأَنْتُمْ آخِرُ الأُمَمِ
بِأَهْلِ بَيْتِي وَأَوْلادِي وَتَكْرِمَتِي ... مِنْهُم أُسَارَى وَمِنْهُمْ ضُرِّجُوا بِدَمِ
مَا كَانَ ذَاكَ جَزَائِي إِذْ نَصَحْتُ لَكُم ... أَنْ تَخْلِفُونِي بِسُوءٍ فِي ذَوِي رَحِمِي
إِنِّي لأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ ... مِثْلُ العَذَابِ الَّذِي أَوْدَى عَلَى إِرَمِ [(٤)]

وبهذه الأبيات وفّقت الخطيبة في الوصول إلى الغاية المنشودة.

وأمّا الدعاء فلم يكن غائباً في اختتام بعض الخطب، فالسيدة زينب

---

(١) الحديد / ٢١.

(٢) النور / ٤٠.

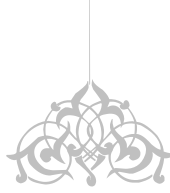
(٣) اللهوف في قتلى الطفوف: ٩٨، الاحتجاج: ٢ / ١٠٨.

(٤) المصدر السابق: ٢/ ١١٣.

عليها السلام في خطبتها أمام يزيد؛ تجعل ختام خطبتها الدعاء، وهذه من الخواتيم التي اُعتيدت في الخطب الإسلاميّة، وكانت في خاتمتها قد أضفت سُمُوّاً للخطبة كون الدعاء جاء دقيقاً ومُتناسقاً مع فقرات الخطبة، حينما قالت: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي حَكَمَ لأوليَائِهِ بالسَّعَادَة، وَخَتَمَ لأصْفِيائِهِ بِبُلوغِ الإرادَة، ونَقَلَهُمْ إلى الرّحْمَةِ والرّأفَةِ... وَيُجْزِلَ لَهُمُ الثواب والذُّخر، وَنَسْأَلُهُ حُسْنَ الخِلافَة، وَجَمِيلَ الإِنَابَة، إِنَّهُ رحيمٌ وَدُود»(١)، فالحمدُ أعلى درجات الثقة، وتبعته الخطيبة بالدعاء للشهداء الذين هم منار للعزّة والفخر، فأرته بهذه الخاتمة انتصاره فشلاً، وأعلنت أمام الحاضرين انتصار الإمام الحسين عليه السلام ومن معه على يزيد وأتباعه، وبذلك الكبرياء وبتلك القوّة والعزّة فضلاً عن الشموخ والإباء، أنهت السيدة زينب عليها السلام خطبتها وَسْط مناخ محفوف بالصَّلف والطغيان الأُموي.

---

(١) الاحتجاج: ٢ /١٣٠.



المبحث الثاني: بناء الصورة البيانية

أثر الصورة في رُقي القيمة الدلالية للخُطبة

للصورة مكانة مهمّة في الدّراسات الأدبية والنقدية والبلاغية، لما تُحقِّقُهُ من إثراء في العمل الأدبي، وعلى هذا الأساس سنتناول في هذا المبحث مكونات الصورة في نصوص الخطب.

ولا نريد أن نبحث في الصورة وتعريفاتها، كونها درست دراسات عديدة[١] من قبل نقاد وباحثين، إذ غاصوا فيها بعمق كبير، ولكن سنتوقف وبشكل موجز عند أثر الصورة في تقويم الدلالة قبل أن ننتقل إلى مكونات الصورة في خطب سيدات البيت النبوي، كونها تأخذ مساحة مهمة من الشكل، وربّما اندرجت مكوّنات الشكل تحت إيحاء الصورة، فالعلاقة بين الواقع والأديب علاقة تنطبق عليها كلّ مؤثرات النّص، ولا تنفصل عنها،

(١) ظ: نقد الشعر: ١٤؛ أسرار البلاغة: ٤؛ دلائل الإعجاز: ١٧٥- ١٧٦؛ منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٣٨-٣٩؛ الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: ١٤؛ الصورة الفنية معياراً نقدياً: ١٢٤؛ الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري، دراسة في أصولها وتطورها: ١٥-١٦؛ وظ: تمهيد في النقد الحديث: ١٩١؛ الصورة الفنية في المثل القرآني: ٣٥- ٣٦.

ولّما «كان النّص صورة لهذه العلاقة القائمة بين نَفْس المُبدع ومؤثراته»[١]. فإنَّ تداعيات المعنى لأيّ نص لا يُمكن أن تأتي بانسجام، ما لم تأخذ في مكنونات النّص الأساس موادَّ تكوينها، ولهذا فقد دأب النقاد على الغوص بحثاً عن أسرار الصورة الفنّية، ولعلّهم اتفقوا في تعريفاتهم لها أو اختلفوا منذ أن نظّروا لها، ومنذ أن ألمح الجاحظ (ت٢٥٥هـ) إليها بشكلٍ خفيّ في قوله: «المعاني مطروحة في الطريق... وإنّما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللّفظ وسهولة المخرج... فإنّما الشعر صناعة وضربٌ من النّسج وجنسٌ من التصوير»[٢]، اتضح أنّ العبرة في صياغة الكلمات ورسم مؤدّاها الذي قد يتحول بدلالته إلى صورة تُناغم شعور المتلقّي أو تشاكسه، أو تُثير فيه الجدل والاستنباط.

ولذا فلا غرابة في أن يتقصّد المُنشئ اقتناص صور لتعطيَ دلالات تشي بما يُريد، لأنّ الفكرة التي تقفزُ إلى ذهن المتلقّي، تعتمد دائماً «صياغة اللُّغة أو بناء صورة أسلوبية من مادّة لغوية» [٣].

وعلى وفق ذلك فإنّ الصورة ما هي إلا نتاج الفكر العامر بالخيال، وأمّا مادّتها فهي اللّغة التي يمتلكها المبدع الأدبي، وأمّا مقوّماتها فهي تعتمد على موهبة الراسم أو المُصوّر للحادثة أو الموقف، فضلاً عن الفكرة الأساس لهذه الصورة.

وفي صدد دراسة خطب نساء البيت النبوي، فسنعرض القدرة الأدبية للخطيبات بإنتاج صورة فنّيّة، ومن خلالها أوصلت الأديبة غايتها إلى

(١) أثر البواعث في تكوين الدلالة البيانيّة: ١٠.
(٢) الحيوان: ٣/١٣١ - ١٣٢.
(٣) بِنية اللّغة الشعرية: ٢٣.

الجمهور، ويتّضح أيضاً مدى إمكانية جعل الصورة عاملاً مؤثّراً في تقويم دلالة المعنى لدى المتلقّي، ويأتي ذلك من خلال دراسة مكوّنات الصورة في نصوص هذه الخطب من خلال النقاط الآتية:

أوّلاً: الاستعارة

لّما كانت الصورة القائمة على الاستعارة هي أكثر صور البيان حضوراً في خطب العلويات، كان من المهم البدء بها والتوقف عندها بما تستحقّه لتكون الدِّراسة دقيقة في تأشير مواطن الجمال والرُّقي الأدبي الذي زخرت به تلك الخطب، والاستعارة في اللّغة: «العارةُ ما تداوَلُوه بينهم وقد أَعارَه الشيءَ وأَعارَه منه وعاوَرَه إِيَّاه والمُعاوَرة والتَّعاوُر شبه المُدَاوَلة والتّداوُل في الشيء يكون بين اثنين» [1]، وعلى هذا المعنى بقي علماء البلاغة يدورون حتى جاء عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ أو ٤٧٤ هـ)، وكشف عن معناها البلاغي الدقيق، إذ عرّفها قائلاً: «الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فَتَدَعَ أن تُفصحَ بالتّشبيه وتُظْهِرَه، وتجيء إلى اسم المشبّه به فتُعيره المشبّه وتجريه عليه» [2]، وهو بذلك قصد الاستعارة التصريحيّة، وأمّا المكنيّة فقد أشار إليها بقوله: «وضَرْبٌ آخَر من الاستعارة وهو ما كان نحو قوله: (إذ أصبحت بيد الشمال زمامُها) هذا الضرب وإن كان النّاس يَضمّونه إلى الأوّل حيث يذكرون الاستعارة، فليسا سواء، وذلك أنّك في الأول تجعل للشيء الشيءَ ليس به، وفي الثاني: تجعل للشيء الشيء له، تفسير هذا أنّك إذا قلت: رأيتُ

(١) لسان العرب: مادة (عور) ٤/٦١٢.

(٢) دلائل الإعجاز: ٥٣.

أسداً، فقد ادّعيت في إنسان أنّه أسد، وجعلته إيّاه، ولا يكون الإنسان أسداً»[١]، وفي تعريفها يُنتفع ممّا قاله السكّاكي (ت٦٢٦هـ) عن الاستعارة «هي أن تذكر أحد طرفي التّشبيه، وتُريد به الآخر، مدّعياً دخول المشبه في جنس المشبه به، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبّه ما يخصّ المشبّه به، كما تقول في الحمام أسدٌ، وأنت تُريد به الشّجاع مدّعياً أنّه من جنس الأسود، فتثبت للشجاع ما يخصّ به وهو اسم جنسه مع سد طريق التشبيه بإفراده في الذكر»[٢]، نُلاحظ من خلال هذا التعريف أنّ السكّاكي (ت٦٢٦هـ) قد أعطى للاستعارة مفهومها الدّقيق، لاسيّما بعد أن قسمها على: «استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسّي، واستعارة معقول لمعقولٍ بوجهٍ عقليّ، واستعارة محسوسٍ لمعقولٍ بوجهٍ عقلي، واستعارة معقول لمحسوس بوجه عقلي، مع التمثيل لكلّ قسم من هذه الأقسام»[٣].

ومن أمثلة الصور القائمة على الاستعارة ما ورد في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام: «وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهُمِ الرِّجَالِ وَذُؤْبَانِ العَرَبِ، وَمَرَدَةِ أَهْلِ الكِتَابِ { كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ }[٤]، أَوْ نَجَمَ قَرْنُ الشَّيطَانِ، أَوْ فَغَرَتْ فَاغِرَةٌ مِنَ المُشْرِكِينَ، قَذَفَ أَخَاهُ فِي لَهَوَاتِهَا، فَلا يَنْكَفِئ حَتَّى يَطَأَ صِمَاخَهَا بِأَخْمَصِهِ»[٥]، فهنا حشد من الاستعارات، فمثلاً أفادت

(١) دلائل الاعجاز: ٥٣.
(٢) مفتاح العلوم: ٥٩٩.
(٣) م ن: ١٨٣ - ١٨٤.
(٤) المائدة / ٦٤.
(٥) بلاغات النساء: ١٣، دلائل الإمامة: ٣٤، الاحتجاج: ١ /٢٦٢.

من مُفـردة (الـذؤبان) وهـو جمـع الـذئب، وأرادت بها أهـل الفتـك والغـدر، وهذه استعارة مكنيّة وردت بصورة حسيّة بصريّة، واسـتعارت عليهـا الـسلام لفظة (نَجَمَ) بقولها: «نَجَمَ قَرْنُ الضّلالة» لمن يخـرج مـن النّـاس مُبتغيـاً الفتنـة والشر، والنجم بمعنى طلع أو ظهر، وهذه أيضاً اسـتعارة مكنيّـة حـسيّة، ثمّ إنّ الخطيبة أرادت أن تُركّز الصّورة الموحية علـى شـدّة وطـأة أهـل الـشّرك فأتـت بلفظـة (فَغَـرَت) وهـو للحيـة أو الـسبع، وهـذه صـورة حـسيّة حركيّـة، وممّـا يُلاحظ أنّ هذه الاستعارة المكنيّة يعـوّل عليهـا بنقـل المعـنى المجـرّد غـير الحـسّي للوحشية والاعتداء من قِبَل المشركين، عبر استعارة لفظـة (فـاغرة) وهـو لازم من لوازم المشبّه بـه المحـذوف (الـوحش) اسـتعارته للمـشركين (المُـشبّه) الـذي أُريد به تـصوير وحـشيّته بدِقّـة وحـس مُـدرك في الأذهـان عـبر صـورة حـسيّة حركيّة بصريّة أُشبعت حركة وحشية.

وفي قولها: «قذف أخاه في لهواتها» استعارت لفظـة (لهواتهـا) وهـي جمـع لهاة التي هي مركز الفم، لمعنى غاية الحرب وشدّتها، وأرادت بذلك أن تُوضـح أنّه قـذف أخـاه في مركـز الحـرب أو الفتنـة حيـث لا مفـر ولا مخلـص، وهـذه استعارة مكنيّة حسّيّة بصريّة، فالوقوف على الشيء أو وسـطه فيـه إشـارة إلى عظيم التضحية وتوطين النفس على الاستشهاد.

ومن اسـتعارات الـسيدة الزهـراء عليهـا الـسلام في خطبتـها أمـام نـساء المهـاجرين والأنـصار قولهـا: «لا جَـرَمَ لَقَـدْ قلَّـدْتُهُمْ رِبْقَتَهـا.. وَيْحَهُـمْ أَنَّـى زَعْزَعُوهَـا عَـنْ رَوَاسِـي الرِّسـالة» (١)، فقـد اسـتعارت لفظـة (الرِّبقـة) للعهـد

(١) دلائل الإمامة: ٤٠، نثر الدُر: ٨.

والميثاق فضلاً عن الأمانة وتحمّل المسؤولية، في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهذه صورة حسيّة حركيّة، توحي بمعنى الإلزام الذي رُسِمَ عِبْر الاستعارة المكنيّة، وقد حذف المشبّه به (الشاة) وأُخِذَ لازم من لوازمها واستُعير للعهد، فالرِّبقة بمعنى العُرْوَة في حبل، تُوضَع في رقبة الشاة لئلا تَفِرَّ، وهذه صورة مُدركة في الذّهن ومستحضِرة لمعنى الإلزام والتقييد، وفي نفس المقطع تستعير لفظة (رواسي) استعارة مكنيّة، والرواسي هي الثوابت من الجبال أو القواعد من البيت، والخطيبة استعارتها لأهل البيت عليهم السلام فكوّنت صورة حسيّة بصريّة، فالجبال تُدرَك بالرؤية.

وباستعارة موفّقة تَتْبَع هذه، توضح السيدة الزهراء عليها السلام أن القوم أزاحوا صاحب الحق الشرعي في الخلافة عن التصدّي لها وأرادوا منه بيعة من هو دونه في علم وفضل وورع وسابقة في دين، فكانوا بذلك كمن استبدل قوادم الطير بِذَنَبِه، واستعاض عن الكاهل بغيرِه، ويكمن بيان هذه الصورة البيانيّة في قولها: «استبدَلوا وَاللهِ الذُّنابى بالقوادِم، والعجزَ بالكاهلِ»(١).

فالذنابى عبارة عن (ذَنَب) الطائر، والقوادم: مقادم الريش، والعجز مؤخر الشيء، والكاهل: مقدّم أعلى الظهر ممّا يلي العُنُق، وهذه الصورة حسيّة بصريّة يستدلُّ عليها بالرؤيا.

وفي خطبة السيدة زينب عليها السلام بأهل الكوفة تستعير الفعل (ترحض) بقولها: «وَمُنِيْتُمْ بِشَنَارِهَا وَلَنْ تَرْحَضُوها أَبَداً وَأَنَّى تَرْحَضُونَ قَتْلَ سَلِيلِ خَاتَمِ النُّبُوَّةِ، وَمَعْدِنِ الرِّسَالةِ»(٢)، لتُظهرَ رغبة أهل الكوفة في التخلّص

(١) بلاغات النساء: ٢٠، دلائل الإمامة: ٤٠.

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف: ٩٤.

من الذّنب، وقد استنكرت عليهم أن يكون هذا الذنب سهل (الرحض) فهذا الفعل يتناسب مع الذنب الذي هو الدرن، الذي لا يمكن أن يذهب بالاغتسال، فأرادت الخطيبة أن تُقرّب المعنى الذّهني للعار والتلبُّس بالخطيئة إلى واقع الإدراك الحسي عبر استعارة (الرحض) للغسل، فصار القتل وصمة ولَطْخَة لا يمكنهم التخلّص منها، ومن مضاعفات جريمتهم هذه لأنّها تعلّقت بأعناقهم، فتكوّنت بذهنهم صورة واضحة لمعنى العار حين صورته الاستعارة المكنيّة بالوصمة واللَّطْخَة، وبذلك وضعتهم السيدة زينب عليها السلام بتعبيرها هذا بين ما يتمنون (من سهولة التخلُّص) ويفكرون به (الرَّحض) واستحالة تحقيقه (أنّى ترحضون؟!) كيف وبأي وجه تُبرّرون قتل سليل النبوة؟! بهذا الاستفهام الاستنكاري المُتلبِّس بهذه الاستعارة الدقيقة، تعدّى الإنكار إلى الاستحالة، فلم يَعُدْ هناك مجال للاعتذار في ارتكاب مثل هذه الجريمة، فالرحض الذي فعلوه لا يُغسل، كون الإمام الحسين عليه السلام امتداداً للرّسالة، وذلك ليس بمجهولٍ عليهم، وما ارتكبوه من عظيم الأمر.

وتقف عليها السلام أمام يزيد في الشام لترسم من الصور الاستعارية ما تحمل من معنىً دقيق يجعلها في مصافّ الصّور البلاغيّة التي يُحتذى بها، ومن ذلك قولُها: «وأنَّى يُرْتَجَى الخَير مِمَّن لَفَظَ فُوهُ أَكْبَادَ الشُّهَدَاءِ، وَنَبَتَ لَحْمُهُ بِدِمَاءِ السُّعَدَاء، وَنَصَبَ الحرب لسيّد الأنبياء» (١)، ففي هذه الصّورة تستعير الخطيبة عليها السلام لفظة (فوه) للتّذكير بما فعلته جدته التي أخرجت كبد حمزة بن عبد المطلب عليه السلام في معركة أُحد ولاكت قطعة منه بسبب الحقد المُتأجّج في صدرها، والسيدة زينب عليها السلام إنّما أوردت في خطبتها

(١) الاحتجاج: ٢ / ١٢٥.

هذه الصورة البيانيّة لتُقدّم من خلالها يزيد وهو حاملٌ لإرث جدّته في الحقد على الإسلام وآل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وتتبع هذه الصورة أخرى تشير فيها إلى حقده الدّفين بقولها: «وَضَبٌّ يُجَرْجَر فِي الصّدر لِقَتْلَى يَومِ بَدْر»[1]، نلحظ أنّ السيدة زينب عليها السلام في هذا التصوير البياني تستعير لفظة (يُجَرْجَر) للضب وهو الغيظ الكامن أو الحقد الخفي، لتعبّر عن الحقد المُتأجّج في صدر يزيد وتُظْهِرَهُ للحاضرين، فحقدُه هذا بلغ به أن يُطالِب بثارات المقتولين في غزوة بدر، وهم أقطاب المشركين الذين خرجوا لُمحاربة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ومع هذا يُريد الثأر ويَشْعُرُ بأنّ في قتلِهِ للإمام الحسين عليه السلام ومن معه من آل البيت والصحابة عليهم السلام غايته التي تمنّى، فحين رأى الرأس الشريف «التمع السرور بوجهه»[2]، وبهذا التعبير كوّنت صورة فنيّة، إذ إنّ السرور لا يلمع، ولكنّها عليها السلام استعارت لفظة (التمع) لتُبيّن شدّة الفرح الذي بان على وجه يزيد حتّى تدفّق الدّم بوجهه من شدّة الفرح، وأخذ يضرب على ثنايا الإمام الحسين عليه السلام وما ذلك إلا لحقده، وهذه استعارة مكنيّة عبرت بها السيدة زينب عليها السلام عن كوامن يزيد، وهي بذلك أرادت فضحه أمام الملأ، الأمر الذي حدا بها أن تُشكِّل صورة بيانية هي غاية في القوّة بقولها: «مع أنّي والله يا عدو الله وابن عدوه أستصغر قدرك وأستعظم تقريعك غير أن العيون عبرى والصدور حرّى»[3] إذ تُعبّر عن

---

(١) الاحتجاج: ٢/١٢٦.

(٢) م ن: ٢/١٢٦.

(٣) بلاغات النساء: ٢٢، نثر الدُّر: ١٨.

الهدف الذي من أجله خاطبت يزيد ووقفت أمامه ذلك الموقف التأريخي، فهي بهذا المقطع أوضحت بأنّ هدفها ليس احتمال التأثير فيه، إنّما في غيره من الجالسين المغرّر بهم ، وفي خطابها ردّةُ فعلٍ لما شاهدته منه، وبذلك جاءت هذه الصور الاستعاريّة لتسدّ عليه طريقه في الخديعة والتضليل.

وتعود مرّة أخرى لتستعير لفظة جديدة ترسم بها صورة بيانية تُعبّر من خلالها عن حقده الدفين والموروث عن جدّته، بقولها: «وتَتَحَلَّبُ أَفْوَاهُهُم مِن لُحُومِنَا» (١)، فلفظة (تَتَحَلَّب) تُطلَق على وَلَد النّاقة الذي يمتصّ بِفَمِهِ من محالب أُمّه، والخطيبة عليها السلام عبرت بها هنا عن شدّة حقد آل أبي سفيان وعدائهم، فهم على بكرة أبيهم يمتصّون بأفواههم من لحوم ودماء آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشراهة ووحشيّة تَنُمُّ عن دافع الحقد، والسيدة زينب عليها السلام - كما هو واضح من خطابها - أوردت هذه الاستعارة القويّة المعنى، لتؤكّد مرّة أخرى ما فعلته جدّة يزيد نتيجة الضّغينة، وما فعله هو أمام أنظارهم، وقد كان للفعل (تتحلّب) بصياغته الصرفية هذه كثير من الإيحاء الذي أضاف نجاحاً إلى استعارتها.

وفي عبارة دقيقة ترسم الخطيبة عليها السلام صورة بيانية عبر الاستعارة حينما تقول: «قَدْ عَشّشَ فِيهَا الشَّيطَانُ وَفَرَّخ» (٢)، فالشيطان ليس هو الذي يعشِّشُ، بل الطائر، ولكنّها استعارت له لفظة (عشّش وفرّخ)، وهذه استعارة تصريحيّة.

---

(١) الاحتجاج: ٢/١٢٩.

(٢) م ن: ٢/١٢٨- ١٢٩.

ثانياً: الكناية

لقد زخرت خطب سيدات البيت النبوي بكثير من الصور القائمة على الكنايات المعبّرة، ممّا أضفى على خطبهنَّ كثيراً من البهاء، ذلك لأنّ الكناية بابٌ من أبواب علم البيان، ومعناها في اللّغة: «الكناية أَن تتكلم بشيء وتريد غيره وكَنَى عن الأَمر بغيره يَكني كِناية يعني إِذا تكلم بغيره مما يستدل عليه»[(١)].

وفي الاصطلاح وضّحها الجرجاني (ت٤٧١ أو ٤٧٤هـ) بقوله: «أن يُريد المتكلّم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللّفظ الموضوع له في اللّغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه»[(٢)]، وعلى هذا التعريف سار من جاء بعده، وللكناية أثر كبير في إظهار مواطن جمال الكلام، وروعتها تكمُن «في تنبيه الملكات واستشارة الأذواق من خلال اللّمحة والتعريض والرّمز والإيماء والمُبالغة، ووضع المعنويات في صور المحسوسات»[(٣)].

والكناية كثيرة في خطب السيدات، ومنها ما ورد في قول السيدة الزهراء عليها السلام في المسجد: «حَتّى يَطَأَ صِمَاخَهَا بِأَخْمَصِهِ»[(٤)]، فقد عبّرت بهذا التصوير عن القوّة والسيطرة حين (كنّت) بلفظة (صماخ) عن الرأس، وأجادت حين جعلت (الأخمص) المُتقعّر من أسفل القدم - هو الذي يطأ الصماخ - مع ما بينهما من إبداع جناسي وصوتي وصوري تشكيلي، وهذه

(١) لسان العرب: مادة (كني) ١٥/٢٣٣.
(٢) دلائل الإعجاز: ٥٢.
(٣) مفتاح العلوم: ٦٣٧.
(٤) بلاغات النساء: ١٣، دلائل الإمامة: ٣٤.

صورة حسيّة حركيّة صورت الخطيبة بها عن السيطرة والاقتدار في شخص الإمام علي عليه السلام مُستعينة في ذلك بأسلوب البيان، فكانت الكناية بالاستعارة؛ إذ استعارت صفة الرأس للحرب أو الفتنة ثُمَّ شخّصتها عبر استعارة مكنيّة ثُمَّ رشّحت الصورة بلازم من لوازم السيطرة على الرأس عبر الفعل (يطأ) الذي حشد هذه الاستعارة مع الكناية عن تمام السيطرة والاقتدار، فجاءت صورة حسيّة حركيّة، وظّفت فيها أساليب البيان في الاستعارة والكناية، واستنفرت طاقة هذين الأُسلوبين في نقل المعنى المجرد للسيطرة من حالة التعاطي الذِّهني إلى مرحلة المشاهدة الحسيّة الحركيّة التي تُؤكّد المعنى في النفس وتُقرِّبُهُ إلى التصديق بالمُعاينة والحركة.

وفي خطبتها عليها السلام أمام نساء المهاجرين والأنصار، تشُدّنا كنايات مُعبّرة وجميلة، فلِكَي تُثيرَ النّدم في نفوس القوم، ولتُظْهِرَ لهم ما أضاعوه بأنفسهم، ترسم لهم صورة فنيّة، بقولها: «لأوردَهُم مَنْهَلاً نَمِيراً صافياً رويّاً، تطفحُ ضِفّتاه» (١)، فَهُنا أرادت التعبير عن تركهم لخلافة أمير المؤمنين عليه السلام وعدم اتّباعهم لوصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في إمامته، ولو أنّهم اتّبعوه لطابت حياتهم، وهنا يكمن جمال الكناية فعن رغد الحياة (كنّت) بالمنهل الروي الفضفاض، وعن السعادة والارتواء بـ(تطفح ضفّتاه) وهذه صور حسيّة حركيّة أوحت بمعانٍ متعددة كالارتواء والوفرة ورغد العيش عِبرَ الكناية التي مثّلت المعنى حسيّاً، فلفظة (تطفح) مثلاً كنّت بها الخطيبة حركيّاً عن حالة الامتلاء والوفرة في المقام الذي أُريد به الحياة الرغيدة العيش.

(١) نثر الدُر: ٨ - ٩، الاحتجاج: ١/٢٨٩.

وفي قولها: «استبدَلوا وَاللّهِ الذُّنابى بالقوادِم، والعجزَ بالكاهلِ»[١]، نجد الكناية واضحة، فعبر هاتين اللّفظتين (الذنابى، القوادم) تُوضح وبشكلٍ دقيق معنى الخسارة التي مُني بها القوم، إذ كانوا بذلك كمن استبدل الذنابى بالقوادم، فالحِسّ البصري واضحٌ في هذه الصورة، إذ إنّها عبّرت عن تمام الفرق بين الحالتين، عِلِيَّة القوم وقوادم الريش، ويُمكن إدراك ذلك بالرؤية ولهذا جاء التعبير الصّوري حسيّاً عن معنى الخسارة الكبيرة التي لحِقَت هؤلاء.

وفي كناية بديعة تنقل عليها السلام المعنى المجرد للإرغام إلى واقع المُشاهدة الحسيّة من خلال صورة حسيّة حركيّة، تُكنّي فيها عن معنى الإجبار والإذلال في حركة القهر عندما يرغم الأنف بالتراب، في قولها: «فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً ألا إنّهم هم المفسدون»[٢]، فقد كنّت عن الأنف بالمعطس، كون التعبير برغم الأنف أضحى مُبتذِلاً، لذلك عدلت إلى المعطس، وهذه كناية واضحة منها عليها السلام عن الإذلال بواقع حسّي حركي لا يُمكن إنكاره.

وفي وصفها لأبي الحسن عليه السلام تُعبّر بكناية مؤثّرة عن تقواه وشجاعته الفائقة بقولها: «وَتَنَمُّرَهُ فِي ذَاتِ اللّهِ»[٣]، وهذه صورة خياليّة؛ لأنّ القوّة إنّما تُدرك بالخيال إلا أنّها أضفت عليها ظِلالاً حسيّة بجعلها مُتّصلةً بتحفّزِ النمور في لفظة (تنمره)، وهي مع هذا تأسى على ما وصل إليه القوم، وما سيؤول إليه مصيرهم، فتقول عليها السلام: «يَدَعْ فَيْئَكُمْ زَهِيداً، وَجَمْعَكُم

(١) بلاغات النساء: ٢٠، دلائل الإمامة: ٤٠.
(٢) نثر الدُر: ٩، الاحتجاج: ١ / ٢٩٠.
(٣) بلاغات النساء: ٢٠، نثر الدُر: ٨.

حَصِيداً»[١]، وهذه كناية عن فداحة خسارتِهِم المستقبليّة.

وتستمر السيدة الزهراء عليها السلام في كناياتها المُعبّرة، والدقيقة في تصويرها كاشفةً عن أثر الثقافة الجديدة التي تمتّعت بها المرأة المسلمة، من خلال الصور التي تكوّنُها في نتاجها الأدبي، وهي تُفصح عن حنكة في البلاغة، وتألُّقٍ في الوعي.

وأمّا الصور التي رسمتها العلويات في الكوفة والشام من خلال الكناية، فقد كانت دقيقة ومُعبّرة عن مرارة الظّروف وقساوتها، فضلاً عن الحزن والألم نتيجة فاجعة كربلاء، ومن الأمثلة على ذلك مُخاطبة السيدة زينب عليها السلام ليزيد بقوّة وقد رسمت صورة حسيّة حركيّة تمثّلت من خلال الكناية عن الغرور والتكبر والاستعلاء بلفظة (شمخت) في قولها: «فَشَمَخْتَ بِأَنْفِكَ، وَنَظَرْتَ فِي عِطْفِكَ»[٢]، وهي بذلك نقلت المعنى المجرد للاستعلاء إلى واقع الحس والمشاهدة عن طريق حركة الشموخ بالأنف المُدركة حساً عن معنى التكبُّر، وفي قولها: (نظرت في عطفك)، كناية عن الإعجاب بالنفس والغرور المتأتي من الأنانية، وحبّ الذات، وهذه كناية عن صفة كالتي تبعتها، وهاتان الكنايتان كانتا غاية في التعبير عن شخصيّة يزيد، وتسترسل في صورها لتُعبّر عن موقف يزيد الذي واصل العداء بين بني هاشم وبني أُميّة، فتقول: «لَعَمْرِي لَقَد نَكَأْتَ القُرْحَة، واسْتَأْصَلْتَ الشَّأْفَةَ»[٣]، وهنا ترسم عليها السلام صورة حسيّة حركيّة من خلال الكناية عن تقشير ونبش العداوة قبل أن تُعفى

(١) دلائل الإمامة: ٤١، الاحتجاج: ١ / ٢٩١.

(٢) بلاغات النساء: ٢١، نثر الدُر: ١٧.

(٣) بلاغات النساء: ٢٢.

أو تُنسى، وأمّا قولها: (استأصلت الشأفة) ففيه كناية عن صفة أرادت السيدة زينب عليها السلام بها التعبير عن اجتثاث الشجرة النبويّة الوارفة بقتل الإمام الحسين عليه السلام.

وتواصل عليها السلام خطبتها، لتكشف فيها عن مدى الألم والحُزْن الذي بثّه يزيد في قلوب المُسلمين عامّة، وقلوب آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خاصّة، فتقول: «بَعدَ أَنْ تَرَكْتَ عُيونَ المُسلِمِينَ بِهِ عَبْرَى، وَصُدُورَهُم عِنْدَ ذِكْرِهِ حَرَّى» [1]، فأتت في هذا المقام بصورتين: الأولى تُعبّر عن ملء عيون المسلمين بالدّموع واغريراقها، والثانية تُعبّر عن شدّة الحزن والأسى في صدورهم، بسبب ما ارتكبه يزيد، وهنا وظّفت عليها السلام هذه الصورة لتنقل المعنى المُجرّد للغيظ والحزن من خلال نسبة لفظة (حرّى) وهو معنى حسّي لمسي؛ لأنّ الحرّ شيء يُحَسّ باللّمس، ونَسَبَتْهُ إلى الصّدور، فأتت الصورة دقيقة ومُعبّرة، وعلى أثرها رسمت السيدة زينب عليها السلام صورة عبّرت بها عن كثرة دماء آل البيت عليهم السلام التي أُريقت من قبل يزيد وأتباعه، إذ تقول: «تَنْطُف أكُفُّهُمْ مِنْ دِمَائِنَا» [2]، ففي (تنطف أكفّهم من دمائنا) صورة بيانية دقيقة المعنى، إذ عبّرت الخطيبة عليها السلام عن تلك الأيدي والأكُفّ التي لم توجّه سيوفها ورماحَهَا إلى صدور أعداء الدّين، بل مالوا بها على ذرّية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وخير الخلق من بعده، حتّى تلطّخت أكُفّهم وسيوفُهم من هذه الدّماء الزّاكية، وهذه الكناية واضحة بالإدراك الحسي عن التلبُّس بالجريمة، وهي صورة حسيّة حركيّة.

(١) الاحتجاج: ١٢٨/٢.

(٢) م ن: ٢ / ١٢٩.

وأمّا في خطبتها عليها السلام أمام أهل الكوفة، فَتَطْلُع علينا بصورة بيانيّة من خلال الكناية، عمدت إليها حين قالت عليها السلام: «أَنَّى تَرْحَضُونَ قَتْلَ سَلِيلِ خَاتَمِ النُّبُوَّةِ، وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ»[١]، ففي (خاتم النبوة ومعدِن الرِّسالة)، كنايتان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والمُلاحظ على النصّ أنّ الخطيبة أَتَت بهما لتُبرز مقامه المُتفوّق على سائر الأنبياء عليهم السلام، وهي لم تعمد إليهما بَشَكْلٍ عَفْويّ، بل قصدهما لتحمل كلمة (سليل) التي أُضيفت إليهما للدِّلالة التي تراها لذلك السليل، فلم تَعُد سُلالة نسبيّة جسديّة فحسب، بل تحوّلت إلى سُلالة عقيديّة إيمانيّة، وفيها انتماء إلى أرقى ما في النُبوّة، منذ أن وُجدت النُبوّات.

ثالثاً: التشبيه

التشبيه أقلّ الصور البيانية حضوراً في خطب السيدات، لذا فقد تأخّر الحديث عنه بعد الاستعارة والكناية، والتشبيهُ لغةً: «التمثيل، والشبه والشبيه: المثل، وأشبَهَ الشيءَ ماثله، وشبّهته به تشبيهاً: مثّلته، وتشابه الشيئان واشتبها: أشبه كلٌّ واحدٍ منهما صاحبه»[٢].

وفي الاصطلاح هو «العقد على أنّ أحد الشيئين يسدُّ مسدَّ الآخر في حسٍّ أو عقلٍ»[٣]، وفضل التشبيه كما بيّن الجرجاني «يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتّى يختصر ما بين المشرق والمغرب، ويجمع ما بين المشئم

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ٩٤.

(٢) لسان العرب: مادة (شبه) ٥٠٣/١٣.

(٣) النكت في إعجاز القرآن: ٧٤.

والمعرق، وهو يُريك في المعاني الممثّلة بالأوهام شبهاً في الأشخاص الماثلة والأشباح القائمة، ويُنطِق لك الأخرس ويُعطِيك البيانَ من الأعجم ويُريك الحياة في الجماد، ويُريك التئام عين الأضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين، والماء والنار مجتمعين» [١].

وأما المحدثون فإنّهم ذهبوا إلى أنّه من أساليب علم البيان، وفيه يقول علي الجندي: إنّ التشبيه «يقوم على ما يمكن أن نلمحه أو تُدرِكُه النّفوس من علاقة أو تشابه أو اشتراك بعض الأشياء في وصف خاص يربط بينها» [٢].

من هذا نخلص أنّ التشبيه لون من ألوان البيان التي لها تأثير كبير في النفوس، وهو عنصر مهم يأتي به الخطيب كي يَسحَر المتلقّي بالصورة التي يرسُمُها له..

وفي خطبة السيدة زينب عليها السلام أمام الملأ من أهل الكوفة تقتبس صورة بيانية رسمها التشبيه القرآني بدِقّة، فتقول عليها السلام: «أَلا فَلا رَقَأَتِ العَبْرَة، ولا هَدَأتِ الزَّفْرَة، إِنَّمَا مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الَّتي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً» [٣]، ونوع التشبيه هنا تمثيلي، إذ مثّل لنا حال هؤلاء القوم، فهي كالتي نقضت غزلها فأضاعت جهدها وشتّتت تعبها، فأهل الكوفة أضاعوا موقفهم القوي سُدىً حين تحوّلوا من الحق إلى الباطل، فالخطيبة عليها السلام أفادت من مُعطيات القوّة التعبيريّة، وجمال الصورة الفنيّة المُكتنزة في النَّص القرآني، بُغية تسخيره في إظهار وبيان الهدف المقصود، فهي عليها السلام أرادت بهذا

---

(١) أسرار البلاغة: ١١٨ - ١١٩.

(٢) فن التشبيه: ١/٥٠.

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف: ٩٤، الاحتجاج: ٢ /١١٠.

الاقتباس ما فيه من الصورة الرائعة المُتكاملة الأركان وهي ترسم بوضوح دِقَّة المعنى المجرّد للضّياع بحالة إدراكيّة حسيّة، فضياع الغزل يُمكن إدراكه، لذا فالصورة حسيّة حركيّة، فأبانت حالهم المتحوّل من القوّة والتماسك إلى التشتّت والضّياع، وممّا زاد هذه الصورة وقعاً في النفوس أنّها اتّكأت على إفاضات النّص القرآني.

ولم تكتفِ الخطيبة بهذه الصورة بل تبعتها برسم صورة جديدة، بقولها: «أَوْ كَمَرْعَى عَلَى دِمْنَةٍ» [1]، وهذه صورة حسيّة بصريّة، ونوع التشبيه مُجمل والأداة مذكورة، وتشبيهها عليها السلام لأهل الكوفة واضح، فالمشبّه به (مرعى على دمنة) فمع كلِّ نضارة المرعى إلا أنّ كونه على دمنة اكتنز بالإدهاش وهو يُنتجُ هذه الصورة التي تكاملت بلحاظ اجتماع هاتين المُفردتين (المرعى، الدمنة) وبذلك رسمت الخطيبة المعنى المجرد لعدم الفائدة من هذا المرعى، وهذه صورة بصريّة أُلِّفَتْ برؤية المرعى، ولكنّهم غدروا فجاءت الخطيبة بمفردة (الدمنة) لتكون مكملة لصورة المشبه به، إذ إنّها لم ترد المعنى، وإنّما أرادت المرعى الضائع وهو على دمنة، فاكتملت الصورة الحسيّة بالارتكاز على الإدراك الحقيقي لمعنى الضياع الذي آلوا إليه هؤلاء، وتنتهي الصورة بإثارة مشاعر الندم والحسرة لدى المتلقين، وهذه صورة دقيقة استحضرت المعنى بكلِّ عمقه.

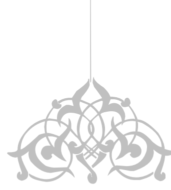
وتسترسل السيدة زينب عليها السلام في رسم الصور الحسيّة البصريّة في رؤية الفِضَّة على ملحودة لبيان معنى "عدم الفائدة" وهو وجه الشبه،

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ٩٤.

بقولها: «أَوْ كَفِضَّةٍ عَلَى مَلْحُودَة»[1]، وكأنّها بذلك تُركّز على معنى الضّياع والخسران وانتفاء الفائدة بتشبيهاتها، لتُشبع المعنى دِقّة وتزيده رسوخاً في أذهان هؤلاء المتلقّين، فَنُلاحظ أنّ المشبّه وهم (أهل الكوفة) يُقْرَنُ بصورة بصريّة تتجلّى في رؤية الفِضَّة التي لها قيمة، لكنّها تُدهشهم بتركيب المشبه به تركيباً محكماً من خلال لفظتين (الفضّة والملحودة)، فالخطيبة نشدت بذلك تكثيف المعنى عبر المدركات الحسيّة، فما قيمة الفضة التي تحمل من المعاني ما تحمل إذا وُضِعَت بلحد؟!

من ذلك نلحظ أنّ التشبيهات التي أدرجتها السيدة زينب عليها السلام؛ من نقض الغزل إلى مرعى على دمنة ثمّ فضّة على ملحودة، أنّها صور تشبيهيّة حسيّة، تشير إلى بُعد عميق الدّلالة لكنّه معطّل، لذا فإنَّ الصّور حُمّلت لوماً وتقريعاً شديدين، ألقيا على ذلك الحدث ظلالاً سوداء، ولو عُدنا إلى ما وصفتهم به في البدء من صفات: (الختل، الغدر، الخذل، المُخادعة) ثم قرأنا هذه الصفات على ضوء هذه الصور التشبيهيّة للاحظنا أنّها موجّهة إلى ذات الكوفيين لموقفهم بإزاء الإمام الحسين عليه السلام، لأنَّ الضعف الذي عراهم لحظة حسم الموقف بين أن يكونوا مع الإمام عليه السلام أو يزيد، جعل موقفهم يُمثل ختلاً وغدراً وخُذلاناً ومخادعة لحقيقة الموقف الذي تمنّوا أن يقفوه ولم يقدروا، وهو بالنتيجة خيانة للذات وإضاعة لمصالحهم قبل أن يكون خيانة للإمام الحسين عليه السلام.

(١) الاحتجاج: ٢ /١١٠.



المبحث الثالث: البِنْيَة الإيقاعيّة للخطب

لا شكّ في أنّ الإيقاع من العناصر البارزة والمهمّة في بناء الخُطبة الناجحة، لما له من تأثير في نفس المُتلقّي، وذلك نتيجة الارتباط الوثيق ما بين اللّفظ والموسيقا داخل النّص.

وهذا ما يدفع الخطيب «إلى إقامة بناء نتاجه على نظام موسيقيّ متوازن، على وفق إيقاعات نغميّة منظمة، لتكون دلالات النّص أدخل في نفس المتلقّي وأبعد غوراً فيه»[1]، وأيضاً يجعله حريصاً على انتقاء ألفاظ متكوّنة من حروف تؤلّف في مجموعها تناغماً صوتيّاً، يظهر أثره في جمال النّص، لما يمنحه من جمال وروعة بتناسقه من خلال توفير جرس صوتي يُناغم جميع الألفاظ والعبارات الموجودة داخل النّص، الذي يتكوّن غالباً من مستويات إيقاعيّة متعدّدة، إذ إنّ الإيقاع له عناصره، وهذه العناصر يأتي بها المُبدع على وفق أنماط وسياقات منظمة ومتآلفة في إيقاعها وتناغمها بحيث يُؤثّر في السامع، وبذلك يكون الخطيب ومن خلال عناصر الإيقاع قد رسم صورة مؤثّرة في نفس المتلقّي وشعوره، وهذا ما يؤدّي إلى القول بأنّ العُنصر الإيقاعي يُعدُّ من

(١) التصوير الفني في خطب الإمام علي عليه السلام (رسالة ماجستير): ٩٣.

العناصر الأساسية في بناء النّص الأدبي، وللتعرّف على أثره في تشكيل بنية نصوص خُطب سيّدات البيت النبوي سيتكفّل هذا المبحث بدراسة كلّ عنصر موسيقي من عناصر الإيقاع داخل نصوص الخُطب.

ذلك أنّ في ألفاظ نصوص الخطب ما يستدعي الوقوف والدِّراسة بتأنٍّ ولاسيما المحسنات اللّفظية التي شكلت في الكلمات تلاؤُماً صوتياً زاد الخطبَ استحساناً في نفس المُتلقي، ولعلَّ السجع والازدواج والموازنة والجناس والتكرار من أهم مواطن الجمال والروعة في ألفاظ هذه الخطب، فقد وفّرت فيها ضروباً من القيم التصويريّة والإيقاعيّة.

أولاً: السجع

من جميل الزخارف اللّفظية هو السجع، وغالباً ما يكون في النثر ولاسيّما الخطابة، وفي الجاهلية كان كثيرَ الاستعمال، وبعد مجيء الإسلام أصبح أخف وطأة، إلا أنّه لم يندثر نهائياً، بل ظلّ كثير من الأدباء يأتون به تارةً على نحو العمد، وأُخرى على نحو العفويّة من دون تكَلُّف أو صنعة وهو الأجمل وقعاً على النفس، وأكثر تأثيراً في ذوق المتلقّي، يقول أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ): «واعلم أنَّ الذي يلزمك في تأليف الرسائل والخطب هو أن تجعلها مزدوجة فقط، ولا يلزمك فيها السجع، فإن جعلتها مسجوعة كان أحسن، ما لم يكن في سجعك استكراه وتنافُر وتعقيد، وكثر ما يقع ذلك في السَّجع، وقلّما يَسْلَم - إذا طالَ - من استكراه وتنافُر»[1]، وهو إنّما يُستكره إذا كان مُتكلفاً ومُتعسّفاً، لأنّه سيثقل الأذهان، بينما السَّجع العفوي يكون أخفَّ وطأة ووقعاً

(١) كتاب الصناعتين: ١٦٥.

على الأُذُن، وفضيلته براءته مِنَ التّكَلُّف، وخلوه من التعسف.

والسجع لغةً هو: «السجع الكلام المُقَفَّى والجمع أَسجاع وأَساجِيعُ وكلام مُسَجَّع وسَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعاً وسَجَّعَ تَسْجِيعاً تَكَلَّم بكلام له فَواصِلُ كفواصِلِ الشِّعْر من غير وزن»(١)، وفي الاصطلاح كما حدّه ابن الأثير بقوله: «هو تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرفٍ واحِد»(٢)، والسجع بشكل عام كان من المحسنات اللّفظية في خطب سيدات البيت النبوي، ذلك أنّه لم يرِد إلا عَفْويّاً، وبطريقة خلت من التكلُّف والتصنّع، ولذلك نقول بأنّه لم يأت بأيّ خُطبة من هذه الخطب إلا عفو الخاطر، وهذا يدل على وفرة الألفاظ والمفردات التي كانت تملكها الخطيبات، ممّا أدّى إلى توافق الفواصل بالمفردات الرشيقة والألفاظ الزاخرة المعاني، ومن أمثلته في خُطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام أمام نساء المهاجرين والأنصار: «أَصْبَحْتُ واللّهِ عائِفةً لدُنياكُنَّ، قَالِيَةً لِرجَالِكُنَّ، لَفَظْتُهُمْ بَعْدَ أَنْ عَجَمْتُهُمْ، وَشَنَأْتُهُمْ بَعْدَ أَنْ سَبَرْتُهُم، فَقُبحاً»(٣)، نجد أنّ العبارات جميعها قد انتهت بفواصل محددة، فانسجمت لفظاً ممّا أدى إلى أن تكون أوقعَ تأثيراً في نفس المتلقّي وشعوره.

ومن النماذج التي كان السجع فيها من عناصر جمالها قولها عليها السلام: «وتاللّهِ لَوْ مَالُوا عَنِ المَحَجَّةِ اللايِحَة، وَزَالُوا عَنْ قَبُولِ الحُجَّةِ الواضِحَة، لَرَدَّهُم إِلَيْهَا، وَحَمَلَهُم عَلَيْهَا»(٤)، نجد أنّ السجع المتوالي بارزٌ في

---

(١) لسان العرب: مادة (سجع) ٨/١٥٠.

(٢) المثل السائر: ٣/١٩٣.

(٣) دلائل الإمامة: ٤٠.

(٤) الاحتجاج: ١/٢٨٨.

هذه الفقْرات، من دون صنعة أو تكلُّف، وممّا يُلحظ في هذا المقطع السجع المرصّع[١] في قولها: (المحجة اللايحة، الحُجّة الواضحة) إذ اتفقت فيها الألفاظ وزناً وقافيةً.

وفي خطبتها عليها السلام في المسجد يَرِدُ السجع عفو الخاطر، وهو متساوٍ في فِقْراته، جميل في ترابطه وتسلسله، بقولها: «أَنْتُمْ عِبَادَ اللّهِ نُصْبُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَحَمَلَةُ دِيْنِهِ وَوَحْيِهِ، وَأُمَنَاءُ اللّهِ عَلَى أَنْفُسِكُم، وَبُلَغَاؤُهُ إلى الأُمَمِ، وَزَعَمْتُمْ حَقٌّ لَكُمْ، للّهِ فِيكُم عَهْدٌ قَدْ مَدّه إلَيْكُم، وَبَقِيَّةٌ اسْتَخْلَفَهَا عَلَيْكُم: كِتَابُ اللّهِ النَّاطِقُ، والقُرآنُ الصَّادِقُ، والنُّورُ السَّاطِعُ، والضِّيَاءُ اللامع، بَيِّنَةً بَصَائِرُهُ، مُنْكَشِفَةً سَرَائِرُهُ، مُنْجَلِيَةً ظَوَاهِرُهُ»[٢]، نجد هنا السجع مُرصّعاً في بدئه، ثُمَّ ينقطع بعبارة (بلغاؤه إلى الأُمم) لغاية فنّيّة بلاغيّة، ثم يتواصل في فِقْراته بالوزن والتّقفية، وهو متوافق في تناغمه الموسيقي على الرغم من انقطاعه، ممّا زاد في تآلف عبارات الخُطبة وتناسقها بوحدة موضوعيّة لها أثرها في النفس.

وفي خطب السيدة زينب عليها السلام نجد السجع اللّطيف في خفّته وإيقاعه، ففي خُطبتها أمام يزيد توظّف الموسيقا في ألفاظها، فتأتي فِقْراتها المتّفقة في الوزن والقافية في غاية الدّقة من حيث المعنى بقولها: «فَشَمَخْتَ بِأَنْفِكَ، وَنَظَرْتَ فِي عِطْفِك، تضرب أصْدَرَيْكَ فَرِحَاً وتَنْقُض مِذْرَوَيْكَ مرحاً

(١) وهو مُقابلة كلّ لفظة على وزنها ورويّها؛ ظ: معجم المصطلحات البلاغيّة: ٢٤٥/٣، وهو أيضاً [ما اتّفق فيه القرينتان أو القرائن وزناً ورويّاً]، فيتساوى فيه اللّفظ في القرينة الأولى مع اللّفظ في الثانية وزناً وتقفية، ينظر: سرّ الفصاحة: ١٩٠، تكوين البلاغة: ٣٤٥.

(٢) بلاغات النساء: ١٦، دلائل الإمامة: ٣٢.

حِيْنَ رَأَيْتَ الدُّنيا لَكَ مُسْتَوْسِقَةَ والأُمُورَ لَدَيك مُتَّسِقَةَ»[(١)]، وهذا سجع مُرَصّع، فالألفاظ اتّفقت في الوزن والقافية، وبذلك شكّل السّجع هنا موسيقا من خلال التّناغم الحاصل بين أصوات وكلمات وعبارات هذه الفِقْرة.

ونجد السجع المتوازي [(٢)] واضحاً في قولها: «وَهَل رَأيُكَ إِلا فَنَد، وأيامُكَ إلا عَدَدْ، وَجَمْعُك إلا بَدَدْ» [(٣)]، ففي لفظة (رأيك) اختلاف عن لفظة (أيّامك) ولفظة (أيامك) اختلفت عن لفظة (جَمْعك) وزناً وقافية، وعدم الالتزام بالوزن هنا أضفى على الخُطبة جمالاً فنّياً، بما كوّنه ذلك السّجع من موسيقا أنتجت تأثيراً واضحاً في نفس المتلقّي.

وحين تستنكر على يزيد وهي تذكّره بجدّته هند آكلة الأكباد يأتي السّجع عفو خاطرها، في قولها: «وأنّى يُرْتَجَى الخَير مِمَّن لَفَظَ فُوهُ أَكْبَادَ الشُّهَدَاءِ، وَنَبَتَ لَحْمُهُ بِدِمَاءِ السُّعَدَاء، وَنَصَبَ الحرب لسيّد الأنبياء، وَجَمَعَ الأحزاب، وَشَهَرَ الحِرَاب» [(٤)]، نلحظ اتفاق التّقفية والوزن في (جمع الأحزاب، وَشَهَرَ الحِرَاب) وهذا من المُرصّع، وفي المَقْطَع الأوّل يظهر السّجع المطرف [(٥)] في قولها: (أكباد ودماء)، وبمجموعهما (المرصّع والمطرف) رُسمت صورة في ذهن المتلقّي من خلال الإيقاع المنظّم للألفاظ.

---

(١) بلاغات النساء: ٢١، نثر الدُر: ١٧ - ١٨، الاحتجاج: ٢ /١٢٤.

(٢) وهو أن تتّفق اللّفظة الأخيرة من القرينة مع نظيرها في الوزن والرّوي، ظ: معجم المصطلحات البلاغية: ١٩٠/٣.

(٣) الاحتجاج: ١٣٠/٢.

(٤) م ن: ١٢٥/٢.

(٥) وهو النوع القائم على اختلاف الفاصلتين أو الفواصل في الوزن مع الاتفاق في التّقفية، ينظر: حُسن التوسّل: ٢٠٩، أنموذج في علم البلاغة وتوابعها: ٥٣.

وبتنغيم متوافق وجميل في خطبتها أمام أهل الكوفة تقول: «هَلْ فِيكُمْ إلا الصَّلِفُ والعَجِبُ، والشَّنَفُ والكَذِبُ، وَمَلَقُ الإِماءِ، وَغَمْرُ الأعْداءِ؟» [(١)]، نجدها تَمزِج بين السّجع المرصّع بقولها: (الصّلف والشّنف) والمتوازي بقولها: (ملق الإماء، وغمْر الأعداء) في (ملق وغمر)، وهكذا السجع في كلّ خطبها نجده عَفْويّاً وغير مُتَعَمَّد، ودليل ذلك ما جرى في نهاية محاورتها مع ابن زياد، حينما قال: هذه سجّاعة، ولعمري لقد كان أبوها سجّاعاً شاعراً.

فقالت عليها السلام: ما للمرأة والسجاعة [(٢)].

ومثل السيدة زينب عليها السلام السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليهما السلام؛ إذ تحسن التوازن في ألفاظ خطبتها، والاختلاف في الوزن إلى جانب الاتفاق في التّقفية، فتأتي عباراتها في غاية البلاغة، في قولها: «الحَمْدُ للّهِ عَدَدَ الرَّمْلِ والحَصَى، وَزِنَةَ العَرْشِ إلى الثَّرَى، أَحْمَدُهُ وَأُؤْمِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ وَأَنَّ محمّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه صلى الله عليه وآله وسلم » [(٣)]، فلفظتا (عدد الرمل وزنة العرش) في السجع المتوازي، وهذا ما مَزَجَتْهُ عليها السلام بالسّجعِ المرصّع في قولها: (الحصى، الثرى)، وبهذا المزج منحت النّص جمالاً وروعةً من خلال التّناسق الموسيقي الذي انتظمت فيه فِقْرات نص خطبتها عليها السلام، وعلى هذا النسق في المزج الفني الدقيق تمضي خطبتها عليها السلام بشكلٍ عَفْوي، زاد الخُطبة دِقَّةً في المعنى، ورصانةً في النظم.

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ٩٤، الاحتجاج: ٢/١١٠.

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٣/ ٣٣٧

(٣) اللّهوف في قتلى الطفوف: ٩٦.

ثانياً: الازدواج

ولم تكتفِ الخطيبات بالسجع العفوي، بل نجد أنّ نصوصهنّ قد حفلت بالازدواج الذي حقّق إيقاعاً موسيقيّاً رائعاً من حيثُ وقعُ جَرْسِه على أُذُن السامع، والازدواج من الزخارف اللّفظية التي تُضفي على النّص الأدبي رونقاً خاصّاً، إذ «لا يَحْسُن منثور الكلام ولا يحلو حتّى يكون مزدوجاً، ولا تكاد تَجِدُ لِبَليغٍ كلاماً يخلو من الازدواج، ولو استغنى كلام عن الازدواج لكان القرآن، لأنّه في نظمه خارج من كلام الخلق، وقد كثر الازدواج فيه حتّى حصل في أوساط الآيات فضلاً عمّا تزاوج في الفواصل منه» [(١)].

ونُلاحظ ثراءً كبيراً لهذا الفنّ الموسيقي، من الشواهد التي سنقف عندها ومنها ما جاء في خُطبة السيدة زينب عليها السلام في مجلس يزيد «لَيْسَ مَعَهُنَّ مِنْ رِجَالِهِنَّ وَلِيّ، ولا مِنْ حُمَاتِهِنَّ حَمِيّ ... أشدّ العربِ لله جحوداً، وأنكَرُهُم لَهُ رَسُولاً، وَأَظْهَرهُمْ لَهُ عُدواناً... ويُفصِح ذلك بِلِسَانِهِ، وهوَ يَقُول - فرِحاً بِقَتْلِ وِلْدِهِ وَسَبْي ذُرّيَّته، غيرَ مُتَحَوِّب وَلا مُسْتَعْظِم – يهتف بأشياخه» [(٢)]، إذ نلمس تساوي الفواصل بالوزن من دون التّقفية، وهذا الازدواج إنّما جاء في تمكين المعنى، وصفاء اللّفظ، كما تضمّن الطلاوة، وهذا ما أضاف على الخُطبة حُلّة، كان لها وقعها وتأثيرها في تألق النّص الأدبي، وذلك لاتّفاق الأوزان في نهاية كلّ جُملة، فضلاً عن مقاطع الأصوات المتشابهة في الإيقاع، في ألفاظ هذا المقطع من الخُطبة.

---

(١) كتاب الصناعتين: ٢٦٦.

(٢) بلاغات النساء: ٢٢، نثر الدُر: ١٨، الاحتجاج: ٢/١٢٥-١٢٦.

وفي ازدواج مُوجز وجميل بين فاصلتين بأقل من ثلاثة أحرف وبأجزاء مُتوازنة وقصيرة نجد السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليهما السلام تضمن خطبتها في قولها: «وَرَأَيْتُمْ قِتَالَنَا حَلالاً، وَأَمْوَالَنَا نَهْباً» (١)، ويعدّ هذا من جميل الازدواج، لأنّ التطويل من عُيوبه، فضلاً عن أنّه قد أحدث تعادُلاً صوتياً، أدّى إلى توازن فِقْرات الخُطبة وَخَلْق انسجام إيقاعيٍّ مؤثّرٍ في نفس المُتلقّي.

بينما في نص خُطبة السيدة الزهراء عليها السلام نُلاحظ الازدواج يتلون مع الموازنة التي تُعَدُّ من الزخارف اللّفظية والمُحسّنات النّوعيّة في إيقاعها الموسيقي وذلك في خطبتها عليها السلام أمام نساء المهاجرين والأنصار: «وَلَسَارَ بِهِمْ سَيْراً سُجُحاً، لا يَكْلَمُ خِشَاشُه، ولا يَكِلُّ سَائِرُه، ولا يَمَلُّ راكِبُه» (٢)، إذ بدأت بالازدواج (خشاشه، سائره، راكبه) وانتهت بالمُوازنة في (لا يكلم خشاشه، ولا يَكِلّ راكبه)، وهنا نجد أنّ المُوازنة قد أعطت اعتدالاً في الكلام، بحيث أكسبته حُلّةً جديدة، وهذا بديهي كون الموازنة في فواصل الكلام تَزيدُه قوّة في التأثير، ودِقّة في التعبير، كما في قولها: «لَيْتَ شِعْرِي إلى أيِّ سِنادٍ استندُوا؟! وإلى أيِّ عِمادٍ اعتمَدُوا؟! وبأيّةِ عُرْوَةٍ تَمَسَّكُوا؟!» (٣)، إذ جاء المقطع متساويَ الوزن في نهاية فواصله.

ومثل ذلك أيضاً ما ورد في خُطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليهما السلام في قولها: «حَتَّى قَبَضْتَهُ إِلَيْكَ مَحْمُودَ النَّقِيْبَةِ، طَيِّبَ الضَّرِيْبَةِ.. لَمْ تَأْخُذْهُ فِيْكَ لَوْمَةُ لائِمٍ، وَلا عَذْلُ عَاذِلٍ، هَدَيْتَهُ يَا رَبِّ لِلإِسلامِ

(١) اللّهوف في قتلى الطفوف: ٩٧، الاحتجاج: ٢ /١٠٦.

(٢) بلاغات النساء: ٢٠، دلائل الإمامة: ٤٠، الاحتجاج: ١/٢٨٨- ٢٨٩.

(٣) دلائل الإمامة: ٤٠، الاحتجاج: ١/٢٩٠.

صَغِيْراً، وَحَمَدْتَ مَنَاقِبَهُ كَبِيْراً»[١]، ففي (النّقيبة، العريكة) و(لائم، عاذل) و(صغيراً، كبيراً) تساوٍ في الوزن في كلّ لفظة وقعت في نهاية فاصلة، وهذه موازنة في منظوم كلام السيدة عليها السلام قد أحسنت تضمينها، وتنسيقها في ألفاظها، ما يتلاءم مع ما كانت تمرّ به عليها السلام من شجىً وحُزْن، بدا واضحاً من خلال توافر الجِرْس الموسيقي الذي شكّل وسيلة من وسائل التّعبير الفنّي لما حواه من موسيقا ذات إيحاء دِلالي مُعبِّر عمّا تُكْمِنُه الخطيبة عليها السلام والذي انكشف من خلال الإيقاعات المُنتظمة في نهاية كل فِقْرة من فِقْرات نصّ خطبتها.

وفي خُطبة السّيدة زينب عليها السلام في الشام يتجلّى جمال الموازنة وهي تندمج مع السجع في قولها: «يَتَصَفَّحُ وُجُوهَهُنَّ القَرِيبُ والبَعِيْدُ، والغائِبُ والشّهيدُ، والشّريفُ والوَضِيع، وَالدّنيّ والرّفيع»[٢]، فالألفاظ (القريب - البعيد، الشريف - الوضيع، الدّنِيء - الرفيع) فيها موازنة، وقد استعملتها الخطيبة في منظوم خُطبتها حتّى صار ذلك الجنس من الكلام منظوما في منظوم، وسجعا في سجع إلى جانب الموازنة، وهذا التشكيل في المزج بين السّجع والموازنة، أكسب المقطع تأثيراً كبيراً بما حواه من مضامين كشفت ما قام به يزيد على مرّ التاريخ، ومثل ذلك أيضاً قولها في نهاية خُطبتها هذه: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي حَكَمَ لأولِيَائِهِ بالسَّعَادَة، وَخَتَمَ لأصْفِيائِهِ بِبُلُوغِ الإرادَة، ونَقَلَهُمْ إلى الرّحْمَةِ والرّأفَةِ، والرِّضْوَانِ وَالمَغْفِرَة»[٣]، ففيه أكسبت الخُطبة لوناً

(١) اللّهوف في قتلى الطفوف: ٩٦.
(٢) الاحتجاج: ٢/١٢٥.
(٣) م ن: ٢ /١٣٠.

فنّياً خاصّاً بها، حينما مزجت بين إيقاع المُوازنة وموسيقا السّجع في آنٍ واحد، بحيث جعلت المتلقّي يتفاعل مع ما يسمعه من فِقْرات ذات إيقاعٍ مُنتظم ومؤثّر، وهكذا تستمر الإيقاعات الموسيقيّة المُؤثّرة في نُصوص خُطب السيدات ضمن فواصل جاءت على زنة واحدة من التّعادُل والتوازن الذي أدّى إلى تناسق (الوحدات الصوتيّة) المُنتظمة في مجموعة.

ثالثاً: الجناس

الجناس لغةً: «الضّربُ من كُلِّ شيء، ومنه المُجانسة والتّجنيس ويُقال هذا يُجانس هذا أي يُشاكله»[(١)].

وفي الاصطلاح: «التّجنيس ضروب كثيرة: منها المماثلة، وهي أن تكون اللّفظة واحدة باختلاف المعنى»[(٢)]، وذكره السكّاكي (ت٦٢٦هـ) بقوله: «هو تشابه الكلمتين في اللّفظ والمعتبر منه في باب الاستحسان عدّة أنواع: أحدهما التجنيس التام، وثانيهما: التجنيس الناقص، وثالثهما التجنيس المُذَيَّل، ورابعهما: التّجنيس المُضارع أو المُطرف[(٣)]، وخامسهما التجنيس اللاحق[(٤)]»[(٥)].

---

(١) لسان العرب: مادة (جنس) ٤٣/٦.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٣٢١/١.

(٣) التجنيس المُضارع أو المُطرف هو أن يختلفا بحرفٍ أو حرفين مع تقارب المخرج، مفتاح العلوم: ٦٦٩.

(٤) وهو ما أُبدل من أحد ركنيه حرف بحرف من غير مخرجه ولا قريب منه، ويكونان إمّا في الأوّل أو الوسط أو الآخر، ظ: أنوار الربيع: ١ / ١٤٠.

(٥) مفتاح العلوم: ٦٦٨ وما بعدها.

ويعدُّ الجناس من العناصر الوافرة التي هيمنت على نُصوص هذه الخُطب، ومن شواهده ما وَرَدَ في خُطبة السّيدة الزهراء عليها السلام في المسجد: «الحَمْدُ للهِ عَلَى مَا أَنْعَمْ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا أَلْهَمْ، ... جَمَّ عَنِ الإحصاءِ عَدَدُهَا، وَنَأى عَنِ الجَزَاءِ أَمَدُهَا، وَتَفَاوَتَ عَنِ الإدراكِ أَبَدُها» (١)، فالجناس هنا واقعٌ بين (أنْعَمَ وألْهَمَ)، (أمدُها وأبدُها) وهذا جناس لاحق، إذ أبدلت الخطيبة عليها السلام حرفاً بحرفٍ متباعد، وكان ذلك في الحرف الثاني، لذلك فإنَّ الجَرْسَ الموسيقيَ واحدٌ على الرغم من تغيّر المعنى بتغيُّر هذا الحرف.

ومثله في خُطبة السيدة زينب عليها السلام في الكوفة «سيد شباب أهل الجنة وملاذ خيرتكم ومفزع نازلتكم ومنار حجتكم ومدرة سنتكم»(٢)، فالجِناس في (خيرتكم، حُجّتكم، سنتكم) وهذا جناس لاحق في متباعدين، وهذا الجِناس قد أدّى إلى الاختلاف في المعنى الذي ترتب نتيجة التّغيّر اللّفظي.

وفي خطبتها بالشام نلمس الجِناس في مُتباعدين في الوسط في قولها: «فَلَئِنِ اتَّخَذْتَنَا مَغْنَمَاً لَتَجِدَ بِنَا وَشِيْكَاً مَغْرَمَاً» (٣)، ففي (مغنماً ومغرماً) وقع الجناس في الوسط بإبدال النون راءً وهما متباعدان في اللّفظ.

وللجِناس اللاحق في متباعدين في الأول نَجِدُهُ في خُطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليهما السلام بقولها: «وَأَنَّ أَوْلادَهُ ذُبِحُوا بِشَطِّ الفُرَاتِ مِنْ غَيْرِ ذَحْلٍ ولا تِراتٍ» (٤)، فالجِناس في (الفرات وترات) وهو في الحرف الأول.

---

(١) بلاغات النساء: ١٥، دلائل الإمامة: ٣١.

(٢) اللّهوف في قتلى الطفوف: ٩٤، الاحتجاج: ٢ / ١١١.

(٣) بلاغات النساء: ٢٢، نثر الدرّ: ١٩.

(٤) اللهوف في قتلى الطفوف: ٩٦، الاحتجاج: ٢/١٠٥.

ومن جناس الاشتقاق [١] ما ورد في خُطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليهما السلام بقولها: «لم تأخذه فيك لومة لائم ولا عذل عاذل... فإنّا أهل بيت ابتلانا الله بكم وابتلاكم بنا... فإنّ ما أصابنا من المصائب الجليلة» [٢]، فالجِناس في (لومة لائم، عُذْل عاذل، ابتلانا بكم وابتلاكم بنا، أصابنا والمصائب) والعلاقة بين كلّ لفظين علاقة اشتقاقية.

ومثله نَلحظه في خُطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في المسجد: «أو فغرت فاغرة للمشركين، قذف أخاه في لهواتها، ... يا ابن قحافة، أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي» [٣]، فقد وقع الجناس الاشتقاقي بين (فغرت وفاغرة، أباك وأبي) ومثل هذا الجناس قد أضاف للخُطبة إيقاعاً مُوسيقيّاً، وزخرفاً لفظياً.

وللجِناس المضارع نصيب وافر في نُصوص الخُطب، نذكر منه ما ورد في خُطبة السيدة زينب عليها السلام بالكوفة: «فَقَدْ بُلِيْتُمْ بِعَارِهَا، وَمُنِيْتُمْ بِشَنَارِهَا» [٤]، فالجِناس في (عارها وشنارها) إذ اختلف ركنا اللّفظتين في حرفين لم يتباعدا بالمخرج، ومثل هذا النوع كثيرٌ في الخُطب.

ومن شواهد الجناس المذيل [٥] ما نجده في خُطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في مسجد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم: «لَتَجِدُنَّ وَاللّهِ

---

(١) ألحقه القزويني بالجناس وقال: هو أن يجمع بين اللّفظين الاشتقاق، ينظر: الإيضاح: ٣٨٩.

(٢) اللّهوف في قتلى الطفوف: ٩٦-٩٧.

(٣) بلاغات النساء: ١٣، دلائل الإمامة: ٣٤، نثر الدُر: ٦.

(٤) الاحتجاج: ١١١/٢.

(٥) هو أن يختلفا بزيادة حرف، مفتاح العلوم: ٦٩٦.

مَحْمَلَهُ ثَقِيْلاً، وَغِبَّهُ وَبِيلاً» [١]، فالجِناس في (مَحْمَلَه وَغِبَّه) مذيل وذلك لاختلاف آخر اللّفظتين المُتجانِسَتَيْن.

وكان للجناس المطرف شواهد كثيرة نذكر واحداً منها في خُطبة السيدة زينب (عليها السلام) أمام يزيد: «تضرب أصْدَرَيْكَ فَرِحاً وتنْقُض مِذْرَوَيْكَ مرحاً» [٢]، فالجِناس المُطرف قائم بين (أَصْدَرَيك ومِذرَوَيك) فالاختلاف ورد بزيادة حرفين في أوّل اللّفظ، ومثله كثير في الخطب.

من خلال الأمثلة الآنفة الذكر يتضح أنّ أغلب الجِناس هو غير تام، وهو مع ذلك أَضْفَى على الخُطَب تَنَاغُماً صَوتِياً له دِلالَتُه ومعناه.

رابعاً: التكرار

التكرار لغةً: هو «كَرَّرَ الشيء وكَرْكَره أَعاده مرة بعد أُخرى، ويقال كَرَّرْتُ عليه الحديث وكَرْكَرْتُه إِذا ردّدته عليه وكَركَرْتُه عن كذا كَرْكَرةً إِذا رَدَدْته والكَرُّ الرجوع على الشيء ومنه التَّكْرارُ» [٣].

وفي الاصطلاح هو: «أن يُكرر المُتكلّم اللّفظة الواحدة باللّفظ والمعنى، والمُراد بذلك تأكيد الوصف أو المدح أو الذم والتهويل أو الوعيد أو الإنكار أو التوبيخ أو الاستبعاد أو لغرض من الأغراض» [٤].

والخطيب - عادة - يلجأ إلى التّكرار، بوصفه أحد الوسائل المُوسيقيّة

(١) الاحتجاج: ٢٧٨/١.

(٢) م ن: ١٢٤/٢.

(٣) لسان العرب: مادة (كرر) ١٣٥/٥.

(٤) خزانة الأدب: ٣٦١/١.

فضلاً على أنّ الخطيب، وهو يأتي بالتكرار لأغراض عديدة ومتنوعة منها: التوبيخ والتّقريع والتّحذير أو لزيادة التأكيد؛ لأنّ «جدوى التأكيد أنّك إذا كررت فقد قررت المؤكد، وما علق به في نفس السامع ومكنته في قلبه وأمطت شبهة ربّما خالجته أو توهّمت غفلة أو ذهاباً عما أنت بصدده فأزلته»[١]، وبعض الحالات يأتي الخطيب بالتكرار ليُعبّر عن عمل شنيع ومُفجع صَدَرَ عن المُتلقي، كما هو الحال في خُطب السيدات الذي سنُلاحظه من خلال ما نُورده من شواهد، ومن أمثلة التكرار في الخُطب أيضاً ما ورد في الألفاظ من دون المعاني، وهذا ما أضفى عليها بعض الانسجام والتناغُم بين الأصوات، لذا يُعدّ التكرار «ظاهرة فنّيّة تُعنى الآداب الحديثة به بشكلٍ خاص، انطلاقاً من الحقيقة النفسيّة العامّة التي تذهب إلى أنّ السلوك يعتمد - في أحد عناصره - على التكرار، حيث إنّ الفن بدورهِ ينبغي أن يُفيد من هذا الجانب، فيستخدم عنصر التكرار في مواقف معيّنة لتثبيت الغرض الذي يستهدفه النّص في نفس المُتلقي» [٢].

وعلى الرغم من أنّ التكرار في نصوص الخطب أكثر ما ورد في الألفاظ، إلا أنّه كان له أثر كبيرٌ في ترسيخ المعنى وتقريره، ومن أمثلته في خُطبة السيدة الزهراء عليها السلام أمام نساء المهاجرين والأنصار «وَمَا الّذي نَقِمُوا مِنْ أَبِي الحَسَنِ عليه السلام؟! نَقِمُوا واللّهِ مِنْهُ نكيرَ سَيْفِهِ» [٣]، فقد كرّرت عليها السلام باللّفظ في الصياغة العامّة لعباراتها فاتّحدت تلك العبارات

---

(١) المفصّل: ١١١- ١١٢.

(٢) القواعد البلاغيّة في ضوء المنهج الإسلامي: ١٢٠.

(٣) بلاغات النساء: ٢٠، دلائل الإمامة: ٤٠ - ٤١، نثر الدُر: ٨.

لفظاً، وهذا التكرار غير مُتعاقب بل ورد منفصلاً عن بعضه على وفق بناء فنِّي عمدت إليه الخطيبة، ويُلاحظ أنّ تكرار اللّفظ (نقموا) في البداية للتأكيد وتقرير المعنى، ضمن استفهام استنكاري، وأمّا الثاني فقد كان جواباً لهذا الاستفهام.

وقد استخدمت السيدة زينب عليها السلام هذا التكرار اللّفظي المُتعاقب حتّى بدا ملحوظاً بصورة فنية، تبعاً للسياق الذي ورد فيه هذا التكرار في قولها: «أَلا سَاءَ مَا قَدَّمَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ، وَسَاءَ مَا تَزِرُونَ لِيَومِ بَعْثِكُمْ، فَتَعْساً تَعْساً! ونَكْساً نَكْساً»[1]، فالتّكرار في (ساء وتعساً ونكساً) عمدت إليه الخطيبة لغرض التوبيخ في (ساء)، والدُّعاء عليهم بتكرار (فتعساً تعساً ونكساً نكساً) وهي بذلك أدت قيمة تعبيرية أضفت نغمات موسيقيّة على نصّ الخُطبة، وفي هذا التكرار نُلاحظ اتحاد الدلالة في الألفاظ.

وورد تكرار حرفي في هذه النّصوص بكثرة، نذكر منه ما ورد في خُطبة السيدة الزهراء عليها السلام في نساء المهاجرين «لَيْتَ شِعْرِي إلى أيِّ سِنادٍ استندُوا؟! وإلى أيِّ عِمادٍ اعتمَدُوا؟! وبأيّةِ عُرْوَةٍ تَمَسَّكُوا؟! وَعَلَى أيَّة ذُرِيّةٍ أَقْدَمُوا واحْتَنَكُوا؟!»[2]، فهنا عمدت الخطيبة إلى تكرار (أيّ) لأنّ طبيعة الخطاب قد فرضت ذلك بشكل متعاقب، ممّا أدى إلى اتحاد الدِّلالة إلى جانب اللّفظ، والخطيبة عمدت إلى هذا التكرار لغرض الاستنكار، وتأكيد المعنى، ولذلك نجدُهُ قد عمّ هذا النّص من الخُطبة، وشكّل رافداً صبّت فيه دلالات الاستفهام الاستنكاري، وبذلك تحقّقَ أيضاً إيقاعٌ موسيقيٌ في فواصل الخُطبة ولاسيما في هذا المقطع.

(١) الاحتجاج: ٢/١١١.

(٢) دلائل الإمامة: ٤٠، الاحتجاج: ١/٢٩٠.

وكـان لتكـرار لفـظ الجلالـة أثـر دلالي في خطـاب الـسيدة زينـب عليهـا السلام بالشام في قولها: «عُتُوّاً منـك على الله، وجحـوداً لرسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ودفعاً لما جاء بـه مـن عنـد الله»[1]، ففـي هـذا الـسّياق كـان للفظ الجلالة دِلالات عدّة، فحقيقة التكـرار إنّمـا جـاءت لتؤكّـد قـضيّة مهمّـة وتُركّزَها في أذهان السّامعين، ألا وهي كفـر وجحـود المُخاطـب، لـذا عمـدت الخطيبـة إلى التّكـرار لغـرض ترسـيخ هـذا المعـنى مـن جهـة، وإضـفاء تنـاغُمٍ موسيقيٍّ من جهة أُخرى، وعلـى الـرغم مـن أنّ هـذا التكـرار جـاء في جـزء خاص من النّص، لكنّـه شـكّل حَلْقَـةً للوصـل الموسـيقي بـين مقـاطع الخُطبـة المُتكرّرة، لذلك ظلّ حافلاً من خلال أهميته في التعبير البلاغي.

وقد ورد التكرار باللّفظ في سياق بعض الخطب، لغـرض التعجـب كمـا في خُطبة السيدة الزهراء عليها الـسلام: «ومـا عـشت أراك الـدهر عجبـاً، وإن تعجب فعجبٌ لحادث إلى أي ملجأ لجأوا واستندوا»[2]، فنلحظ أنّها عمـدت إلى تكرار لفظة (العجب) لتوجه المُتلقّـي إلى أن يتعجـب، وغايتـها مـن ذلـك تقرير الحقائق وتثبيتها وكان للتكرار أثر في تحقيـق التنـاغُم بـين أصـوات هـذا المقطع، وهذا التكرار إنّما كشف عن مقدرة الخطيبة ومهارتها التي جعلت مـن هذه الفِقْرَة وحدة عضوية بين اللّفظ المُتكرِّر ومقاطع الخُطبة الأخرى.

وعلى الـشّاكلة نفسها حـذت الـسيدة زينـب عليهـا الـسلام في خطابهـا الموجه إلى يزيد بقولها: «فالعَجَبُ كُلُّ العَجَبُ لِقَتْلِ الأتقيـاء، وأسـباط الأنبيـاء، وَسَليلِ الأوصياء»[3]، فقـد كـررت اللّفظـة لتؤكّـد فداحـة مـا ارتكبـه يزيـد

(١) الاحتجاج: ١٢٥/٢.

(٢) نثر الدر: ٩.

(٣) الاحتجاج: ١٢٩/١.

وأتباعه، وكان لهذا التّكرار ارتباط بِفِقْرات الخُطبة، بِغَضٍّ النظر عن الألفاظ المعبّرة عنها، وهذا الأسلوب من دواعي الرُّقيِّ في النّص الأدبي.

واستعملت السيدة زينب عليها السلام التكرار اللّفظي بخصوص (اسم الفعل) بقولها: «فَمَهلاً مَهْلاً» (١)، وهي إنّما كرّرته لغاية دلاليّة، فقد أرادت أن تقطع عليه سروره المتأتي من توهمه بالانتصار، واسترسلت بهذا التّكرار لتكشف عن حقيقة الطرف المنتصر ألا وهو الإمام الحسين وأصحابه عليهم السلام، وتِكرارُ اللّفظ فضلاً عَنْ وَظِيفَتِه الخاصّة بالتطريب، فإنّه أضاف مُوازنة معنويّة، ونمطاً جديداً من الدِّلالة الإيحائيّة في نفس المُتلقِّي وشعوره.

وفي معرض تحدِّيها ليزيد عمدت إلى التكرار الموضعي في قولها: «فَكِدْ كَيْدَكَ وَاسْعَ سَعْيَكَ» (٢)، وكأنّ هذا التّكرار ينزع بإيقاعِهِ إلى التشكيل المزدوج بين الفاصلتين، وهذا ما يتضح من خلال تشكيل الألفاظ ضمن أنظمة مُتوافقة مع سياق الكلام، الذي به تتحقق بُنية النّص ودِلالته الموسيقيّة، وهذا التّكرار الذي عمدت إليه الخطيبة هنا أدّى أكثر من وظيفة، وعليه ينطبق القول إنّه «لهذا النوع من التكرار وظيفتان، وظيفة نغمية كالتي يقوم بها النوع المتقدّم وأُخرى بيانيّة تؤدّي إلى تركيز ذهن المتلقي على معنىً معين، ولهذا فإنّ ما يتكرّر ليس مجموعة صوتية خالية من الدِّلالة بل يكون لفظاً أو تركيباً ذا معنى»(٣)، وهو هنا أدّى وظيفة أرادها الخطيبة وهي توكيد وترسيخ فعلته

(١) م ن: ٢ /١٢٤.
(٢) بلاغات النساء: ٢٣، نثرُ الدُرّ: ١٩.
(٣) شعر المرأة في القرن الأول الهجري أغراضه وميزاته الفنّيّة: ٢٠٨.

الشّنيعة بقتل الإمام الحسين عليه السلام وسبي النساء من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في نفوس المستمعين، وكانت دلالة اللفظتين (كِدْ وَاسْعَ) عميقة كشفت عن لثامها الخطيبة حينما فضحت يزيد وذكّرته بجرائمه السابقة، وما يُضمِرُهُ من تخطيط إجرامي يستهدف به الحق وأهله نتيجة ما توارثه من حقد دفين للإسلام وبيت النبوة، وجديرٌ بالذكر أنّ الخطيبة هنا تجاوزت في تكرارها للمقطع بأكمله، إذ لم يقتصر على العبارة أو اللّفظة فحسب.

ونُلاحظ التّكرار واضحاً في بعض الخُطب من خلال الصياغة الموسيقيّة الناتجة عنه، كما في خُطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليهما السلام؛ إذ صاغت الألفاظ بتكرار أكثر من لفظ في أكثر من موضع في خُطبتها وللاختصار نذكر قولها: «اجتراءً منكم على الله ومكراً مكرتم والله خير الماكرين»(١)، وممّا يُلاحظ على هذا التّكرار اللّفظي في موضِع سياقِهِ أنّه لم يَقتَصِر على قيمته الموسيقيّة فحسب، بل له دلالة عمدت الخطيبة إلى بيانها من خلاله، فتكرار (مكراً مكرتم) إنّما للتوكيد، فالخطيبة أرادت أن تُقِر وتؤكد بأنّ هذه جريمتهم عظيمة لا تُغتفر، فالتأريخ لم يأت بأبشع منها، ثم عادت وأكدت بأنّ (الله خير الماكرين) وهي بهذا رسخت المعنى الذي نشدته في أذهان وشعور المُتلقين، وقد اتحدت العبارات المتكررة هنا على وفق سياق منظم، تبعاً لحال وطبيعة المُخاطبين، وبذلك حقّقت عليها السلام الاستعمال الصحيح بصياغة فنّيّة ملحوظة، وهي تنتقي عُنصر التّكرار في نُصوصها، وهذا ديدنها في نص خُطبتها، وما ذكرنا شاهدٌ على البقيّة.

(١) اللّهوف في قتلى الطفوف: ٩٧، الاحتجاج: ٢ / ١٠٦.

خامساً: المحسنات المعنوية

ما ذكرناه من عناصر مُوسيقيّة أسهمت في تشكيل البنية الإيقاعيّة داخل نصوص الخطب تُعدّ من المحسّنات اللّفظية التي تتعلّق بالمُفردات وتُضفِي على الشّكل زخرفة جميلة، وتُشكّل في الوقت ذاته موسيقا ملفوظة، وإلى جنب تلك العناصر توجد أنماط موسيقية وهي محسنات معنوية تنشأ من اهتمام المبدع بالمعنى، وتتركز هذه المحسنات في فنّي (الطباق والمقابلة) وهما من فنون علم البديع الذي «يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة»[١]، وحقيقة أنَّ الطباق والمقابلة من الفنون البلاغيّة التي ترتكز وظيفتها على تزيين النّص الأدبي.

١- الطباق

الطباق لغة: «تَطابَقَ الشيئَان تساوَيا والمُطابَقةُ المُوافَقة والتَّطابُق الاتفاق وطابَقْتُ بين الشيئين إِذا جعلتهما على حَذْو واحد وأَلزقتهما وهذا الشيء وَفْقُ هذا ووِفاقُه وطِباقُه وطابَقُهُ وطِبْقُه وطَبِيقُه ومُطْبِقُه وقالَبُه وقالِبُه بمعنى واحد» [٢].

وهو من المحسنات المعنوية التي تُشكّل موسيقا يترنّم لها السّامع في مضمون الخطاب، وحدّه صاحب الصناعتين بقوله: «المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضدّه في جزء من أجزاء الرّسالة أو الخُطبة أو بيت من بيوت القصيدة؛ مثل الجمع بين السواد والبياض، والليل والنهار، والحر

(١) الإيضاح في علوم البلاغة: ٣٣٤.

(٢) لسان العرب: مادة (طبق) ٢٠٩/١٠.

والبرد» [١]، وإلى هذا المعنى ذهب كثيرٌ من البلاغيين، وفي كتاب العُمْدَة نجد تعريفاً يُطابقُ ما ذهب إليه العسكري (ت٣٩٥هـ) وأغلب البلاغيين، بقوله: «المطابقة في الكلام: أن يأتلف في معناه ما يُضادّ في فحواه» [٢]، واستطرد ابن رشيق (ت ٤٦٣ هـ) في كلامه عنها قائلاً: «المُطابقة عند جميع الناس: جَمْعُكَ بين الضِدّين في الكلام أو بيت شعر، إلا قُدامة ومن اتبعه، فإنّهم يجعلون اجتماع المعنيين في لفظة واحدة مكررة طِباقاً، ... وسمّى قُدامة هذا النوع - الذي هو المُطابقة عندنا - التكافؤ، وليس بطباق عنده إلا ما قدَّمتُ ذكره، ولم يُسمِّه التكافؤ أحد غيره وغير النحاس» [٣]، ولكي نستدلّ على صحّة ما ذهب إليه البلاغيون من غير قُدامة نورد تعريفها في اللّغة.

ولو أمعنّا النظر في نُصوص خُطب السيدات للاحظنا أنّ الطباق من الفنون التي كَثُرَ استخدامها، فلا تُطالعنا خُطبة إلا وقد ومض فيها هذا الفن، ومن أمثلته في خُطب السيدة الزهراء عليها السلام قولها عند مخاطبتها لنساء المهاجرين والأنصار «غَيّرَ رَيِّ النَّاهِل، وَشِبْعَةِ الكَافِل، وَلَبَانَ لَهُمْ الزَّاهِدُ مِنَ الراغِب، والصادِقُ مِنَ الكَاذِب» [٤]، ففي صيغ اسم الفاعل (الزاهد والراغب، الصادق والكاذب) نُلاحظ حُلية المقابلة واضحة من خلال ما أحدثته من إيقاع صوتيٍّ دلالي مصوّر للألفاظ المُعبّرة عن المعنى، حتّى أنّها لا تكادُ تُغادر هذه الخُطبة في أكثر من مقطع.

---

(١) كتاب الصناعتين: ٣١٦.
(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٥/٢.
(٣) م ن: ٢/ ٥.
(٤) الاحتجاج: ١/ ٢٨٩.

وكذا في خُطبتها لرجال المهاجرين والأنصار في مسجد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم؛ إذ تُقابل المعنيين وتُخالفهما ممَّا زادَ في حُسن الخُطبة وطرافتها، ومن ذلك قولها عليها السلام: «أَنْتُمْ عِبَادَ اللهِ نُصْبُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ... وأطيعوا الله فيما أمركم به و[ما] نهاكم عنه... أَنّي فَاطِمَةُ وَأَبِي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم، أَقُولُ عَوداً وَبَدْواً... حَتّى تَفَرَّى اللَّيل عن صبحه»[١]، ففي قولها: (أمره ونهيه، أمركم ونهاكم، عوداً وبدء، اللّيل وصبحه) نُلاحظ فنّ المُطابقة يتجلّى في أُسلوب التّضاد، وهكذا تستمر عليها السلام في خُطبتها مضمّنة إيّاها فنّ الطباق بشقّيه السلب والإيجاب، فمن أمثلة الأول: «فأنقذكم به بعد اللتيّا والتي، وبعد ما مُنيَ بِبُهم الرجال، ... إيهاً معشر المسلمين، أأبتز أرث أبي يا ابن أبي قحافة؟ أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟!»[٢]، فالطّباق يَكمُن في (أبي وأباك، اللَّتَيَّا والتي)، ومن أمثلة طباق الإيجاب قولها عليها السلام: «فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة ولا...»[٣]، وهكذا جَعَلت الخطيبة من فنِّ الطّباق عُنصراً بنائيّاً وظّفته توظيفاً فنيّاً بحيث أحدثَ نوعاً من التّناسُق والتّفاعُل في الشّكل والطريقة التي ورد بها، ومن ذلك قولها: «أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ القُرآنِ وَعُمُومِهِ مِن أَبِي وابنِ عَمّي؟»[٤]، ففي (عُموم وخُصوص) يتجلّى جَمال الطباق المؤثر في خطابها عليها السلام، وهَذَا يَدُلُّ على الثّراء اللّغوي الكبير

(١) بلاغات النساء: ١٦ - ١٨، دلائل الإمامة: ٣٢-٣٣.
(٢) نثر الدُر: ٦.
(٣) الاحتجاج: ١ /٢٧٠.
(٤) الاحتجاج: ١/٢٦٨.

الذي تتمتّع به الخطيبة عليها السلام.

وفي خُطب السيدة زينب عليها السلام نلمس القيمة الفنّيّة لأسلوب الطباق، والذي من خلاله تتضح قدرها على إيصال الشعور عن طريق الألفاظ الفصيحة المُتّسمة بالإبانة السريعة التي تتألف من تراكيب الخُطبة، ويُمكن ملاحظة ذلك في خُطبتها في مجلس يزيد في قولها: «حيث أخذ علينا بأطراف الأرض وأكناف السماء، ... أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك نساءك وإماءك وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... يتشوّفهن القريب والبعيد... يا عدو الله وابن عدوّه أستصغر قدرك وأستعظم تقريعك غير أن العيون»[1]، فهنا في هذه المقاطع جمعت الخطيبة بين (الأرض والسماء، تخديرك وسوقك، القريب والبعيد، أستصغر وأستعظم) وهي معانٍ مُتضادّة، وكان طباقها في أجمل تعبير وأرقى حُلّة، من جهة أنَّ هذه الألفاظ المُتضادة حينما صدرت من الخطيبة عليها السلام أحدثت حركة ذهنية تَصَوَّرَ المُتلقّي من خلالها المعنى.

ومن الطباق ما ورد في خطبة السيدة أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليهما السلام في قولها: «مَا لَكُم خَذَلْتُمْ حُسَيْنَاً وَقَتَلْتُمُوهُ، وَانْتَهَبْتُمْ أَمْوَالَهُ وَوَرِثْتُمُوهُ، وَسَبَيْتُمْ نِسَاءَهُ وَنَكَبْتُمُوه»[2]، فهنا حلية الطباق واضحة من خلال عناية الخطيبة بالمعاني المرتبطة بالواقع الذي تعيشُهُ آنذاك من قتل أخيها الإمام الحسين عليه السلام ونهب نساء أهل بيته عليهم السلام.

---

(١) بلاغات النساء: ٢١ – ٢٢.

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف: ٩٩.

٢- المُقابلة

المُقابلة لغةً: «قابَلَهُ: واجَهَه والمقابَلَةُ من المُدابَرَةِ أو ما يَعْرِفُ من يُقْبِلُ عليه ممَّنْ يُدْبِرُ عنه»[(١)].

وفي الاصطلاح ذكرها صاحب كتاب الصناعتين قائلاً: «المُقابلة: إيرادُ الكلام، ثم مقابلته بمثله في المعنى أو اللّفظ على جهة الموافقة أو المُخالفة»[(٢)]، وفي العُمدة هي: «مواجهة اللّفظ بما يستحقّه في الحكم، بين التقسيم والطباق، وهي تتصرف في أنواع كثيرة، وأصلُها ترتيب الكلام على ما يجب، فيُعطي أوَّلَ الكلام ما يليق به أولاً، وآخرَهُ ما يليق به آخراً، ويأتي في الموافق ما يُوافِقُه، وفي المخالف ما يُخالِفُه»[(٣)].

وعُمُوم القول أنَّ المُقابلة من المحسنات المعنوية التي شكّلت في خطب سيدات البيت النبوي حُلَّة بلاغيّة جميلة، مُؤثرة في السامع، لدِقَّة معناها وسلامة لفظها، وشواهدها في نُصوص الخُطب كثيرة نذكر منها ما ورد في خطب السيدة الزهراء عليها السلام قولها: «ثُمّ جَعَلَ الثَّوابَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَوَضَعَ العِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، ذِيَادَةً لِعِبَادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وَحِيَاشَةً لَهُمْ إلى جَنَّتِهِ»[(٤)]، فالمُقابلة في: (الثواب والعقاب، طاعته ومعصيته، نقمته وجنته) قد أحدثت تناغماً صوتياً في نص الخطبة، ومن المُلاحظ هنا أنَّ الخطيبة عليها السلام تطرح الجانب العقائدي بترتيب الثواب على الطاعة، والعقاب على

---

(١) القاموس المحيط: ١ / ١٣٥١.

(٢) كتاب الصناعتين: ٣٤٦.

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ١٥/٢.

(٤) بلاغات النساء: ١٥، دلائل الإمامة: ٣٢.

المعصية، وبيان الجَنَّة والنقمة (النار).

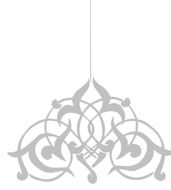
ونلمس في خُطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليهما السلام توالى مقابلاتها حينما تحمد الله وترضى بقدرِهِ وَتُسلِّمُ الأمر إليه، وهي تقول: «الحَمْدُ للّهِ عَدَدَ الرَّمْلِ والحَصَى، وَزِنَةَ العَرْشِ إلى الثَّرَى... حَتَّى قَبَضْتَهُ إلَيْكَ... زَاهِداً فِيْ الدُّنيَا غَيْرَ حَرِيْصٍ عَلَيْهَا، رَاغِباً فِي الآخِرَةِ مُجَاهِداً لَكَ فِي سَبِيْلِكَ، رَضِيتَهُ فَاخْتَرْتَهُ، وَهَدَيْتَهُ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[1]، فالُمقابلة هنا قائمة على المعاني المتوافقة في العبارات.

بينما نجد في خُطبة السّيدة زينب عليها السلام المُقابلة بين المعاني المُتضادّة والمُتوافِقة في خُطبتها التأريخية أمام يزيد «تضرب أصدريك فرحاً وتنقض مذرويك مرحاً، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة والأمور لديك متسقة... ليس معهنّ من رجالهنّ ولي، ولا من حماتهنّ حمي... لقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة... الحمد لله الذي حكم لأوليائه بالسعادة، وختم لأصفيائه ببلوغ الإرادة»[2]، فكانت هذه المُقابلات في نُصُوصها المُنْتَزَعَة من خطابها هذا بحق قد زادت الكلام رُقيّاً وسموّاً، بما أضافته من حُلة وطرافة في العبارات.

---

(١) اللَّهوف في قتلى الطفوف: ٩٦، الاحتجاج: ١٠٤ – ١٠٦.

(٢) الاحتجاج: ٢ / ١٢٤ - ١٣٠.



الخاتمة ونتائج البحث

ما إن كِدْتُ أنهي كتابة شيء من البحث حتى تجلّتْ لي ثماره واضحة، وإذا بها مُنطلقات ريادة، سمت في غير قليل، فجمعتها كنتائج لهذه الدراسة، وهي:

- للمرأة العربية أثر كبير في إغناء الأدب العربي بفنّ الخطابة، إذ استطاعت أن تحقّق نجاحاً كبيراً في هذا الفنّ، حتّى جاءت خُطبُها في غاية الدّقة من حيث العمق الدلالي والبلاغي، ولذلك فإنّ كثيراً من نصوصها تستحقّ التّوقف عندها والتّأمّل في دراستها.

- بعد مجيء الإسلام انتقلت المرأة إلى مرحلة جديدة في حياتها تميّزت عن سابقتها، إذ إنّها خرجت إلى ميدان الخطابة من دون أن يعيقها حجابُها أو يُقيّدها إسلامها، بل كان ذلك دافعاً لخروجها بقوة وحريّة أكبر منحها إيّاها الدّين الحنيف، حتّى سجّلت في خُطبها مواقف لها أثرها، لاسيّما أنّ مُجريات الحياة تغيّرت، والأحداث تحوّلت.

- تعدّ خطب النساء في عصر صدر الإسلام امتداداً لخطب النساء في الجاهليّة - وإن تميّزت عنها - من حيث النّضج، إذ إنّها جاءت بحلة جديدة

من التضمين للمعاني الإسلامية، والحذو نحو أسلوب القرآن الكريم، واتّباعها منهج اللجوء إلى الحجج، وإيراد البراهين لإقناع الخصم، والخوض في المنطق، وكان لذلك أثر في تهيئة أرض خصبة لنموّ فن الخطابة عند المرأة وازدهاره.

- لبلاغة نساء أهل البيت عليهم السلام أثر كبير في إثراء الأدب العربي بالخُطب.

- التّميّز الواضح لخُطب سيّدات البيت النبوي.

- ازدهار فنّ الخطابة في ذلك القرن وظهور خطيبات مُتميّزات وكان لمجريات الأحداث، وتقلب الأحوال ولا سيما بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومقتل الإمام الحسين عليه السلام أثر واضح في ظهور نتاج كبير لسيدات البيت النبوي في مجال فن الخطابة.

- تعدُّ خطب سيدات البيت النبوي مدرسة لفنّ الخطابة، إذ يُمكن لأيّ خطيب - وعلى مرّ الزمن - أن يستقي منها منهجاً لأصول الخطابة، لما اتصفت به من تمثل للنمطية الجديدة التي جاءت في خطب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فضلاً عن استحكام الجرأة الأدبية التي أبرزت قدرتهنَّ فعبَّرنَ عن المواقف الصعبة التي واجهت أُمّة الإسلام آنذاك.

- من خلال دراستنا لمضامين الخُطب ظهر أنّ الخطيبات قد سعين إلى حشد مضامين متنوّعة داخل نصوص خطبهنَّ، كان جُلُّها الدينيّة والسياسيّة والاجتماعيّة، ولحِظْنا أنّ الدينيّة منها قد تمحورت في مجالين؛ هما التشريعي والعقيدي، وقد أسند كلٌ منهما بالدعم القرآني والحديث الشريف، منطلقات في ذلك من أصول دينية بحتة، لأجل ترسيخ المبادئ والقيم الدينية، وبالنسبة

للسياسيّة فقد تجلّت فيها منطقيّة الخطيبات الهادفة إلى الإصلاح والإرشاد، مُتّخذات شدهن السياسي في أثناء خطاباتهن من واقع آثار الفوضى التي كانت سائدة آنذاك، وكانت تلك المضامين بمثابة مرآة تعكس ما في أنفس الخطيبات من رسم منهج وخطّة للأمور السياسية المرتبطة بالرسالة، وإلى جانب المضامين الدينية والسياسية استطاعت خطب السيدات أن تُغطي وفرة من الموضوعات الاجتماعية وفق مقاييس لم تأخذ منحىً إحصائياً بقدر ما أخذت شمولاً واتساعاً لإشباع الحاجة وتطلب الموقف، وما يُلاحظ في المضامين على اختلافها وتنوّعها أنّها قد وشّحت بمؤثّر ديني، وهذا لا يعني أنّ جميعها دينيٌّ، ذلك أنّ المؤثّر غير الموضوع.

- لقد كشفت دراستنا لألفاظ الخطب عن عُمقها الدلالي، وهي تجنح إلى طابع السهولة، ومع هذا الجنوح للسهولة والوضوح والبعد عن الحوشي والغريب نجدها قد غيّرت معياريّة نمط القوّة في الألفاظ بحلّتها الجديدة، من حيث وضوحها ودقّتها وصياغة نظمها، وذلك للسمة التي غلبت على ألفاظها، حتى تفاضلت فيها مراتب البلاغة وهي توائمُها على وفق أنظمة وأنساق تتوافق وفكرة كل خطيبة.

- في نصوص الخطب نلحظ جودة نظم التركيب من حيث القوّة والتّماسك ووحدة البناء ودقّة المعنى، وهذا يَنُمُّ عن متانة أُسلوب المرأة في ذلك العصر، نتيجة قوّة بلاغتها في المنطق، وبراعتها في الإفاضة، والتّميّز بمنهجيّة اختيار المُفردات وبناء الجمل وتسلسل التراكيب في وحدة عضويّة وفنّية.

- غَلَبَة أسلوب الإنشاء على خطب السيدات أكثر من الخبر ولاسيما الطلبي، ممّا أدى إلى أن يشكل الإنشاء ظاهرة أسلوبيّة واضحة فيها، وأعتقد أن ذلك يعود إلى أسباب بلاغيّة، ذلك أنَّ أسلوب الإنشاء الطلبي يمتازُ بلطائفَ بلاغيَّةٍ على عكس الإنشاء غير الطلبي، فإنَّ أكثر صيَغِهِ في الأصل أخبار نقلت إلى الإنشاء، كذلك أنّ الخطيبات قد اعتمدن هذا الأسلوب لظروف موضوعيّة، إذ إنّ هُناك مواقف تطلّبت استعمال هذا الأسلوب الذي لا يحتمل صدقاً أو كذباً لذاته، ولكونه أوقع في المتلقّي، وأشدّ تأثيراً في النفس، وبذلك شكّل وجود الخبر ظاهرة أقلّ من الإنشاء، وفي تواجده نلحظ أنّه خرج لمقاصد وأغراض تُعرف بالقرائن من سياق الكلام.

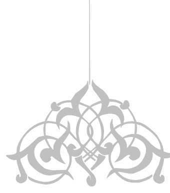
- من المُلاحظ أنّ الخطيبات (عليهنّ السلام) قد اعتمدنَ منهجَ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في افتتاح الخُطب بالصلاة والحمد والثناء على الله، وكذا في اختتام خطبهنّ إمّا بنصٍّ قرآنيٍّ، أو بدُعاء، وقلَّما كان الاختتام بالشعر في خطبهنّ.

- وفرة الصور البيانيّة من استعارة وكناية، وذلك لما تخلقه هاتان الصورتان من تفاعل وانسجام بين المُتلقّي وما يسمعه من خطاب.

- لقد رسمت الخطيبات من خلال عناصر الإيقاع صورة مؤثرة في نفس المخاطب وشعوره، لذلك عُدّ الإيقاع من العناصر التي جاءت بها الخطيبات على وفق سياقات منظمة ومتألقة في إيقاعها وتناغمها مما أثر في السامع.

الملحق

تحقيق نصوص خطب سيدات البيت النبوي "عليهن السلام" حتى نهاية القرن الأول الهجري



خُطبَة السيدة فاطمة عليها السلام لمّا مَنعَهَا أبو بكر فدكاً[1]

رُوي أنّه لّما أجمع أبو بكر على منع السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدكاً، وبلغ ذلك فاطمة عليها السلام لاثت(٢) خِمَارَها عَلَى رَأسِها، واشتملت بجلبابها، وأقبَلَتْ في لّمة(٣) مِنْ حفدتها(٤) ونساء قومها تطأ ذيولها(٥)، ما تخرم(٦) مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،

(١) بلاغات النساء: ١٢ - ١٨؛ السقيفة وفدك: ٩٧ - ١٠١؛ نثرُ الدُرّ: ٤ / ٥ - ٨؛ كتاب الشافي في الإمامة: ٣ / ١٤٠، دلائل الإمامة: ٣٠ - ٣٩؛ معاني الأخبار: ٢ / ٢٩٥ - ٢٩٦؛ أمالي الطوسي - المجلس الثالث عشر - ٣٨٤؛ مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ٢٧- ٣٦، منال الطالب في شرح طوال الغرائب: ٥٠٨ - ٥٢٧؛ شرح نهج البلاغة: ١٦ / ٢١١، الاحتجاج: ١ / ٢٥٣ - ٢٧٨؛ كشف الغمّة: ١ / ١٠٨ - ١١٦؛ جواهر المطالب: ١ / ١٥٥ - ١٦٩؛ ومصادر أخرى كثيرة ذكرها من قبل الفريقين.

(٢) اللَّوْثُ الطيُّ، لاث العمامة على رأْسه يلُوثها لَوْثاً أَي عصبها، لسان العرب: مادة (لوث) ٢ / ١٨٥.

(٣) اللَّمُّ الجمع الكثير، لسان العرب: مادة (لمم) ١٢ / ٥٤٧.

(٤) الحَفَدُ والحَفَدَة الأَعوان والخدَمة، لسان العرب: مادة (حفد) ٣ /١٥٣.

(٥) أي كانت أثوابها طويلة تستر قدميها وتضع عليها قَدَمها عند المشي، وجمع الذيل باعتبار الأجزاء أو تَعَدُّد الثياب.

(٦) ما خَرَمْتُ منه شيئاً أَي ما نقصت وما قطعت والتَّخَرُّمُ والانْخِرامُ التشقق، لسان العرب: مادة (خرم) ١٢ / ١٧٠.

حتّى دَخَلَتْ على أبي بكر وهو في حشد[١] مِنَ المُهاجِرين والأنصار وغيرهم، فنيطت[٢] دونها ملاءة [٣]، فَجَلَسَتْ، ثُمَّ أَنّت أَنّة أَجْهَشَ[٤] القوم لَها بالبُكاء، فارتجّ[٥] المجلس، ثُمّ أمهلت هنيئة حتّى إذا سَكَنَ نشيج [٦] القَوم، وَهَدَأَتْ[٧] فورَتُهُم[٨]، افتتحت الكلام بِحَمْدِ الله تعالى والثّناء عَلَيه والصّلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فعاد القوم في بُكائِهِم، فلمّا أمسكوا عادت في كلامها، فقالت عليها السلام:

الحَمْدُ للّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ [٩]، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا أَلْهَمَ، والثَّنَاءُ بِمَا قَدّمَ، مِنْ عُمُومِ نِعَمٍ ابتَدَأها[١٠]، وَسُبُوغِ آلاءٍ أسْداها[١١]، وَتَمَامِ مِنَنٍ

---

(١) حَشَدَ القومَ يَحْشِدُهم ويَحْشُدُهم جمعهم، لسان العرب: مادة (حشد) ٣ / ١٥٠.

(٢) ناطَ الشيءَ يَنُوطُه نَوْطاً عَلَّقه والنَّوْطُ ما عُلِّق، لسان العرب: مادة (نوط) ٧ / ٤١٨.

(٣) المُلاءة بالضم والمدّ الرَّيْطة وهي المِلْحفة والإزار، لسان العرب: مادة (ملأ) ١ / ١٥٨.

(٤) جَهَش للبُكاء يجهَش جهْشاً وأَجْهَش كلاهما استعدَّ له واسْتَعْبَرَ، لسان العرب: مادة (جهش) ٦ / ٢٧٦.

(٥) الرَجْرَجَةُ الاضطراب وارْتَجَّ البحر وغيره اضطرب، لسان العرب: مادة (رجج) ٢ / ٢٨١.

(٦) النَّشِيجُ الصَّوت والنَّشِيج أَشدُّ البُكاء، والبُكاء للصبيِّ إذا رَدَّدَ صوتَه في صدرِه ولم يُخْرجه، لسان العرب: مادة (نشج) ٢ / ٣٧٧.

(٧) هَدَأَ يَهْدَأُ هَدْءاً وهُدُوءاً سَكَن يكون في سكون الحركة والصَّوْت، لسان العرب: مادة (هدأ) ١ / ١٨٠.

(٨) فارَ الشيء فَوْراً وفَوَراناً جاش وفارتِ القِدْرُ تَفُور فَوْراً وفَوَراناً إذا غلت وجاشت، لسان العرب: مادة (فور) ٥ / ٦٧.

(٩) في دلائل الإمامة: أبتدئ بالحمد لمن هو أولى بالحمد والمجد والطول، الحمدُ لله على ما...

(١٠) أي بِنِعَم أعطاها العباد قبل أن يستحقّوها.

(١١) شيء سابغٌ أَي كاملٌ، وأَسْبَغَ الله عليه النِّعْمةَ أَكْمَلَها وأَتَمَّها، لسان العرب: مادة (سبغ) ٨ / ٤٣٢، الآلاء النِّعَمُ، لسان العرب: مادة (ألا) ١٤ / ٤٠، وأسدى وأولى وأعطى بمعنىً واحد.

أَوْلاها[١]، جَمَّ[٢] عَنِ الإحصاءِ عَدَدُهَا، وَنَأى عَنِ الجَزَاءِ أَمَدُهَا[٣] وَتَفَاوَتَ عَنِ الإدراكِ أَبَدُها[٤]، وَنَدَبَهُم[٥] لاستِزادَتِها بِالشُّكْرِ لاتِّصالِها[٦]، واسْتَحْمَدَ إِلى الخَلائِقِ بإجزالِها[٧]، وَثَنّى بِالنَّدْبِ إلى أَمْثَالِها[٨]، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَه إلا اللّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَه، كَلِمَةً جَعَلَ الإِخْلاصَ تَأْوِيلَهَا، وَضَمَّنَ القُلُوبَ مَوْصُولَهَا، وَأَنَارَ فِي التَّفَكُّرِ مَعْقُولَهَا[٩]، المُمْتَنِعِ مِنَ الأَبْصَارِ رُؤْيَتُهُ[١٠]، وَمِنَ الأَلْسُنِ صِفَتُهُ، وَمِنَ الأوهَامِ كَيْفِيَّتُه[١١]، ابْتَدَعَ الأَشْيَاءَ لا

(١) في بلاغات النساء ودلائل الإمامة: وإحسان مِنَنٍ والاها، وولاها أي تابعها بإعطاء نعمةٍ بعد أُخرى بلا فصل.

(٢) الجَمُّ والجَمَمُ الكثير من كل شيء، لسان العرب: مادة (جمم) ١٢ /١٠٤.

(٣) في بلاغات النساء: ونأى عن المجازاة أمدها، والنَّأْيُ البُعدُ، نَأَى يَنْأَى بَعُدَ، لسان العرب: مادة (نأى) ١٥ / ٣٠٠، والأَمَدُ الغاية، لسان العرب: مادة (أمد) ٣ / ٧٤، والمعنى: بَعُد عن الجزاء بالشكر غايتها.

(٤) في بلاغات النساء: وتفاوت عن الإدراك آمالها، ومعنى التفاوت: البعد، تَفاوَتَ الشيئان أَي تَباعد ما بينهما، لسان العرب: مادة (فوت) ٢ / ٦٩، والأَبَدُ الدهر، لسان العرب: مادة (أبد) ٣ / ٦٨.

(٥) نَدَبَ القومَ إِلى الأَمْر يَنْدُبهم نَدْباً دعاهم وحَثَّهم وانْتَدَبُوا إِليه أَسْرَعُوا، لسان العرب: ١ مادة (ندب) / ٧٥٣.

(٦) في بلاغات النساء: واستثن الشُّكْر بفضائلها؛ وفي دلائل الإمامة: استدعى الشكور بأفضالها.

(٧) أي طلب منهم الحمد بسبب إجزال النعم وإكمالها عليهم، يقال: أَجْزَلْت له من العطاء أَي أَكثرت، لسان العرب: مادة (جزل) ١١ /١٠٩.

(٨) في دلائل الإمامة: وأمر بالندبِ إلى أمثالها.

(٩) في بلاغات النساء: وأنّى في الفكرة معقولها؛ وفي دلائل الإمامة: وأبان في الفكر معقولها.

(١٠) المراد بالرؤية هنا: العلم الكامل والظهور التام.

(١١) في بلاغات النساء: وَمِنَ الأوهام الإحاطة به.

مِنْ شَيءٍ كانَ قَبْلَهَا(١)، وَأَنْشَأَهَا بِلا احْتِذاءِ أَمْثِلَةٍ امتَثَلَهَا(٢)، كَوَّنَهَا بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأَهَا بِمَشِيَّتِهِ، مِن غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إلى تَكْوِينِها، ولا فَائِدَةٍ لَهُ فِي تَصْوِيرِها، إلا تَثْبِيتاً لِحِكْمَتِهِ، وَتَنْبِيهاً عَلَى طَاعَتِهِ، وَإِظْهاراً لِقُدْرَتِهِ، وَتَعَبُّداً لِبَرِيَّتِهِ(٣)، وَإِعزازاً لِدَعْوَتِهِ، ثُمّ جَعَلَ الثَّوابَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَوَضَعَ(٤) العِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، ذِيَادَةً (٥) لِعِبَادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وَحِيَاشَةً (٦) لَهُمْ إِلى جَنَّتِه.

وَأَشْهَدُ أَنَّ أَبِي مُحَمّداً [النبي الأمّي] (٧) صلى الله عليه وآله وسلم عَبْدُهُ وَرَسُولُه، اخْتَارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَمّاهُ قَبْلَ أَنِ اجْتَبَاهُ، واصْطَفَاهُ قَبْلَ أَنِ ابْتَعَثَهُ، إِذِ الخَلائِقُ بالغَيْبِ مَكْنُونَةٌ (٨)، وَبِسِتْرِ الأَهَاوِيلِ مَصُونَة (٩)، وَبِنِهَايَةِ

(١) في بلاغات النساء ودلائل الإمامة: قبله.

(٢) حَذَا حَذْوَه فَعَل فعله وهو منه التهذيب، يقال فلان يَحْتَذِي على مثال فُلان إذا اقْتَدَى به، لسان العرب: ١٤ مادة (حذى) / ١٦٩، وامْتَثَلَ طريقته تبعها فلم يَعْدُها، لسان العرب: مادة (مثل) ١١/ ٦١٠، وورد في بلاغات النساء: واحتذاها بلا مثال لغير فائدة زادته إلا إظهاراً لِقُدرَته، وفي دلائل الإمامة: وأنشأها بلا احتذاء مثله، ووضعها لغير فائدة زادته، إظهاراً لقدرته.

(٣) أي خلق البريّة ليتعبَّدهم، أو خلق الأشياء ليتعبّد البرايا بمعرفته والاستدلال بها عليه.

(٤) في بلاغات النساء: بحذفها.

(٥) في بلاغات النساء ودلائل الإمامة: زيادة، ومعنى الذَّوْد السَّوق والطرد والدفع، لسان العرب: مادة (ذود) ٣/ ١٦٧.

(٦) في بلاغات النساء: وجياشاً لهم إلى جنّته، ومعنى الحياشة: من حُشْنا الصيدَ حَوْشاً وحِياشاً وأَحَشْناه وأَحْوَشْناه أَخذناه من حَوالَيْه لنَصْرِفَه إِلى الحِبالةِ، لسان العرب: مادة (حوش) ٦/ ٢٩٠، ولعلّ التعبير بذلك لنفور النّاس بطباعهم عمّا يُوجب دخول الجنّة.

(٧) انفرد بهذه العبارة صاحب الاحتجاج.

(٨) في بلاغات النساء: وأشهد أنّ أبي محمّداً عبده ورسوله اختاره قبل أن يجتبله، واصطفاه قبل أن ابتعثه، وسمّاه قبل أن استنجبه، إذ الخلائق بالغيوب مكنونة، وفي دلائل الإمامة: وأشهد أن أبي محمّداً عبده ورسوله، اختاره قبل أن يبتعثه، وسمّاه قبل أن يستنخبه، إذ الخلائق في الغيب مكنونة.

(٩) ذكر المجلسي في بحار الأنوار: أنّ المراد بالستر ستر العدم، أو حجب الأصلاب والأرحام، ←

العَـدَمِ مَقْرُونَـةٌ، عِلْمَـاً مِـنَ اللّهِ تَعَـالى بِمَآيِـلِ الأُمُـورِ (١)، وإِحَاطَـةً بِحَـوَادِثِ الدُّهُورِ، وَمَعْرِفَةً بِمَوَاقِعِ المَقْدُورِ (٢).

ابتَعَثَـهُ اللّـهُ (٣) إتْمَامَـاً لأمْـرِهِ، وَعَزِيْمَـةً عَلَـى إمْـضَاءِ حُكْمِـهِ، وَإنفـاذاً لِمَقَادِيرِ حَتْمِهِ، فَرَأَى الأُمَمَ (٤) فِرَقَـاً فِـي أَدْيَانِهـا، عُكّفـاً عَلَـى نِيرَانِهَـا، عَابِدَةً لأوثَانِهَا، مُنْكِرَةً للّهِ مَع عِرفَانِهَـا، فَأَنَـارَ اللّـهُ بِـأَبِي مُحمّـد صـلى الله عليـه وآلـه وسلم ظُلَمَها (٥)، وكَشَفَ عَنِ القُلُوبِ بُهَمَهَا (٦)، وَجَلَى عَنِ الأَبْصَارِ غُمَمَهَـا (٧)، وَقَـامَ فِـي النّـاس بِالهِدَايَـة، فَأَنْقَـذَهُم مِنَ الغِوَايَـة، وَبَـصَّرَهُم مِـنَ العَمَايَـة (٨)، وَهَدَاهُم إلى الدِّين القَوِيم، وَدَعَاهُم إِلى الطَّرِيقِ المُستَقِيم.

ثُمّ قَبَضَهُ اللّهُ إِليهِ قَبْضَ رَأفَةٍ واخْتيـارٍ (٩)، وَرَغْبَـةٍ وَإِيثَـارٍ، فَمُحَمَّـدٌ صـلى

ونسبته إلى الأهاويل لما يلحق الأشياء في تلك الأحوال من موانـع الوجـود وعوائقـه، ويُحتمـل أن يكون المراد أنّها كانت مصونة عن الأهاويل بستر العَدَم، إذ هي إنّما تلقحهـا بعـد الوجـود، وقيل التعبير بالأهاويل من قبيل التعبير عن درجات العَدَم بالظلمات.

(١) مآيل الأُمُور: أي عواقبها.

(٢) في دلائل الإمامة: وبسد الأوهـام مـصونة، وبنهايـة العـدم مقرونـة، علمـاً مـن الله في غـامض الأُمور، وإحاطة من وراء حادثة الدهور، ومعرفة بموقع المقدور.

(٣) في بلاغات النساء: بإضافة: تعالى عزّ وجلّ.

(٤) في بلاغات النساء: بإضافة: صلى الله عليه وآله.

(٥) في بلاغات النساء: فأنار الله عزّ وجلّ بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم ظُلَمَها.

(٦) البُهَم جمع بُهْمَة بالضم وهي مُشكلات الأُمور، لسان العرب: مادة (بهم) ١٢/ ٥٦.

(٧) جَلا الأَمرَ وجَلاَّه وجَلَّى عنه كشَفه وأَظهره، لسان العرب: مادة (جلا) ١٤ /١٤٩، والغَمّ من غَمَّه الأمرُ يَغُمُّه غَمّاً فاغْتَمَّ وانْغَمّ، وأَمْرُهُ عليه غُمَّةٌ أي لَبْس، لسان العرب: مادة (غمم) ١٢ / ٤٤٩.

(٨) العَمَايَة والعُمِيَّة والعَمِيَّة كلّه الغَوايةُ واللَّجاجة، لسان العرب: مادة (عمى) ١٥/٩٥.

(٩) في دلائل الإمامة: قبض الله نبيّه صلى الله عليه وآلـه وسـلم قـبض رأفـة واختيـار، وفي دلائـل الإمامة: رأفة ورحمة، واختيار ورغبة.

اللّه عليه وآله وسلم مِنْ تَعَبِ هَذِهِ الدَّارِ فِي رَاحَةٍ، قَدْ حُفَّ بِالمَلائِكَةِ الأَبْرارِ، وَرِضْوَانِ الرَّبِّ الغفّارِ، وَمُجَاوَرَةِ المَلِكِ الجبّارِ، صَلّى اللّهُ عَلَى أَبِي، نَبِيِّهِ وَأَمِينِهِ عَلَى الوَحْيِ، وَصَفِيِّهِ [فِي الذّكر] (١) وَخِيَرَتِه مِنَ الخَلْقِ وَرَضِيِّهِ، والسَّلامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللّهِ وَبَرَكَاتُه (٢).

ثُمّ التفتت عليها السلام إلى أهل المجلس وقالت:

أَنْتُمْ عِبَادَ اللّهِ نُصْبُ(٣) أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَحَمَلَةُ دِيْنِهِ وَوَحْيِهِ، وَأُمَنَاءُ اللّهِ عَلَى أَنْفُسِكُم، وَبُلَغَاؤُهُ إِلى الأُمَمِ، وَزَعَمْتُمْ(٤) حَقٌّ لَكُمْ، للّهِ فِيْكُم عَهْدٌ قَدْ مَدّه إِلَيْكُم، وَبَقِيَّةٌ اسْتَخْلَفَهَا عَلَيْكُم: كِتَابُ اللّهِ النَّاطِقُ، والقُرآنُ الصَّادِقُ، والنُّورُ السَّاطِعُ، والضِّيَاءُ اللامِع، بَيِّنَةٌ بَصَائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرَائِرُهُ، مُنْجَلِيَةٌ(٥) ظَوَاهِرُهُ، مُغْتَبِطٌ بِهِ أَشْيَاعُهُ، قَائِدٌ إلى الرِّضوانِ اتِّبَاعُهُ، مُؤَدٍّ إِلى النَّجَاةِ اسْتِمَاعُهُ، بِهِ تُنَالُ حُجَجُ اللّهِ المُنَوَّرَةُ، وَعَزَائِمُهُ المُفسَّرة، وَمَحَارِمُهُ المُحَذّرَةُ، وَبَيِّنَاتُهُ الجَالِيةُ، وَبَرَاهِينُهُ الكَافِيَةُ، وَفَضَائِلُهُ المَنْدُوبَةُ، وَرُخَصُهُ المَوْهُوبَةُ،

(١) اختصّ بذكرها صاحب الاحتجاج.

(٢) في بلاغات النساء: بأبي صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الدار موضوع عنه العبء والأوزار، محتف بالملائكة الأبرار، ومجاورة الملك الجبّار، ورضوان الرّب الغفّار، صلى الله على محمّد نبيّ الرّحمة وأمينه على وحيه وصفيه من الخلائق ورضيه صلّى الله عليه وسلم ورحمة الله وبركاته؛ وفي دلائل الإمامة: لمحمّد عن تعب هذه الدار، موضوعاً عنه أعباء الأوزار، محفوفاً بالملائكة الأبرار، ورضوان الرّبّ الغفّار، ومجاورة الملك الجبار، أمينه على الوحي، وصفيّه، ورضيّه، وخيرته من خلقه ونجيّه، فعليه الصلاة والسلام، ورحمة الله وبركاته.

(٣) النَّصْبُ والنُّصُبُ العَلَم المَنْصُوب، لسان العرب: مادة (نصب) ١/ ٧٥٨.

(٤) أي زعمتُم أنّ ما ذُكِرَ ثَابِتٌ لكُم.

(٥) في بلاغات النساء ودلائل الإمامة: مُتَجَلّية.

وَشَـرَائِعُهُ المَكْتُوبَـةُ[١]. فَجَعَـلَ[٢] اللّـهُ الإيمـانَ: تَطهـيراً لَكُـم مِـنَ الـشِّرك، والصَّلاةَ: تنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ الكِبَرِ، وَالزّكاةَ: تَزكِيَةً للنَّفْسِ، وَنَمَاءً فِي الرِّزْقِ[٣]، والصِّيامَ: تَثْبِيتاً لِلإخلاصِ، والحَجَّ: تَشْيِيداً للدِّين، والعَدْلَ: تَنْسِيقاً للقُلُوبِ، وَطَاعَتَنَا: نِظاماً للمِلّةِ، وإمامَتَنَا: أَمَاناً مِنَ الفِرْقَةِ، والجِهَادَ: عِزّاً للإسلام، [وَذُلاً لأهلِ الكُفْرِ والنّفاق][٤]، والصَّبْرَ: مَعُونَةً على استِيجَابِ الأجْرِ، والأَمْرَ بِالمعرُوفِ: مَصْلَحَةً للعَامَّةِ، وَبِرَّ الوَالِدَينِ: وِقَايَةً من السَّخَطِ، وَصِلَةَ الأَرْحَامِ: منسأةً[٥] فِي العُمرِ ومنماةً للعَدَدِ، والقِصَاصَ: حَقْنَاً للدِّمَاءِ، والوَفَاءَ بِالنَّذْرِ: تَعْرِيضاً لِلمَغْفِرَة، وَتَوْفِيَةَ المَكاييلِ وَالمَوَازينِ: تغييراً لِلبَخْسِ، والنَّهْيَ عَنْ شُرْبِ الخَمْرِ: تَنْزِيهاً عَنِ الرِّجسِ، وَاجْتِنَابَ القَذْفِ: حِجَاباً عَنِ اللَّعْنَة، وَتَرْكَ السَّرِقَةِ: إِيْجَاباً لِلعِفَّةِ، وَحَرَّمَ اللّهُ الشِّرْكَ إخلاصاً له بالرّبوبيّة فـ { اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }[٦]، وأطيعوا الله فيما

(١) في بلاغات النساء: ثُمّ أنتم عباد الله (تريد أهل المجلس) نصب أمر الله ونهيه وحملة دينه ووحيه وأُمناء الله على أنفسكم وبلغاؤه إلى الأُمم زعمتُم حقّاً لكم الله فيكم عهد قدّمه إليكم ونحنُ بقيّة استخلفنا عليكم ومعنا كتاب الله بيّنة بصائره، وآيٌ فينا منكشفة سرائره، وبرهان منجلية ظواهره، مُديم البريّة أسماعَه، قائدٌ إلى الرّضوان أتباعه، مؤدٍ إلى النجاة استماعه، فيه بيان حُجَجِ الله المُنورة، وعزائمه المُفسرة، ومحارمه المحذّرة، وبيّناته الجالية، وَجُمَلُهُ الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة.

(٢) في بلاغات النساء ودلائل الإمامة: ففرض الله عليكم الإيمان.

(٣) في بلاغات النساء ودلائل الإمامة: والزكاة تزييداً في الرزق.

(٤) انفرد بذكرها صاحب الاحتجاج.

(٥) النَّسْءُ التأخيرُ، لسان العرب: مادة (نسأ) ١٦٦/١، وقد ورد في دلائل الإمامة: وصلة الأرحام منماة للعدد وزيادةً في العُمْر.

(٦) آل عمران / ١٠٢.

أمركم به و[ما] نهاكم عنه، فإنّه (١) { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } (٢).

ثُمّ قالت: أيُّها النّاس! اعْلَمُوا: أَنّي فَاطِمَةُ وَأَبِي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم، أَقُولُ عوداً وَبَدْواً (٣)، وَلا أَقُولُ مَا أَقُولُ غَلَطاً، وَلا أَفْعَلُ مَا أَفْعَلُ شَطَطاً (٤)، { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } (٥)، فَإِنْ تَعْزُوهُ (٦) وَتَعْرِفُوهُ، تَجِدُوهُ أَبِي دُونَ نِسائِكُم، وَأَخَا ابنِ عَمّي دُونَ رِجالِكُم، وَلَنِعْمَ المَعْزِيُّ إِليهِ صلى الله عليه وآله

(١) في بلاغات النساء: ... والزكاة تزييداً في الرزق، والحج تسلية للدّين، والعدل تنسُّكاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً، وإمامتنا أمناً من الفرقة، وحبّنا عزّاً للإسلام، والصبر منجاة، والقصاص حقناً للدِّماء، والوفاء بالنذر تعرُّضاً للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تعبيراً للنحسة، والنهي عن شُرْب الخمر تنزيهاً عن الرجس، وقذف المُحصنات اجتناباً للعنة، وترك السرق إيجاباً للعفّة وحرّم الله عزّ وجل الشرك إخلاصاً له بالربوبيّة فـ { اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } وأطيعوه فيما أمركم به ونهاكم عنه فإنّه { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } ؛ وفي بلاغات النساء مع اختلاف في الألفاظ وإضافة: ... ولا تتولّوا مدبرين، وأطيعوه فيما أمركم ونهاكم، فـ { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } ، فاحمدوا الله الذي بنوره وعظمته ابتغى من في السماوات ومن في الأرض إليه الوسيلة، فنحن وسيلته في خلقه، ونحن آل رسوله، ونحن حجّة غيبه، وورثة أنبيائه.

(٢) فاطر / ٢٨.

(٣) العود ثاني البدء، لسان العرب: مادة (عود) ٣/٣١٥.

(٤) أَشطَّ جاوَزَ القَدْرَ وتباعدَ عن الحق، لسان العرب: ٧ مادة (شطط) / ٣٣٣، وفي المصباح: شطّ فلان في حكمه شطوطاً وشططاً: جار وظلم؛ وورد في كشف الغُمّة: ما أقول في ذلك سرفاً ولا شططاً.

(٥) التوبة / ١٢٨.

(٦) قال المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار: يُقال عزوته إلى أبيه، أي نسبته إليه، أي إن ذكرتُم نسبه وعرفتموه تجدوه أبي.

وسلم، فَبَلّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعاً[١] بالنِّذارَةِ[٢]، مَائِلاً عَنْ مَدْرَجَةِ[٣] المُشْرِكِينَ، ضَارِباً ثَبَجَهُم[٤]، آخذاً بِأَكْظَامِهِم[٥]، دَاعِياً إِلى سَبِيلِ رَبِّهِ بالحِكمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَة[٦]، يَكْسِرُ[٧] الأَصْنَامَ، وَيَنْكُثُ الهَامَ، حَتّى انْهَزَمَ[٨] الجَمْعُ وَوَلّوا الدُبُرَ، حَتّى تَفَرَّى[٩] اللَّيل عن صبحه، وَأَسْفَرَ الحَقُّ عَن مَحْضِهِ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدِّينِ، وَخَرِسَتْ شَقَاشِقُ الشَّيَاطِيْنِ[١٠]، وَطَاحَ[١١] وَشِيظُ النّفاقِ[١٢]، وَانْحَلّت عُقَدُ الكُفْرِ والشِّقَاقِ، وفُهْتُم[١٣] بِكَلِمَةِ الإِخلاصِ فِي نَفَرٍ مِنَ البِيضِ الخِماصِ[١٤]،

(١) صَدَعْتُ الشيءَ أَظهَرْتُه وبَيَّنْتُه، لسان العرب: مادة (صدع) ٨/ ١٩٤.
(٢) الإِنـذار الإِعـلام يقـال أَنذَرْتـه أُنْـذِرُه إِنْذاراً إِذا أَعلمته فأَنـا مُنْـذِر ونَـذير أَي مُعْلِـم ومُخـوِّف ومُحذِّر، لسان العرب: مادة (نذ ر) ٥/ ٢٠٠.
(٣) المَدْرَجةُ المَذْهَب والمسلَكُ، لسان العرب: مادة (درج) ٢/ ٢٦٦.
(٤) ثَبَجُ كلِّ شيء مُعْظَمُهُ ووَسَطُهُ وأَعلاه، لسان العرب: مادة (ثبج) ٢/٢١٩.
(٥) الكَظَم بالتحريك وهو مخرج النفَس من الحلق، لسـان العـرب: مـادة (كظـم) ١٢/٥١٩، وقـد ورد في بلاغات النساء: بكظمهم.
(٦) في بلاغات النساء: بحذف هذه الجملة.
(٧) في بلاغات النساء: يهشم؛ وفي دلائل الإمامة: يجذ.
(٨) في بلاغات النساء: هُزِم.
(٩) تَفَرَّى أَي انشق، لسان العرب: مادة (فرا) ١٥/ ١٥١؛ وورد في بلاغات النساء: وتغرّى الليل عن صبحه.
(١٠) في دلائل الإمامة: وهدأت فورة الكُفْر، وخرست شقاشق الشيطان.
(١١) طاح: هلك وسقط.
(١٢) الوَشِيظ من الناس لَفِيفٌ ليس أَصلهم واحداً، والوَشيظُ الدُّخلاء في القـوم، لـسان العـرب: مادة (وشظ) ٧/ ٤٦٥، وقال الجوهري: (الوشيظ: لفيف من النّاس (ليس) أصلهم واحد).
(١٣) فُهْتُم: يقال فاه فلان بالكلام - أي تلفّظ به.
(١٤) البيض: جمع أبيض، والبيضَانُ من الناس خلافُ السُّودان، لسان العـرب: مـادة (بـيض) ٧/ ١٢٢؛ والخَمَصُ خَماصةُ البطن وهو دِقّةُ خِلْقتِه ورجـل خُمْـصان وخَمِـيصُ الحَشا أَي ضـامر ←

الّذِينَ أَذْهَبَ اللّهُ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرَهُم تَطْهِيراً { وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنْ النَّارِ }[1]، مُذْقَةَ الشّارِبِ[2]، وَنُهْزَةَ[3] الطَّامِعِ، وَقِبْسَةَ[4] العَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الأَقْدامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ[5]، وَتَقْتَاتُونَ القِدَّ[6] أَذِلّةً خَاسِئِينَ[7] [صَاغِرين][8]، تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ، فَأَنْقَذَكُمُ اللّهُ تَبارَكَ وَتَعَالى بِأَبِي[9] مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم بَعْدَ اللَّتَيَّا والَّتي[10]، وَبَعْدَ أَنْ[11] مُنِيَ بِبُهَمِ[12] الرِّجَالِ وَذُؤْبَانِ العَرَبِ، وَمَرَدَةِ أَهْلِ الكِتَابِ[13] { كُلَّمَا

البطن، لسان العرب: مادة (خمص) ٧/ ٢٩، يُقال فلان خميص البطن من أموال النّاس: أي عفيفٌ منها.

(١) آل عمران / ١٠٣، شفا كلّ شيء: طرفه وشفيره، أي كُنتم على شفير جهنّم مشرفين على دخولها لشرككم وكفركم.

(٢) المَذْقة الشربة، لسان العرب: مادة (مذق) ١٠/ ٣٣٩.

(٣) النُّهْزَةُ الفُرْصَة، لسان العرب: مادة (نهز) ٥/ ٤٢١.

(٤) القَبَس الشُّعْلة من النار، لسان العرب: مادة (قبس) ١٦٧/٦.

(٥) المَطرُوق ماء السماء الذي تبول فيه الإبل وتَبْعَرُ، لسان العرب: مادة (طرق) ٢١٥/١٠.

(٦) القِدُّ: السير الذي يُقَدُّ من الجلد، لسان العرب: مادة (قدد) ٣/ ٣٤٣.

(٧) في بلاغات النساء ودلائل الإمامة: خاشعين.

(٨) انفرد بها صاحب الاحتجاج.

(٩) في بلاغات النساء: فأنقذكم الله برسوله صلى الله عليه وآله وسلم بعد اللَّتيّا والتي؛ وفي دلائل الإمامة: فأنقذكم به بعد اللَّتَيَّا والتي.

(١٠) اللَّتَيَّا والتي بفتح اللام وتشديد الياء: تصغير التي، وجوز بعضهم ضمّ اللام، وهما كنايتان عن الداهية الصغيرة والكبيرة.

(١١) في بلاغات النساء: وبعدما مُني، ومعنى مُني: أي ابتُلي.

(١٢) بُهَم الرّجال، كصُرَد: الشجعان منهم، لأنّهم لشدّة بأسهم لا يُدرى من أين يأتون.

(١٣) ذؤبان العرب: لصوصهم وصعاليكهم الذين لا مال لهم ولا اعتماد عليهم، والمردة: العتاة المتكبرون المجاوزون للحد.

أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ } (١)، أَوْ نَجَمَ قَرْنُ الشَّيطَانِ (٢)، أَوْ فَغَرَتْ فَاغِرَةٌ مِنَ المُشْرِكِينَ (٣)، قَذَفَ أَخاهُ فِي لَهَوَاتِهَا (٤)، فَلا يَنْكَفِئُ حَتَّى يَطَأَ صِمَاخَهَا بِأَخْمَصِهِ (٥)، وَيُخْمِدَ لَهَبَهَا بسيفه (٦)، مَكْدُوداً فِي ذَاتِ اللّهِ، مُجْتَهِداً فِي أَمْرِ اللّهِ، قَرِيباً مِنْ رَسُولِ اللّهِ، سَيِّداً فِي أَوْلِيَاءِ اللّهِ، مُشَمِّراً نَاصِحاً، مُجِدّاً كَادِحاً، لا تَأْخُذُه فِي اللّهِ لَوْمَةُ لائِم، وَأَنْتُم فِي رَفَاهِيَةٍ مِنَ العَيْشِ، وَادِعُونَ (٧) فَاكِهُونَ آمِنُونَ تَتَرَبَّصُونَ بِنَا الدَّوَائِرَ (٨) وَتَتَوَكَّفُونَ (٩) الأخبَارَ وَتَنْكُصُونَ عِنْدَ النِّزَالِ (١٠)

---

(١) المائدة / ٦٤.

(٢) نَجَمَ الشيءُ يَنْجُم بالضم نُجوماً طَلَعَ وظهر، لسان العرب: مادة (نجم) ١٢/ ٥٦٨، والمراد بالقَرن القُوَّة، أي حين تَطْلُع يتحرّك الشيطان، لسان العرب: مادة (قرن) ١٣/ ٣٣١.

(٣) فَغَر فاه يَفْغَرُه ويَفْغُره الأَخيرة عن أبي زيد فَغْراً وفُغُوراً فتحه، لسان العرب: مادة (فغر) ٥ / ٥٩، والفاغرة من المشركين: الطائفة العادية منهم تشبيهاً بالحيّة أو السبع.

(٤) اللَّهاةُ الهَنةُ المُطْبِقة في أَقصَى سَقْف الفم، لسان العرب: مادة (لها) ١٥/ ٢٥٨.

(٥) انكفأ: مال ورجع، وصِماخ الأُذن بالكسر: الخرقُ الباطن الذي يُفضي إلى الرأس، لسان العرب: مادة (صمخ) ج٣/ص٣٤، والأَخْمَصِ بِقَدْرٍ لم يرتفع جدّاً ولم يستوِ أَسْفلُ القدمِ جِدّاً، لسان العرب: مادة (خمص) ٧/ ٢٩، وطي الصماخ بالأخمص عبارة عن القهر والغَلَبَة على أبلغ وجه.

(٦) في بلاغات النساء: كُلّما حشوا ناراً للحرب أطفأها، ونجم قرن للضلال، وفغرت فاغرة من المشركين، قذف بأخيه في لهواتها، فلا ينكفئ حتّى يطأ صماخها بأخمصه، وَيُخْمد لهبها بحدِّه.

(٧) الدعة: من وَدَعَه فهو وَدِيعٌ ووادِعٌ أَي ساكِن، لسان العرب: مادة (ودع) ٨ / ٣٨٠.

(٨) الدوائر: صروف الزمان وحوادث الأيام والعواقب المذمومة، وأكثر ما تُستعمل الدائرة في تحوّل النعمة إلى الشدّة، والمعنى: أي كُنتم تنتظرون نزول البلايا علينا وزوال النعمة والغلبة عنّا.

(٩) التوكُّف التوقُّع والانتظار، لسان العرب: مادة (وكف) ٩/ ٣٦٢، والمراد هنا إخبار المصائب والفتن.

(١٠) النُّكُوصُ الإِحْجامُ والانْقِداعُ عن الشيء، لسان العرب: مادة (نكص) ٧ / ١٠١، والنِّزالُ في ←

وَتَفِرُّونَ مِنَ القِتَالِ[١].

فَلَمَّا اخْتَارَ اللّهُ لِنَبِيِّهِ دَارَ أَنبِيَائِهِ، وَمَأْوَى أَصْفِيائِهِ، ظَهَرَ فِيكُم حَسْكَةُ[٢] النِّفَاقِ، وَسَمَلَ جِلبَابُ الدِّينِ[٣]، وَنَطَقَ كَاظِمُ[٤] الغَاوِينَ، وَنَبَغَ[٥] خَامِلُ[٦] الأَقَلِّينَ[٧]، وَهَدَرَ فَنِيقُ المُبْطِلِينَ[٨]، فَخَطَرَ[٩] فِي عَرَصَاتِكُم، وَأَطْلَعَ الشَّيْطَانُ

الحربَ أَن يتَنازَل الفريقان وفِي المحكم أَن يَنْزِل الفَرِيقان عن إِبلهما إِلى خَيْلهما فيَتضاربوا، لسان العرب: مادة (نزل) ١١/ ٦٥٦، والمُراد من هذه الفِقْرات أنّهم لم يزالوا منافقين ولم يؤمنوا قطّ.

(١) في بلاغات النساء: مكدوداً في ذات الله قريباً من رسول الله، سيّداً في أولياء الله، وَأَنْتُم في بلهنية وادعون آمنون؛ وفي دلائل الإمامة: مكدوداً في ذات الله، قريباً من رسول الله، سيّداً في أولياء الله، وأنتم في بلهنية آمنون، وادعون فرحون، تتوكّفون الأخبار، وتنكصون عند النزال على الأعقاب، حتّى أقام الله بمحمّد عمود الدين.

(٢) الحَسَكُ حَسَك السَّعْدان، وحَسَكُ الصدرِ حِقْدُ العداوة، لسان العرب: مادة (حسك) ١٠/ ٤١١.

(٣) السَّمَلُ الخَلَق من الثياب، لسان العرب: مادة (سمل) ١١/ ٣٤٥، والجِلْبابُ أَيضاً الرِّداءُ وقيل هو كالمِقْنَعة تُغَطِّي به المرأَةُ رأْسَها وظهرها وصَدْرَها، لسان العرب:، مادة (جلب) ١ / ٢٧٢.

(٤) الكُظوم السُّكوت، لسان العرب: ١ مادة (كظم) ٢/ ٥١٩.

(٥) نَبَغَ الشيءُ ظَهَرَ ونَبَغَ فيهم النِّفاقُ إذا ظهر، لسان العرب: مادة (نبغ) ٨/ ٤٥٣.

(٦) الخامِل الخَفِيُّ الساقط الذي لا نَباهة له، لسان العرب: مادة (خمل) ١١/ ٢٢١.

(٧) الأقلين: من القُلُّ والقِلَّة وهي مثل الذُّلِّ والذِّلَّة، لسان العرب: ١١ مادة (قلل) / ٥٦٣، وفي بعض الروايات (الأوّلين)، وورد في كشف الغُمَّة: (فنطق كاظم، ونبغ خامل)، وفي دلائل الإمامة (نبغ خامل ونطق كاظم).

(٨) هَدَرَ البعيرُ يَهْدِرُ هَدْراً وهَدِيراً وهُدُوراً صَوَّتَ في غير شِقْشِقَة، لسان العرب: مادة (هدر) ٢٥٧/٥، والفَنِيق هو الفحل المكرم من الإبل الذي لا يُرْكب ولا يُهَان لكرامته، لسان العرب: مادة (فنق) ١٠/ ٣١٢.

(٩) خَطَرَ البعير بذنبه يَخْطِرُ بالكسر خَطْراً ساكن وخَطَرَاناً إذا رفعه مرة بعد مرة، لسان العرب: مادة (خطر) ٤/ ٢٤٩.

رَأسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ[١] هاتِفاً بِكُم، فَأَلفاكُم[٢] لِدَعوَتِهِ مُستَجِيبِينَ، وَلِلعِزّةِ[٣] فِيهِ مُلاحِظِينَ، ثُمَّ استَنْهَضَكُم فَوَجَدَكُم خِفَافاً، وَأَحْمَشَكُم[٤] فَأَلفَاكُم غِضَاباً، فَوَسَمْتُم غَيْرَ إبلِكُمْ وَوَرَدْتُم غَيْرَ مَشْرَبِكُم[٥].

هَذَا؛ والعَهْدُ قَرِيبٌ[٦] وَالكَلْمُ رَحِيبٌ[٧]، والجُرْحُ لمّا يَنْدَمِلِ، والرَّسولُ لمّا يُقْبَرِ[٨]، ابتِداراً[٩] زَعَمْتُم خَوْفَ الفِتْنَةِ ﴿ أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾[١٠]، فَهَيْهَاتَ مِنْكُم، وَكَيْفَ بِكُمْ[١١]، وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟! وَكِتابُ اللهِ بَيْنَ

---

(١) مغرز الرأس بالكسر: ما يختفى فيه، وقيل لعلّ في الكلام تشبيهاً للشيطان بالقُنفذ فإنّه إنّما يطلع رأسه عند زوال الخوف أو بالرجل الحريص المقدَّم على أمرٍ، فإنّه يَمُدّ عُنقه إليه.

(٢) أَلْفَى الشيء وَجَدَه، لسان العرب: مادة (لفا) ١٥/ ٥٢٥.

(٣) في بلاغات النساء: وللغرّة، وهو اغْترَّ بالشيء أي خُدع به، لسان العرب: مادة (غرر) ٥/ ١١، ومعنى وللعزّة فيه مُلاحظين: أي وجَدكم طالبين للعزَّة.

(٤) أَحْمَشْت الرجلَ أَغضَبْتُه، لسان العرب: مادة (حمش) ٦/ ٢٨٨.

(٥) ورَدْتُ الماءَ أَرِدُه وُرُوداً إذا حضرته لتشرب والوِرد الماء الذي ترد عليه، لسان العرب: مادة (ورد) ٣ /٤٥٦، والشِرب بالكسر: الحظُّ من الماء، وهُما كنايتان عن أخذ ما ليس لَهُم بحقٍّ مِن الخلافة والإمامة وميراث النُّبوّة، وورد في كشف الغُمّة (وأوردتموها شُرباً ليس لكم).

(٦) في بلاغات النساء: حتى إذا اختار الله لنبيّه دار أنبيائه ظهرت خلَّةُ النفاق، وسمل جِلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الآفلين، وهدر فنيق المُبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه صارخاً بكم، فوجدكم لدعائه مُستجيبين، وللغرّة فيه مُلاحظين، فاستنهضكُم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكُم غضاباً، فوسمتُم غير إبلكُم، وأوردتموها غير شربكم، هذا والعهد.

(٧) الكَلْمُ الجُرْح، لسان العرب: مادة (كلم) ١٢/٥٢٢، والرُحب بالضمّ: السِّعَة.

(٨) قَبَره يَقْبِره ويَقْبُره دفنه، لسان العرب: مادة (قبر) ٥/ ٦٨.

(٩) في بلاغات النساء: بداراً.

(١٠) التوبة / ٤٩.

(١١) في بلاغات النساء: وأنّى بكم، وفي دلائل الإمامة: وأين بكم.

أَظْهُرِكُم، أُمُورُهُ ظَاهِرَةٌ، وَأَحْكَامُهُ زَاهِرَةٌ وَأَعلامُهُ بَاهِرَةٌ، وَزَوَاجِرُهُ لايِحَةٌ، وَأَوامِرُهُ واضِحَةٌ، [و][1] قَدّ خَلَّفْتُمُوهُ وراءَ ظُهورِكُم، أَرَغْبَةً عَنْهُ تُريدُونَ؟ أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ؟ { بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً } [2]، وَمَنْ يتّبع { غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ } [3]، ثُمَّ لَمْ تَلبَثُوا إلا رَيْثَ[4] أَنْ تَسكُنَ نَفْرَتُهَا[5] وَيَسْلَسَ قِيادُهَا[6] ثُمَّ أَخَذْتُم تُورُونَ وَقْدَتَهَا[7]، وَتُهَيِّجُونَ جَمْرَتَهَا[8]، وَتَستَجِيبُونَ لِهُتَافِ[9] الشّيطانِ الغَوِيِّ، وَإِطفَاءِ أَنوارِ الدِّينِ الجَلِيِّ، وَإِهمَادِ[10] سُنَنِ النَّبِيِّ الصَّفِيِّ، تَشْرَبُونَ حَسواً فِي ارتِغاء[11]، وَتَمْشُونَ لأَهْلِهِ وَوُلدِهِ فِي الخَمَرَة والضَّرَاء[12]، وَنَصبِرُ مِنكُم على

(١) اختصّ بذكرها صاحب الاحتجاج.

(٢) الكهف / ٥٠.

(٣) مقتبس من سورة آل عمران / ٨٥.

(٤) الرَّيْثُ الإِبْطاءُ، لسان العرب: مادة (ريث) ٢/١٥٧، وهي لغة فاشية في الحجاز، يُقال: ما قعد فلان عندنا إلا ريث أن حدّثنا.. أي ما قعدَ إلا قَدر ذلك.

(٥) النَّفْرُ التَّفَرُّق، نَفَرَتِ الدابةُ تَنْفِرُ وتَنْفُر نفاراً ونُفُوراً، لسان العرب: مادة (نفر) ٥ / ٢٢٤.

(٦) شيء سَلِسٌ لَيِّنٌ سهل ولرجلٌ سَلِسٌ أَي لَيِّنٌ منقاد، لسان العرب: مادة (سلُس) ٦/١٠٦، والقَوْدُ نقيض السَّوْق يَقُودُ الدابَّة من أَمامِها ويَسُوقُها من خَلْفِها فالقَوْدُ من أَمام والسَّوْقُ من خَلْف قُدْتُ الفرس وغيره أَقُودهُ قَوْداً، لسان العرب: مادة (قود) ٣/٣٧٠.

(٧) الوَقْدُ نَفْسُ النَّارِ، والوَقُودُ الحطَب، لسان العرب: مادة (وقد) ٣ / ٤٦٥.

(٨) الجَمْرُ النار المتقدة واحدته جَمْرَةٌ، لسان العرب: مادة (جمر) ٤ / ١٤٤.

(٩) الهَتْفُ والهُتافُ الصوت الجافي العالي وقيل الصوت الشديد وقد هتَف به هُتافاً أَي صاح به، لسان العرب: مادة (هتف) ٩/ ٣٤٤.

(١٠) هَمَدَتِ النارُ تَهْمُدُ هُمُوداً طُفِئَتْ طُفُوءاً، لسان العرب: مادة (همد) ٣/٤٣٦.

(١١) ارْتَغَيْتُ شربْتُ الرُّغْوة، والارْتِغاء سَحْفُ الرَّغْوة واحْتِساؤها الكسائي هي رَغْوة اللبن ورُغْوتهُ ورِغْوته ورغاؤه ورِغايتهُ، لسان العرب: مادة (رغا) ١٤/ ٣٢٩.

(١٢) الخَمَرُ بالتحريك ما واراك من الشجر والجبال ونحوها يقال توارى الصيدُ عني في خَمَرِ ←

مِثلِ حَزِّ المُدى[١] وَوَخْزِ السِّنانِ فِي الحَشا[٢]، وَأَنْتُمُ الآنَ تَزْعُمُونَ[٣]: أَنْ لا إِرْثَ لَنَا، { أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ }[٤]؟! أَفَلا تَعْلَمونَ؟ بلَى، قَد تَجَلَّى لَكُم كالشّمْسِ الضَّاحِيَةِ[٥]: أنّي ابنَتُهُ[٦].

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ! أَأُغْلَبُ عَلَى إرثَيهْ[٧]؟! يا ابنَ أَبِي قُحَافَة! أَفِي كِتَابِ اللّهِ أنْ تَرِثَ أَبَاكَ وَلا أَرِثَ أَبِي؟ { لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا } [عَلَى اللهِ وَرَسُولِه][٨]!

الوادي، لسان العرب: مادة (خمر) ٥/ ٢٥٤؛ والضَّرَاءَ هو بالفتح وتخفيف الرَّاء والمدِّ الشجرُ المُلْتَفُّ، لسان العرب: مادة (ضرا) ١٤ / ٤٨٢.

(١) الحَزّ القَطْع وقيل الحَزُّ القطع من الشيء في غير إبانة، لسان العرب: مادة (حزز) ٥ /٣٣٤، ومدى هي جمع مُدْية وهي السكين والشَّفْرة، لسان العرب: مادة (مدى) ١٥ / ٢٧٢.

(٢) وَخَزَه بالرُّمْح والخَنْجَرِ يَخزُه وَخْزاً طعنه طعناً غير نافذ، لسان العرب: مادة (وخز) ٥ / ٤٢٨.

(٣) في بلاغات النساء: هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجُرْح لّما يندمل بدار، زعمتم خوف الفتنة ﴿ أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾، فهيهات منكم وأنّى بكم وأنّى تؤفكون، هذا كتاب الله بين أظهركم، وزواجره بيّنة، وشواهده لائحة، وأوامره واضحة، أرغبة عنه تدبرون، أم بغيره تحكمون ﴿ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾ ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ ﴾ ثُمّ لم تريثوا إلا ديث أن تسكن نغرها تشربون حسواً وتسرون في ارتغاء ونصبر منكم على مثل حزّ المُدى وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون.

(٤) المائدة / ٥٠.

(٥) ضاحياً أي ظاهراً بَيّناً، لسان العرب: مادة (ضحا) ١٤/ ٤٧٤.

(٦) في بلاغات النساء ودلائل الإمامة: حذف ما بعد الآية.

(٧) في رواية ابن أبي طاهر: (ويها معشر المهاجرين أأُبتزّ إرث أبي أفي الكتاب أن ترث أباك ولا أرث أبي لقد جئت شيئاً فرياً فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فَنِعْمَ الحكم الله والزعيم محمّد والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون، ولكلّ نبأ مُستقرٌ وسوف تعلمون).

(٨) انفرد بذكرها صاحب الاحتجاج، وفي دلائل الإمامة: جرأة منكم على قطيعة الرحم ونكث العهد.

أَفَعَلَى عَمدٍ تَركتُم كِتَابَ اللهِ وَنَبَذْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُم [(١)]؟ إذ يَقُولُ: { وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ } [(٢)]، وَقَالَ: فِيمَا اقْتَصَّ مِن خَبَرِ يَحْيَى بنِ زَكَريا عليه السلام إذْ قَالَ: { فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ } [(٣)]، وَقَالَ [أَيضاً] [(٤)]: { وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ } [(٥)]، وَقَالَ: { يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ } [(٦)]، وَقَالَ: { إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ } [(٧)]، وَزَعَمْتُم أن لا حِظْوَةَ [(٨)] لي ولا إرْثَ مِنْ أَبِي وَلا رَحِمَ بَيْنَنَا، أَفَخَصَّكُمُ اللّهُ بآيةٍ [مِنَ القُرآنِ] [(٩)] أَخْرَجَ أَبِي [مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم] [(١٠)] مِنْهَا [(١١)]؟ أَمْ هَل تَقُولُونَ: إنّ أَهْلَ المِلَّتَينِ لا يَتَوارَثَانِ؟ أَوَ لَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ؟! أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ القُرآنِ وَعُمُومِهِ مِن أَبِي وابنِ عَمِّي؟ فَدُونَكها [(١٢)]

(١) في دلائل الإمامة: فعلى عمد، ما تركتم كتاب الله بين أظهركم ونبذتموه.

(٢) النمل / ١٦.

(٣) مريم / ٥ - ٦.

(٤) اختص بها صاحب الاحتجاج.

(٥) الأنفال / ٧٥.

(٦) النساء / ١١.

(٧) البقرة / ١٨٠.

(٨) الحُظْوَة والحِظْوَة والحِظَة المَكانة والمَنزِلة، لسان العرب: مادة (حظا) ١٤/ ١٨٥، وورد في دلائل الإمامة: وزعمتم أن لا حَظَ لي ولا إرث من أبي.

(٩) اختص بذكرها من دون غيره صاحب الاحتجاج.

(١٠) ذكرها صاحب الاحتجاج من دون غيره.

(١١) في دلائل الإمامة: أفخصّكم الله بآية أخرج أبي منها ؟

(١٢) الضمير راجع إلى فدك المدلول عليها بالمقام، والأمر بأخذها للتهديد.

مَخْطُومَةً مَرحُولَةً [١] تَلقَاكَ يَومَ حَشرِكَ، فَنِعْمَ الحكَمُ اللّه، والزَّعيمُ مُحَمَّد صلى اللّه عليه وآله وسلم، وَالمَوعِدُ القِيَامَةُ، وَعِنْدَ السَّاعَةِ يَخْسَرُ المُبْطِلون، ولا يَنْفَعُكُم [مَا قُلتُم] [٢] إِذْ تَنْدمُونَ، و { لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ } ، { وسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ } [٣].

ثُمَّ رَمَتْ بِطَرْفِهَا[٤] نَحْوَ الأَنْصَارِ فَقَالَت [لهم][٥]: يَا مَعْشَرَ النَّقِيْبَة[٦] وَأَعْضَادَ المِلَّةِ وَحَضَنَةَ الإِسْلام، مَا هَذِهِ الغَمِيزَةُ [٧] فِي حَقِّي والسِّنَةُ [٨] عَنْ ظلامَتِي؟ أَمَا كَانَ رَسُولُ اللّهِ صلى اللّه عليه وآله وسلم أَبِي يَقُولُ: «المَرءُ

---

(١) الخِطامُ كلُّ ما وُضِع في أَنف البعير ليُقاد به والجمع خُطُمٌ، لسان العرب: مادة (خطم) ١٢/١٨٦.

(٢) ذكرها صاحب الاحتجاج من دون غيره.

(٣) الاقتباس من موضعين: أحدهما من سورة الأنعام / ٦٧، والآخر في سورة هود / ٣٩، وورد في دلائل الإمامة: وزعمتُم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي، أفخصّكم الله بآية أخرج أبي منها؟ أم تقولون أهل ملّتين لا يتوارثان؟ أو لستُ أنا وأبي من مِلَّةٍ واحدة؟ أم أنتُم بخصوص القرآن وعمومه أعلم ممّن جاء به؟ فدونكموها مرحولة مزمومة، تلقاكم يوم حشركم، فَنِعْمَ الحكم الله، وَنِعْمَ الخصيم محمّد، والموعد القيامة، وعمّا قيل تؤفكون، وعند الساعة ما تحسرون، ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ* فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾.

(٤) الطَّرْفُ طرْفُ العين والطرْفُ إطْباقُ الجَفْنِ على الجفْن، لسان العرب: مادة (طرف) ٩/ ٢١٣.

(٥) انفرد بإيرادها صاحب الاحتجاج.

(٦) المَعْشَرُ الجماعة، لسان العرب: مادة (عشر) ٤/ ٥٦٨؛ النَّقِيبةُ يُمْنُ الفِعْل، ورجل مَيْمونُ النَّقيبة مباركُ النَّفْسِ مُظَفَّرٌ بما يُحاوِلُ، لسان العرب: مادة (نقب) ١/ ٧٦٥، وفي البحار ورد: يا معشر الفتية.

(٧) الغَمِيزَةُ ضَعْفٌ في العملِ، وجَهْلَة في العقل، لسان العرب: مادة (غمز) ٥/ ٣٨٨.

(٨) السِّنَةُ: النُّعَاس من غير نوم، والهاء في السِّنَةِ عوض من الواو المحذوف، لسان العرب: مادة (وسن) ١٣/ ٤٤٩.

يُحْفَظُ فِـي وُلْدِهِ»؟ سُرْعَانَ مَـا أَحْدَثْتُم، وَعَجْلانَ ذَا إهالَـةٍ[١] وَلَكُم طَاقَـةٌ بِمَـا أُحَاوِلُ، وَقُوَّةٌ عَلَى مَا أَطْلُبُ وَأُزاوِل، أَتَقُولُونَ مَـاتَ مُحَمَّد صلى الله عليـه وآلـه وسـلم؟ فَخَطْـبٌ جَلِيـلٌ [٢]، اسْتَوْسَـعَ وَهْنُـهُ [٣] واسْـتَنْهَرَ فَتْقُـهُ[٤]، وَانْفَتَـقَ رَتْقُـهُ، وَأَظْلَمَتِ الأَرضُ لِغَيْبَتِه، وَكُسِفَتِ الشَّمْسُ والقَمَرُ، وانْتَثَرَت النُّجُـومُ لِمُصِيبَتِهِ، وَأَكْدَتِ [٥] الآمَـالُ، وَخَشِعَتِ الجِبَـالُ، وَأُضِيعَ الحَـرِيْمُ، وَأُزِيلَـتْ الحُرْمَـةُ عِنْـدَ مَمَاتِـهِ، فَتِلْـكَ واللهِ النَّازِلَـةُ الكُـبرَى، والمُـصِيبَةُ العُظْمَـى، لا مِثْلُهَـا نَازِلَـةٌ، ولا بَائِقَـةٌ[٦] عَاجِلَـةٌ، أَعْلَنَ بِهَـا كِتَـابُ اللهِ جَلَّ ثَنَـاؤُه، فِـي أَفْنِيَـتِكُم[٧]، فِـي مَمْسَاكُم وَمَصْبَحِكُم، [يَهْتِفُ فِي أَفْنِيَتِكُم][٨] هُتَافاً، وَصُرَاخاً، وتِلاوَةً وَأَلْحاناً، وَلَقَبْلَهُ مَا حَلَّ بِأَنْبِيَاءِ اللهِ وَرُسُلِه، حُكْمٌ فَصْلٌ وَقَضَاءٌ حَتْمٌ[٩]: { وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ

(١) سُرْعانَ وسِرْعانَ أَي سَرُعَ كلٌّ ذلك اسم للفعل، لسان العرب: مادة (وشك) ١٠/٥١٣.
(٢) الخَطْبُ الشَّأْنُ أَو الأَمْرُ صَغُر أَو عَظُم، لسان العرب: مادة (خطب) ١/ ٣٦٠.
(٣) وهنه: الشقّ والخرق.
(٤) اسْتَنْهَرَ الشيءُ أَي اتسع، لسان العرب: مادة (نهر) ٥/ ٢٣٦، والفَتْق خلاف الرَّتْق، لسان العرب: مادة (فتق) ١٠ / ٢٩٦.
(٥) أَكْدَى الرجلُ قلَّ خيره، لسان العرب: مادة (كدا) ١٥/ ٢١٦.
(٦) البائقةُ الداهية، لسان العرب: مادة (بوق) ١٠/ ٣٠.
(٧) الفِناء سَعةٌ أَمامَ الدار، والفَناء بالفتح نَقِيض البقاء، لسان العرب: مادة (فنى) ١٥/ ١٦٤.
(٨) اختصّ بذكرها صاحب الاحتجاج من دون غيره.
(٩) في بلاغات النساء: فقالت معشر البقية وأعضاد الملّة وحصون الإسلام، ما هذه الغميزة في حقّي والسنة عن ظُلامتي، أما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المرء يُحفظ في ولده، سرعان ما أجدبتم فأكديتم، وعجلان ذا إهانة تقولون مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخطب جليل، استوسع وهيه، واستنهر فتقه، وبعد وقته، وأظلمت الأرض لغيبته، واكتأبت خيرة الله لُمصيبته، وخشعت الجبال، وأكدت الآمال وأضيع الحريم وأذيلت الحرمة عند مماته صلى الله عليه وآله وسلم، وتلك نازل علينا بها كتاب الله في أفنيتكم في ممساكم ←

خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ } (١)، إِيْهاً(٢) بَنِي قَيْلَةَ(٣)، أَأُهْضَمُ(٤) تُرَاثَ أَبِي؟ وَأَنْتُمْ بِمَرأَىً مِنِّي وَمَسْمَعٍ؟ وَمُنْتَدَىً (٥) وَمَجْمَعٍ؟ تَلْبَسُكُمُ الدَّعْوَةُ، وَتَشْمَلُكُمُ الخَبْرَةَ(٦)، وَأَنْتُمْ ذَوُو العَدَدِ والعُدَّةِ، والأَدَاةِ والقُوَّةِ وَعِنْدَكُم السِّلاح والجُنَّةُ، تُوَافِيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلا تُجِيبُونَ، وَتَأْتِيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلا تُغِيثُونَ، وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالكِفَاحِ(٧)، مَعْرُوفُونَ بِالخَيْرِ والصَّلاحِ، والنُّخْبَةُ التي انتُخِبَتْ، والخِيَرَةُ الَّتي اخْتِيْرَتْ لَنَا أَهْلَ البَيْت(٨).

ومصبحكم يهتف بها في أسماعكم وقبله حلّت بأنبياء الله عزّ وجل ورسله، وفي دلائل الإمامة: ... أتقولون مات محمّد فخطب جليل، استوسع وهيه، واستهتر فتقه، وفقد راتقه، فأظلمت الأرض لغيبته، واكتأب خيرة الله لمُصيبته، وأكدت الآمال، وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأُزيلت الحرمة بموت محمّد، فتلك نازلة أعلن بها كتاب الله هتافاً هتافاً، ولقبل ما خلت به أنبياء الله ورسله.

(١) آل عمران / ١٤٤.

(٢) إِيهِ كلمة زجر بمعنى حَسْبُكَ وتنوَّن فيقال إِيهاً، لسان العرب: مادة (أيه) ١٣/٤٧٣.

(٣) بنو قيلة: الأوس والخزرج، قبيلتا الأنصار، و(قيلة): اسم أمّ لهم قديمة وهي قيلة بنت كاهل.

(٤) هَضَمَه يَهْضِمُه هَضْماً واهْتَضَمه وتَهَضَّمَه ظَلمه وغصَبه وقهرَه، لسان العرب: مادة (هضم) ١٢/ ٦١٣.

(٥) النَّديُّ أَي القومُ المُجْتَمِعُون، لسان العرب: مادة (ندى) ١٥/ ٣١٣.

(٦) الدّعوة: نداء المظلوم للنُصرة، الخِبْرُ والخُبْرُ والخِبْرَةُ والخُبْرَةُ والمَخْبَرَةُ والمَخْبُرَةُ كله العِلْمُ بالشيء، لسان العرب: مادة (خبر) ٤ /٢٢٦.

(٧) المُكافَحَةُ المضاربة والمدافعة تلقاء الوجه، وكافَحُوهم إِذا استقبلوهم في الحرب بوجوههم ليس دونها تُرْسٌ ولا غيره، لسان العرب: مادة (كفح) ٢/٥٧٣.

(٨) في بلاغات النساء: إيهاً بني قيلة أأُهضم تُراث أبيه وأنتم بمرأى منه ومسمع، تلبسكم الدعوة وتُشمّلكم الحيرة، وفيكم العدد والعِدّة، ولكم الدار، وعندكم الجنن وأنتم الأُلى نخبة الله التي

قَـاتَلْتُمُ العَـرَبَ، وَتَحَمَّلْـتُمُ الكَـدَّ والتَّعَـبَ، وَنَـاطَحْتُمُ [(١)] الأُمَـمَ، وكَـافَحْتُمُ الـبُهَمَ، لا نَبْـرَحُ أَوْ تَبْرَحُـونَ [(٢)]، نَـأْمُرُكُمْ فتَتَـأتَمِرُونَ، حَتَّـى إذا دَارَت بِنَـا رَحَـى الإسـلام، وَدَرَّ حَلَبُ الأَيَّـام، وَخَضَعَتْ ثَغْـرَةُ [(٣)] الـشِّرْكِ، وَسَـكَنَتْ فَـوْرَةُ الإفْـكِ، وَخَمَـدَتْ [(٤)] نِيْـرَانُ الكُفْـرِ، وَهَـدأَتْ [(٥)] دَعْـوَةُ الهَـرْجِ [وَالمَـرْجِ] [(٦)]، واسْـتَوْسَـقَ [(٧)] نِظَامُ الدِّينِ.

فَـأَنّى حِـرتُم [(٨)] بَعْـدَ البَيـانِ؟ وَأَسْـرَرْتُم بَعْـدَ الإعْـلانِ؟ وَنَكَـصْتم [(٩)] بَعْـدَ الإقْدامِ؟ وَأَشْـرَكْتُمْ بَعْـدَ الإِيْمَـانِ؟ بُؤسَـاً لِقَـومٍ نَكَثُوا إيمـانَهُمْ مِنْ بَعْـدِ عَهْـدِهِمْ، وَهَمُّـوا بـإِخْراج الرَّسـول، وَهُـم بَـدأوكم أوَّلَ مَـرَّة { أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن

←

انتخب لدينه وأنصار رسوله وأهـل الإسـلام والخيرة الـتي اختـار لنـا أهـل البيـت؛ وفي دلائـل الإمامة: أبني قيلة أأُهضَم تراث أبي وأنتم بمرأى ومسمع، تلبسكم الـدعوة، ويشملكم الجـبن، وفيكم العدّة والعدد، ولكم الدار والخيرة، وأنتم أنجبته التي امتحن ونحلتـه الـتي انتَحـل، وخيرتـه التي انتخب لنا أهل البيت.

(١) نَطَحَهُ نَطْحَاً: أصابه بقرنه، والمعنى هنا: حاربتم الخصوم ودافعتموها بجدّ واهتمـام كمـا يُـدافع الكبش قرنه بقرنه.

(٢) بَرِحَ بَرَحاً وبُرُوحاً زال، لسان العرب: مادة (برح) ٢/ ٤٠٨.

(٣) الثغر الموضع الذي يكون حدّاً فاصـلاً بـين بـلاد المسلمين والكفـار وهـو موضـع المخافـة مـن أَطراف البلاد، الثُّغْرَةُ نُقْرَةَ النَّحْرِ، لسان العرب: مادة (ثغر) ٤/ ١٠٣.

(٤) خَمَدَت النار تَخْمُد خُموداً سكن لهبها ولم يُطْفأْ جمرها، لسان العرب: مـادة (خمـد) ٣ / ١٦٥، وفي بلاغات النساء وردت: وباخت نيران الحرب.

(٥) هَدَأَ يَهْدَأُ هَدْءاً وهُدُوءاً سَكَن، لسان العرب: مادة (هدأ) ١/ ١٨٠.

(٦) اختص بذكرها صاحب الاحتجاج.

(٧) الوَسْق ضم الشيء إلى الشيء، لسان العرب: مادة (وسق) ١٠/ ٣٧٨.

(٨) حارَ يَحَارُ حَيْرَةً وحَيْراً أَي تَحَيَّرَ في أَمره، لسان العرب: مادة (حير) ٤/ ٢٢٢.

(٩) النُّكُوص الرجوعُ إِلى وراء، لسان العرب: مادة (نكص) ٧/١٠١.

تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [١].

أَلا وَقَد أَرَى أنْ قَد أَخْلَدتُمْ[٢] إلى الخَفْضِ[٣] وأَبْعَدتُمْ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بالبَسْطِ والقَبْضِ[٤]، وَخَلَوتُم بالدَّعَةِ[٥] وَنَجَوتُم بالضِّيقِ مِنّ السَّعَةِ، فَمَجَجْتُمْ[٦] مَا وَعَيْتُم، وَدَسَعْتُمْ[٧] الَّذي تَسَوَّغْتُم[٨] فـ ﴿ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [٩].

ألا وَقَدْ قُلْتُ مَا قُلْتُ هَذَا عَلَى مَعْرِفَةٍ مِنِّي بِالخَذْلَةِ الَّتي خَامَرَتْكُم[١٠]، والغَدْرَةِ[١١] الَّتي اسْتَشْعَرَتْهَا[١٢] قُلُوبُكُمْ، وَلَكِنَّهَا فَيْضَةُ النَّفْسِ[١٣]،

(١) التوبة / ١٣.

(٢) أَخلد إليها أَي ركن إليها، لسان العرب: مادة (خلد) ٣/ ١٦٤.

(٣) الخَفْضُ والخفيضةُ جميعاً لين العيش وسعته، لسان العرب: مادة (خفض) ١٤٥/٧.

(٤) ذكر العلامة المجلسي في بحار الأنوار: أنّ المراد بمن هو أحق بالبسط والقبض هو أمير المؤمنين عليه السلام.

(٥) الدَّعةُ الخَفْضُ في العَيْشِ والراحةُ والهاء عِوَضٌ من الواو، لسان العرب: مادة (ودع) ٨/ ٣٨٠.

(٦) مَجَّ الشرابَ والشيءَ مِن فيه يَمُجُّه مَجّاً ومَجَّ به رَماه، لسان العرب: مادة (مجج) ٢/ ٣٦١.

(٧) الدّسع: الدفع.

(٨) ساغَ الشرابُ في الحَلْقِ يَسُوغُ سَوْغاً وسَواغاً سَهُلَ مَدْخَلهُ في الحلقِ، لسان العرب: مادة (سوغ) ٨ / ٤٣٥.

(٩) إبراهيم / ٨.

(١٠) خامَرَ الشيءَ قاربه وخالطه، لسان العرب: مادة (خمر) ٤/ ٢٥٤.

(١١) الغَدْرُ ضدُّ الوفاء بالعهد، لسان العرب: مادة (غدر) ٥ / ٨.

(١٢) اسْتَشْعَرَ الثوبَ لبسه، الشِّعارُ ما استشعرتْ به من الثياب، لسان العرب: مادة (شعر) ٤/ ٤١٠.

(١٣) فاض الماء والدَّمعُ ونحوهما يَفِيض فَيْضاً وفُيُوضةً وفُيُوضاً وفَيَضاناً وفَيْضُوضةً أَي كثر، لسان العرب: مادة (فيض) ٢١٠/٧؛ وفاض الخبر: إذا شاع وكثر، وفاضت نفسه: خرجت روحه، ←

وَنَفْثَـةُ[١] الغَـيْظِ، وَخَـوَرُ[٢] القَنَـاةِ[٣]، وَبَثَّـةُ الـصَّدرِ[٤]، وَتَقْدِمَـةُ الحُجَّـةِ[٥]، فَدُونَكُمُوهَا فَاحْتَقِبُوهَا دَبِرَةَ[٦] الظَّهْرِ، نَقِبَةَ الخُفِّ[٧]، بَاقِيَةَ العَارِ، مَوْسُومَةً بِغَضَبِ اللهِ وَشَنَارِ[٨] الأَبَدِ، مَوْصُولَةً بـ: { نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ }[٩] فَبِعَيْنِ اللهِ مَا تَفْعَلُونَ[١٠]، { وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ

والمراد هنا إظهار المضمر في النفس لاستيلاء الهم وغلبة الحزن.

(١) النفثُ شبيه بالنفخ، لسان العرب: مادة (نفث) ٢/١٩٥.

(٢) الخَوَرُ بالتحريك الضعف، لسان العرب: مادة (خور) ٤/ ٢٦١.

(٣) القناة: الرمح.

(٤) البَثُّ الحُزْنُ والغَمُّ الذي تُفْضِي به إِلى صاحبك، لسان العرب: مادة (بثث) ٢/ ١١٤.

(٥) تَقْدمة الحجة: إعلام الرجل قبل وقت الحاجة قطعاً لاعتذاره بالغفلة.

(٦) احتَقَبَ خَيْراً أَو شَرًّا واسْتَحْقَبه ادَّخَره على المَثَل لأَنّ الإِنسان حامِلٌ لعَمَلِه ومُدَّخِرٌ له، لسان العرب: مادة (حقب) ١/ ٣٢٤، واحتقب فلان الإِثْمَ: كأنّه جمعه واحتقبه من خلفه، والدَّبَرَةُ بالتحريك قَرْحَةُ الدابة والبعير، والدبر بالتحريك الجرح الذي يكون في ظهر الدابة، لسان العرب: مادة (دبر) ٤/ ٢٦٨.

(٧) النَّقْبُ الثَّقْبُ في أَيِّ شيءٍ كان، ونَقِبَ البعيرُ بالكسر إِذا رَقَّتْ أَخْفافُه، لسان العرب: مادة (نقب) ١/ ٧٦٥.

(٨) الشَّنار العيب والعارُ، لسان العرب: مادة (شنار) ٤/ ٤٣٠.

(٩) الهمزة / ٦ - ٧.

(١٠) في بلاغات النساء:... فباديتم العرب وناهضتم الأُمم وكافحتم البُهم لا نبرح نأمركم وتأمرون، حتّى دارت بنا رحا الإسلام ودرّ حلب الأنام، وخضعت نعرة الشرك، وباخت نيران الحرب، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدّين، فأنّى حِرتم بعد البيان ونكصتُم بعد الإقدام وأسررتُم بعد الإعلان لقوم نكثوا إيمانهم، أتخشوهم فالله أحقّ أن تخشوه إن كنتم مؤمنين، ألا قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض وركنتم إلى الدّعة فعجتم عن الدين، ومججتم الذي وعيتم، ودسعتم الذي سوّغتم، فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإنّ الله لغنيّ حميد، ألا وقد قلت الذي قلته على معرفة منّي بالخذلان الذي خامر صدوركم، واستشعرته

يَنقَلِبُونَ } [١]، وَأَنَا ابْنَةُ نَذِيرٍ لَكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَاعْمَلُوا إِنّا عامِلُونَ و { انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ } [٢].

فَقَالَت عليها السلام: سُبْحَانَ اللّهِ، مَا كَانَ أَبِي رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَنْ كِتَابِ اللّهِ صَادِفاً[٣]، وَلا لأحكَامِهِ مُخَالِفاً! بَل كانَ يَتْبَعُ أثَرَهُ، وَيَقْتَفِي سُوَرَهُ[٤]، أَفَتَجْمَعُونَ إلى الغَدْرِ اعتِلالاً عَلَيْهِ بِالزُّورِ وَالبُهْتَانِ، وَهَذَا بَعْدَ وَفَاتِهِ شَبِيهٌ بِمَا بُغِيَ[٥] لَهُ مِنَ الغَوائِلِ[٦] فِي حَيَاتِهِ، هَذَا كِتَابُ اللّهِ حَكَمَاً عَدْلاً، وَنَاطِقَاً فَصْلاً يَقُولُ: { يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ } [٧]، [وَيَقُولُ][٨]: { وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ } [٩]، فَبَيَّنَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا وَزَّعَ مِنَ الأَقْسَاطِ، وَشَرَّعَ مِنَ الفَرَائِضِ وَالمِيْرَاثِ، وَأَبَاحَ مِنْ حَظِّ الذُّكْرَانِ والإناثِ، مَا أَزَاحَ[١٠] بِهِ

قلوبكم، ولكن قلته فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وبثّة الصدر، ومعذرة الحُجَّة، فدونكموها فاحتقبوها مُدبرة الظهر، ناكبة الحقّ، باقية العار، موسومة بشنَار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة التي تطّلع على الأفئدة فبعين الله ما تفعلون.

(١) الشعراء / ٢٢٧.

(٢) اقتباس من سورة هود / ١٢١ - ١٢٢.

(٣) الصُّدُوفُ المَيْلُ عن الشيء، وصَدَفَ عني أي أَعْرَضَ، لسان العرب: مادة (صدف) ٩/ ١٨٧.

(٤) قَفَوْت فلاناً اتبعت أَثره، لسان العرب: مادة (قفا) ١٥/ ١٩٢، وكلٌّ مرتفع سُورٌ وفي رواية سُورَةَ الرأْس ومنه سُورُ المدينة، لسان العرب: مادة (سور) ٤ / ٣٨٤.

(٥) البَغِيَّةُ الطَّلِبَةُ، لسان العرب: مادة (بغا) ١٤ / ٧٥.

(٦) الغَوائل الدواهي، وغائلة أَي أَمراً منكَراً داهياً، لسان العرب: مادة غول ١١/ ٥٠٧.

(٧) مريم / ٦.

(٨) اختص بإيرادها صاحب الاحتجاج.

(٩) النمل / ١٦.

(١٠) زَحْزَحه فتزَحْزح

عِلَّةَ المُبْطِلِينَ، وَأَزَالَ التَّظَنِّي[١] وَالشُّبُهاتِ فِي الغَابِرِينَ[٢]، كَلا[٣] { بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ } [٤].

فالتفتت السيدة فاطمة عليها السلام إلى النّاس وقالت: مَعَاشِرَ المُسلِمِينَ المُسرِعَة إلى قِيلِ البَاطِلِ[٥]، المُغْضِيَةَ[٦] عَلَى الفِعْلِ [القَبِيحِ][٧]

---

(١) التظنّي: إِعمال الظَّنِّ وأَصله التَّظَنُّنُ، لسان العرب: مادة (ظنن) ١٣/ ٢٧٢.

(٢) الغابر: الباقي وقد يُطلق على الماضي.

(٣) في بلاغات النساء:... قالت إنّ الله يقول عن نبي من أنبيائه يرثني ويرث من آل يعقوب، وقال: وورث سليمان داود، فهذان نبيّان، وقد علمت أنّ النبوّة لا تُورَث وإنّما يُورث ما دونها، فمالي أُمنع إرث أبي، أأنزل الله في الكتاب إلا فاطمة بنت محمّد فتدُلّني عليه فأقنع به، وفي دلائل الإمامة:... فقالت فاطمة يا سبحان الله ما كان رسول الله مخالفاً، ولا عن حُكمه صادفاً، فلقد كان يلتقط أثره، ويقتفي سيره، أفتجمعون إلى الظلامة الشنعاء، والغلبة الدهياء، اعتلالاً بالكذب على رسول الله وإضافة الحيف إليه، ولا عجب إن كان ذلك منكم، وفي حياته ما بغيتم له الغوائل وترقّبتم به الدوائر، هذا كتاب الله حكم عدل، وقائل فصل، عن بعض أنبيائه إذ قال: يرثُني ويرث من آل يعقوب، وفصل في بريته الميراث ممّا فرض من حظ الذكور والإناث، فلم سوّلت لكم أنفسكم أمراً ؟فصبرٌ جميلٌ والله المستعان على ما تصفون، وقد زعمت أنّ النُبوّة لا تُورث وإنّما يُورث ما دونها؛ فمالي أُمنع إرث أبي؟ أأنزل الله في كتابه: إلا فاطمة بنت محمّد؟ فدُلّني عليه أقنع به.

(٤) يوسف / ١٨.

(٥) القَوْل في الخير والشر والقال والقِيل في الشرِّ خاصة، لسان العرب: مادة (قول) ١١/٥٧٢.

(٦) غَضَوْت على الشيءِ وعلى القَذى وأَغْضيْت سَكَتّ، الإِغْضاءُ إِدْناءُ الجُفُونِ وغَضى الرجلُ وأَغْضى أَطْبَقَ جفْنَيْهِ على حَدَقَتِه وأَغْضى عَيْناً على قَذىً صَبَر على أَذىً، لسان العرب: مادة (غضا) ١٥/ ١٢٨.

(٧) اختص بإيرادها صاحب الاحتجاج.

الخَاسِرِ، ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[١]؟ كَلا بَلْ رَانَ[٢] عَلَى قُلُوبِكُم مَا أَسَأْتُم مِنْ أَعْمَالِكُم، فَأَخَذَ بِسَمْعِكُم وَأَبْصَارِكُم، وَلَبِئْسَ مَا تَأَوَّلْتُم[٣]، وَسَاءَ مَا بِهِ أَشَرْتُم[٤]، وَشَرَّ[٥] مَا مِنْهُ اغتَصَبْتُم[٦]! لَتَجِدُنَّ وَاللّٰهِ مَحْمَلَهُ ثَقِيْلاً، وَغِبَّهُ[٧] وَبِيلاً[٨]، إِذَا كُشِفَ لَكُمُ الغِطَاءِ، وَبَانَ مَا وَرَاءَهُ [مِنَ البَأْسَاءِ و][٩] الضَّرَّاءِ[١٠]، وبدا لكم من ربِّكم ما لم تكونوا تحتسبون[١١]، و ﴿خَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾[١٢].

---

(١) محمّد / ٢٤.

(٢) الرَّيْنُ الطَّبَعُ والدَّنَسُ، بل رَانَ على قلوبهم ما كانوا يكسبون أي غَلَبَ وطَبَعَ وخَتَم، لسان العرب: مادة (رين) ١٩٢/١٣.

(٣) التأْويل المَرجع والمَصير مأْخوذ من آل يؤول إِلى كذا أَي صار إِليه، التأْويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأَصلي، لسان العرب: مادة (أول) ١١/ ٣٢.

(٤) شاوَرَه مُشاوَرَة وشِوَاراً واسْتَشاره طَلَب منه المَشُورَة، لسان العرب: مادة (شور) ٤ / ٤٣٤.

(٥) الشَّرُّ السُّوء، وشَرَّ يَشِرُّ وقوم أَشْرَارٌ ضد الأَخيار، لسان العرب: ، مادة (شرر) ٤/٤٠٠.

(٦) في بحار الأنوار: (اعتضتم)، وتَعَوَّضَ منه واعْتَاضَ أَخذ العِوَضَ، لسان العرب: مادة (عوض) ٧/ ١٩٢.

(٧) غِبُّ الأَمْرِ ومَغَبَّتُه عاقبتُه وآخِرُه، لسان العرب: مادة (غبب) ٦٣٤/١.

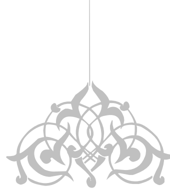
(٨) الوَبالُ في الأَصل الثِّقَل والمكروه ويريد به العذاب في الآخرة، لسان العرب: مادة (وبل) ١١/ ٧١٨.

(٩) أوردها صاحب الاحتجاج دون غيره.

(١٠) الضَّرَاءَ هو بالفتح وتخفيف الرَّاء والمدِّ الشجرُ المُلْتَفُّ، لسان العرب: مادة (ضرا) ١٤/ ٤٨٢.

(١١) الزمر / ٤٧.

(١٢) غافر / ٧٨.



خُطْبَة السيدة فاطِمَة الزهراء عليها السلام فِي نِساء المُهاجِرينَ وَالأَنْصار

عن سويدِ بنِ غفلةَ روي أَنَّهُ لَمَّا مَرِضَت السيدة فاطمةُ عليها السلام المرضةَ التي تُوُفِّيَتْ فِيْهَا، اجْتَمَعَتْ إِليْهَا نِسَاءُ المُهاجِرِينَ وَالأَنْصَار لِيَعُدْنَها، فقُلْنَ لَهَا: كيف أصبحت مِنْ عِلَّتكِ يا ابنةَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فَحَمَدَتِ الله وَصَلَّتْ عَلَى أَبِيْها صلى الله عليه وآله وسلم ثُمّ قالَت[1]:

أَصْبَحْتُ واللّهِ عائِفةً[2] لدُنياكُنَّ[3]، قَالِيَةً[4] لِرِجَالِكُنَّ[5]، لَفَظْتُهُمْ[6] بَعْدَ

(١) بلاغات النّساء: ص ١٩ - ٢٠؛ دلائل الإمامة: ص ٤٠ - ٤١؛ معاني الأخبار: ص ٣٥٤ - ٣٥٥؛ نثرُ الدُرّ في المحاضرات: ص ٨ - ٩؛ الأمالي للطوسي (ت٤٦٠هـ): ص٢٣٨؛ منال الطالب في شرح طوال الغرائب: ص٥٢٨ - ٥٢٩؛ الاحتجاج: ١ / ٢٨٦ - ٢٩٢؛ شرح نهج البلاغة: ١٦ / ٢٣٣؛ كشف الغمّة: ٢ / ١١٤.

(٢) عائفة: أي كارهة، عافَ الشيءَ يَعافه عَيْفاً وعِيافةً وعِيافاً وعَيَفاناً كَرِهه فلم يَشْربه، لسان العرب: مادة (عيف) ٩ /٢٦٠.

(٣) في بلاغات النساء ونثرُ الدُرّ: لدنياكم؛ وفي دلائل الإمامة: عايفة لدنياكنّ.

(٤) القالية: المُبغضة، والقِلَى البغض، لسان العرب: مادة (قلى) ١٥ / ١٩٨.

(٥) في بلاغات النساء ونثرُ الدُرّ: لرجالكم.

(٦) لفظتهم: رميت بهم، واللفظ أن ترمي بشيء كان في فِيكَ والفعل لَفَظ الشيءَ يقال لَفَظْتُ الشيء من فمي أَلفِظُه لَفْظاً رميته، مادة (لفظ) لسان العرب: ٧ /٤٦١.

أَنْ عَجَمْتُهُمْ[١]، وَشَنَأْتُهُمْ[٢] بَعْدَ أَنْ سَبَرْتُهُمْ[٣]، فَقُبحاً لِفُلُولِ[٤] الحدِّ [واللَّعبِ بَعْدَ الجِدّ، وَقَرْعِ الصفاة[٥]][٦]، وَصَدْعِ[٧] القناة[٨]، وَخَتَلِ الآراء[٩]، وَزَلَلِ الأهواء[١٠]، وَبِئْسَ ما قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي العَذَابِ هُم خَالِدُون[١١]، لا جَرَمَ[١٢] لَقَدْ قَلَّدْتُهُمْ رِبْقَتَها[١٣]، وَحَمَّلْتُهُمْ أَوْقَتَها[١٤]،

---

(١) العَجم: العَض والمَضْغ، وفي لسان العرب عجمت: خبرت، وَعَجَمَ عودَه: عضَّ العود يخبر صلابته؛ جرّب أمره، وخبر حاله.

(٢) الشَّناءة مثل الشَّناعةِ البُغْضُ شَنِئَ الشيء، لسان العرب: مادة (شنأ) ١ /١٠١.

(٣) السَّبْرُ التَّجْرِبَةُ وسَبَر الشيءَ سَبْراً حَزَره وخَبَرهُ واسْبُرْ لي ما عنده أَي اعْلَمْه والسَّبْر اسْتِخْراجُ كُنْه الأَمر، وسبرهم: أي اختبرهم، لسان العرب: مادة (سبر) ٤ /٣٤٠.

(٤) الفَلُّ الثَّلْم في السيف، لسان العرب: مادة (فلل)١١ /٥٣٠.

(٥) الصَّفاةُ الحَجر الصَّلْدُ الضُّخْمُ الذي لا يُنبِتُ شيئاً، لسان العرب: مادة (صفا) ١٤ /٤٦٢.

(٦) هذه العبارة انفرد بها صاحب الاحتجاج، ولم تُذكر في بلاغات النساء ودلائل الإمامة ونثرُ الدُرّ.

(٧)الصَّدْعُ الشَّقُّ في الشيءِ الصُّلْبِ كالزُّجاجةِ والحائِط، لسان العرب: مادة (صدع) ٨ /١٩٤.

(٨) القناة: الرمح.

(٩) ختل الآراء زيفها وخدعها، والخَتْل أَي الخِدَاع، لسان العرب: مادة (ختل) ١١ / ١٩٩، وورد في بلاغات النساء ودلائل الإمامة: (خطل الرأي)، ومعنى الخطل: المنطق الفاسد المُضطرب، وخطل الرأي: فساده واضطرابه.

(١٠) في بلاغات النساء ودلائل الإمامة: حُذِفت.

(١١) في بلاغات النساء: وبئسما قدّمت لهم...، أمّا في دلائل الإمامة فقد ذكرت نصّ الآية (٨٠) من سورة المائدة ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

(١٢) في دلائل الإمامة: لا جَرَمَ والله، وكلمة (لا جَرَمَ) تورد لتحقيق الشيء.

(١٣) الرِّبْقُ الخَيْط الواحدة رِبْقة، لسان العرب: مادة (ربق) ١٠ /١١٢.

(١٤) الأَوْقُ الثِّقَلُ وأَلقى عليه أَوْقَه أَي ثِقلَه، لسان العرب: مادة (أوق) ١٠ /١٢.

وَشَنَنْتَ[١] عَلَيْهِم غاراتها، فَجَدْعاً[٢] وَعقْراً[٣]، وَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِين.

وَيْحَهُمْ أَنَّى زَعْزَعُوهَا[٤] عَنْ رَوَاسِي الرِّسالة، وَقَوَاعِدِ النُّبوَّةِ والدَلالَة[٥]، وَمَهْبِطِ الرُوح الأَمِين[٦]، والطَّبين[٧] بأُمورِ الدُّنيا والدِّين؟! { أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ }[٨]. وَمَا الّذي نَقِمُوا مِنْ أَبِي الحَسَنِ عليه السلام؟! نَقِمُوا[٩] واللهِ مِنْهُ نكيرَ سَيْفِهِ، [وَقِلَّةَ مُبَالاتِهِ لحتفِهِ][١٠]، وَشِدَّةَ وَطْأَتِه[١١]، وَنَكَالَ[١٢]

(١) وشَنَّ عليهم الغارةَ يَشُنُّها شَنّاً وأَشَنَّ صَبَّها وبَثَّها وفَرَّقها من كل وجه، لسان العرب: مادة (شنن) ١٣ /٢٤١، ومعنى شننت عليهم غاراتها: أعلنت عليهم الحرب، و(الغار): الجيش الكثير.

(٢) الجَدْعُ القَطْعُ وقيل هو القطع البائن في الأَنف والأُذن والشَّفَةِ واليد ونحوها، لسان العرب: مادة (جدع) ٨ /٤١.

(٣) عَقَرَه أَي جَرَحَه والعَقْرُ شَبِيهٌ بالحَزِّ وعَقَر الفرسَ والبعيرَ بالسيف عَقْراً قطع قوائمه، لسان العرب: مادة (عقر) ٤ /٥٩١.

(٤) الزَّعْزَعة تحريك الشيء زَعْزَعَه زَعْزَةً فَتَزَعْزَعَ حرَّكَه لِيَقْلَعَه، لسان العرب: مادة (زعع) ٨ /١٤١، وورد في بلاغات النساء ودلائل الإمامة: أنّى زحزحوها...

(٥) حُذفت من: بلاغات النساء ودلائل الإمامة.

(٦) في دلائل الإمامة: ومهبط الروح الأمين، بالوحي المُبين.

(٧) الطَّبَنُ بالتحريك الفِطْنَة ورجل طَبِنٌ فَطِنٌ حاذِقٌ عالم بكل شيء، لسان العرب: مادة (طبن) ١٣ /٢٦٣.

(٨) الزمر / ١٥.

(٩) النَّقِمةُ والنَّقْمةُ المكافأَة بالعقوبة، نَقَمْتُ على الرجل أَنقِمُ بالكسر فأَنا ناقِمٌ إذا عَتَبْت عليه، لسان العرب: مادة (نقم) ١٢ /٥٩٠.

(١٠) في بلاغات النساء ودلائل الإمامة: بحذفها.

(١١) الوَطْأَةُ الأَخْذَة الشَّديدةُ، لسان العرب: مادة (وطأ) ١ / ١٩٥.

(١٢) النَّكَالُ العُقُوبة، لسان العرب: مادة (كتل) ١ / ٥٨٣.

وَقْعَتِهِ(١)، وَتَنَمُّرُهُ(٢) فِي ذَاتِ اللهِ. وتاللهِ لَوْ مَالُوا عَنِ المَحَجَّةِ اللايِحَةِ، وَزَالُوا عَنْ قَبُولِ الحُجَّةِ الواضِحَةِ، لَرَدَّهُم إِلَيْهَا، وَحَمَلَهُم عَلَيْهَا، وَلَسَارَ بِهِمْ سَيْراً سُجُحاً(٣)، لا يَكْلَمُ(٤) خِشَاشُه(٥)، ولا يَكِلُّ(٦) سَائِرُه، ولا يَمَلُّ راكِبُهُ(٧)، ولأورَدَهُم مَنْهَلاً(٨) نَمِيراً(٩) صافياً رويّاً، تطفحُ(١٠) ضِفّتاه(١١)، وَلا يترَنَّقُ(١٢) جانباه، وَلأَصْدَرَهُمْ بِطاناً(١٣)، وَنَصَحَ لَهُم سِرّاً وإعْلاناً، وَلَمْ يَكُنْ يَتَحَلَّى مِنَ الغِنى بِطَائِلٍ(١٤)، وَلا يَحْظَى مِنَ الدُّنيا بِنائِلٍ(١٥)، غَيْرَ رَيِّ النَّاهِلِ(١٦)، وَشِبْعَةِ

(١) الوَقْعَةُ والواقِعةُ صَدْمَةُ الحرب، لسان العرب: مادة (وقع) ٨ / ٤٠٢.

(٢) تَنَمَّرَ له أَي تَنَكَّر وتَغَيَّرَ وأَوعَدَه لأَن النَّمِرَ لا تلقاه أَبداً إِلا مُتَنَكِّراً غضْبانَ والنِّمْرُ ضربٌ من السباع أَخْبَثُ من الأَسد، لسان العرب: مادة (نمر) ٥ / ٢٣٤.

(٣) السجح: اللَّيِّن السهل، لسان العرب: مادة (سجح) ٢ / ٤٧٥.

(٤) الكَلْمُ الجُرْح، لسان العرب: مادة (كلم) ١٢ / ٥٢٢.

(٥) الخشاشُ والخشاشةُ العودُ الذي يجعل في أَنف البعير، لسان العرب: ٦مادة (خشش) / ٢٩٥.

(٦) كَلَّ يَكِلُّ كَلاًّ وكَلالاً وكَلالة الأَخيرة عن اللحياني أَعْيا، لسان العرب: مادة (كلل)١١ /٥٩٠.

(٧) في بلاغات النساء ودلائل الإمامة: ولا يُتعتع راكبه، ومعنى التعْتَعةُ: الحركة العَنِيفة وقد تَعْتَعه إِذا عَتَلَه وأَقْلَقه، لسان العرب:٨ /٣٥.

(٨) المَنْهَل الموضع الذي فيه المشرَب والمَنْهَل الشُّرْب، لسان العرب: مادة (نهل) ١١ /٦٨٠.

(٩) النَّمِرُ والنَّميرُ كلاهما الماء الزَّاكي في الماشية، لسان العرب: مادة (نمر) ٥ / ٢٣٤.

(١٠) طَفَحَ الإِناءُ والنهر يَطْفَحُ طَفْحاً وطُفُوحاً امْتَلأَ وارتفع حتى يفيض، لسان العرب: مادة (طفح) ٢ / ٥٣٠.

(١١) الضِّفَّةُ بالكسر جانب النهر، لسان العرب: مادة (ضفف)٩ / ٢٠٦.

(١٢) الرَّنْق تراب في الماء من القَذى ونحوه ورَنِقَ الماء وتَرَنَّقَ كَدِرَ، لسان العرب: مادة (رنق)١٠/ ١٢٦.

(١٣) بَطِن بالكسر يَبْطَن بَطَناً عَظُم بَطْنُه من الشِّبَع، لسان العرب: مادة (بطن) ١٣ / ٥٢.

(١٤) الطائل النفع والفائدة، لسان العرب: مادة (طول)١١ / ٤١٠.

(١٥) أَنالَهُ معروفه ونَوَّلَه: أَعطاه معروفه، لسان العرب: مادة (نول) ١١ / ٦٨٣.

(١٦) الري: من رَوِيَ من الماء بالكسر ومن اللَّبَن يَرْوَى رَيّاً، والرَّيَّانُ ضدّ العَطْشان، لسان ←

الكَافِلِ[١]، وَلَبَانَ لَهُمْ الزَّاهِدُ مِنَ الراغِب، والصادِقُ مِنَ الكَاذِب، { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }[٢]، { وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلاَءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ }[٣].

أَلا هَلُمَّ[٤] فاسْتَمع[٥]! وما عِشْتَ أَرَاكَ الدَّهرُ عَجَباً!! وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ[٦]! لَيْتَ شِعْرِي إلى أيِّ سِنادٍ[٧] استندُوا؟! وإلى أيِّ عِمادٍ اعتمَدُوا؟! وبأيّةِ[٨] عُرْوَةٍ تَمَسَّكُوا؟! وَعَلَى أيَّة ذُرِيّةٍ أَقْدَمُوا واحْتَنَكُوا[٩]؟! { لَبِئْسَ الْمَوْلَى

العرب: مادة (روي) ١٤ / ٣٤٥.

(١) الكافِل العائِل، والكافِل القائم بأمر اليتيم المربِّي له، لسان العرب: ١١مادة (كفل) / ٥٨٨.

(٢) الأعراف / ٩٦.

(٣) الزمر / ٥١.

(٤) في بلاغات النساء: ... وما الذي نقموا من أبي الحسن نقموا والله منه نكير سيفه وشدّة وطأته ونكال وقعته وتنمُّره في ذات الله ويالله لو تكافئوا على زمام نبذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسار بهم سيراً سُجُحَاً لا يكلم خشاشه ولا يُتعتع راكبه ولأوردهم منهلاً رويّاً فضفاضاً تطفح ضفّتاه ولأصدرهم بطاناً قد تحرّى بهم الري غير متجل منهم بطائل بعلمه الباهر وردعه سورة الساغب ولفتحت عليهم بركات من السماء وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون، ألا هلمن فاسمعن وما عشتن أراكنّ الدهر عجباً إلى...

(٥) في دلائل الإمامة: ألا فاسمعن، ومن عاش أراه الدهر العجب؛ وفي نثرِ الدُرّ: ألا هلمّ فاستمع، وما عِشْتَ أراك الدّهرُ عجباً.

(٦) في بلاغات النساء: بحذفها، وفي دلائل الإمامة: وإن تعجبن فانظرن إلى أيّ نحو اتّجهوا.

(٧) في بلاغات النساء: إلى أيّ لجأ لجأوا واسندوا، وعلى أيّ سند استندوا.

(٨) في بلاغات النساء ودلائل الإمامة: وبأيّ.

(٩) احتنكوا: مأخوذ من احْتَنَكَ الجرادُ الأرض إذا أتى على نبتها، لسان العرب: مادة (حنك) ١٠/ ٤١٦.

وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ} [١]، و {بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً} [٢]، استبدَلوا وَاللهِ الذُّنابى [٣] بالقوادِم، والعجزَ [٤] بالكاهلِ [٥]، فَرَغْماً لِمعاطسِ [٦] قومٍ يَحسَبونَ أَنَّهُم يُحْسِنُون صُنعاً، {أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ} [٧]، ويحهم {أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} ؟! [٨]؟! أمَا لَعَمري لقد [٩] لَقِحَت [١٠] فَنَظِرَةٌ [١١] ريثَما [١٢] تُنتِج، ثُمّ احتلِبُوا مِلءَ [١٣] القَعْبِ [١٤] دَماً عَبِيطاً [١٥] وذُعافاً مُبيداً [١٦]،

---

(١) الحج / ١٣.

(٢) الكهف / ٥٠.

(٣) في نثرِ الدُرّ: الذُّنَابَى، والذُّنابَى: ذنبُ الطَّائر، وأَذنابُ الناسِ وذَنَبَاتُهم أَتباعُهُم وسِفْلَتُهُم دون الرُّؤَساءِ، لسان العرب: مادة (ذنب) ١ / ٣٨٩.

(٤) العجز: عَجْزُ الشيءِ وعِجْزُه وعُجْزُه وعَجُزُه وعَجِزُه آخره، لسان العرب: مادة (عجز) ٥ / ٣٦٩.

(٥) الكاهِلُ مقدَّم أَعلى الظهر مما يَلي العنُق، لسان العرب: مادة (كهل) ١١ /٦٠٠، (كاهل القوم): عمدتهم في المهمّات وعدّتهم للشدائد والملمّات.

(٦) المَعْطِس والمَعْطس الأَنف لأَن العُطاس منه يخرج، لسان العرب: مادة (عطس) ٦ / ١٤٢.

(٧) البقرة / ١٢.

(٨) يونس / ٣٥.

(٩) في بلاغات النساء: أما لعمر إلَهِكُنّ، وفي دلائل الإمامة: ألا لعمر الله.

(١٠) يقال لَقِحَت إِذا حَمَلَتْ، لسان العرب: مادة (لقح) ٢ / ٥٧٩.

(١١) النَّظِرَةُ بكسر الظاء التأْخير في الأَمر، لسان العرب: مادة (نظر) ٥ / ٢١٥.؛ وقد وردت في دلائل الإمامة: فانظروها تنتج.

(١٢) الرَّيْثُ الإِبْطاءُ، فلم يَلْبَثْ إِلاَّ رَيْثما قُلْتُ أَي إِلاّ قَدْرَ ذلك، لسان العرب: مادة (ريث) ٢ / ١٥٧.

(١٣) في بلاغات النساء ودلائل الإمامة: طلاع القعب.

(١٤) القَعْبُ القَدَح الضَّخْمُ الغليظُ الجافي وقيل قَدَح من خَشَب مُقَعَّر، لسان العرب: مادة (قعب) ١ / ٦٨٣.

(١٥) العَبِيط وهو الدم الطريّ، لسان العرب: مادة (عبط) ٧ / ٣٤٧.

(١٦) الذُّعافُ سَمٌّ قاتِلٌ، لسان العرب: مادة (ذعف) ٩ / ١٠٩، وورد في بلاغات النساء ودلائل ←

هُنَالِكَ يَخْسَرُ المُبْطِلون، وَيَعْرِفُ التالُونَ[(١)] غِبَّ[(٢)] ما أَسَّسَ الأوّلون، ثُمّ طِيبُوا عن دُنياكُم أنفساً[(٣)]، واطمئِنُّوا للفتنةِ جَأْشاً[(٤)]، وَأَبْشِروا بِسَيْفٍ صَارمٍ[(٥)]، وَسَطوَةِ مُعتَدٍ غاشِم[(٦)]، وَبِهَرجٍ شامِلٍ[(٧)]، واستِبْداد[(٨)] مِنِ الظالِمِينَ، يَدَعُ فَيْئَكُمْ[(٩)] زَهِيداً[(١٠)]، وَجَمْعَكُم حَصِيداً[(١١)]، فَيَا حسرةً[(١٢)] لَكُمْ! وَأَنَّى[(١٣)] بِكُم، وَقَدْ عُمِيَتْ عَلَيكُمْ، أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُم لَهَا كَارِهُون..

الإمامة: وذُعافاً ممقراً، والمَقِرُ شبيه بالصَّبِرِ وليس به وقيل هو الصَّبِرُ نفسه، لسان العرب: مادة (مقر) ٥ / ١٨٢.

(١) هكذا ورد في بحار الأنوار نقلاً عن معاني الأخبار وأمالي الطوسي وشرح النهج لابن أبي الحديد، وقد ورد في بلاغات النساء ودلائل الإمامة: المبطلون.

(٢) غِبُّ الأَمْرِ ومَغَبَّتُه عاقبتُه وآخِرُه، لسان العرب: مادة (غبب) ١ /٦٣٤، وقد حذفت في دلائل الإمامة.

(٣) في بلاغات النساء: ثُمّ أطيبوا عن أنفسكم نفساً؛ وفي دلائل الإمامة: فليطيبوا بعدَ ذلك نفساً.

(٤) الجَأْش النفْس وقيل القَلْب، لسان العرب: مادة (جأش) ٦ / ٢٦٩، وورد في بلاغات النساء: وطامنوا؛ وفي دلائل الإمامة: وليطمأنوا.

(٥) الصارمُ: السيف القاطع، لسان العرب: مادة (صمع)١٢ / ٣٣٤.

(٦) الْغَشْمُ: الظُّلْم والغَصْبُ، لسان العرب: مادة (خشم) ١٢ / ٤٣٧.

(٧) في بلاغات النساء: وبقرح شامل؛ وفي دلائل الإمامة: وهرج شامل.

(٨) في دلائل الإمامة: واستبدال من الظالمين.

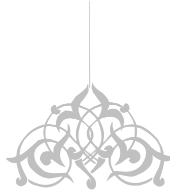
(٩) الفَيْءُ: الغَنِيمةُ والخَراجُ، لسان العرب: مادة (فيأ)١ / ١٢٤، وقد ورد في بلاغات النساء: يدع فيكم.

(١٠) الزهيد: القليل، وشيء زَهيد قليل، لسان العرب: مادة (زهد) ٣ / ١٩٦.

(١١) في معاني الأخبار: وزرعكم حصيداً.

(١٢) في دلائل الإمامة: فيا خسرى لكم.

(١٣) في بلاغات النساء: وإنّي بكم.



خُطبَة السيدة زينب عليها السلام بِحَضْرَة أهل الكوفة

روى المؤرّخون أنّ السيدة زينب عليها السلام قد أشارت إلى النّاس بأن أنصتوا فارتدّت الأنفاس وسكنت الأجراس، ثم قالت [1] - بعد حمد الله تعالى والصّلاة عَلَى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم[2] -:

«أمّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الكُوفَةِ! يَا أَهْلَ الخَتْلِ[3] والغَدْرِ والخَذْلِ والمَكْرِ[4]، ألا فَلا رَقَأَتِ العَبْرَةُ[5]، ولا هَدَأَتِ الزَّفْرَةُ[6]، إِنَّمَا مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الَّتي نَقَضَتْ غَزْلَهَا

(١) الاحتجاج: ٢ / ١٠٩ - ١١٣؛ اللّهوف في قتلى الطفوف: ص٩٤ - ٩٥؛ الدُرُّ المنثور لزينب العاملي: ص٢٣٣؛ الفتوح: ٥ / ٢٢٣ - ٢٢٥؛ مقتل الخوارزمي: ٢ / ٤٥؛ مُثير الأحزان: ٨٦؛ بحار الأنوار: ٤٥ / ١٦٢ - ١٦٣؛ وفي بعض المصادر أنّها نُسبت إلى السيدة أم كلثوم عليها السلام ومنها: بلاغات النساء ص٢٣، أدب النساء ص١١٦؛ جمهرة خطب العرب: ٢ / ١٢٤ مع التغيير في بعض ألفاظها؛ وسبب نسبتها إلى السيدة أم كلثوم عليها السلام إنّما هو متأتٍّ من أنّ السيدة زينب عليها السلام تكنّى بأمّ كلثوم كما أشرنا آنفاً في ترجمتها.

(٢) في اللّهوف: ((الحمد لله والصَّلاةُ على أبي (جدّي) محمّد وآله الطّيبين الأخيار)).

(٣) الخَتْل أي الخِدَاع، لسان العرب: ١١/ ١٩٩، مادة (ختل).

(٤) الخاذِلُ ضد الناصر خَذَله وخَذَل عنه يَخْذُله خَذْلاً وخِذْلاناً تَرَكَ نُصْرته وعَوْنه، لسان العرب: ١ مادة (خذل) ١/ ٢٠٢، والمَكْرُ احتيال في خُفية، لسان العرب: مادة (مكر) ٥ /١٨٣، وورد في الدُرُّ المنثور: يا أهل كوفة الختل والخذل أتبكون

(٥) في اللّهوف: رقأت الدّمعة، وفي الدُرُّ المنثور: فلا سكنت العبرة.

(٦) في اللّهوف والدُرُّ المنثور: ولا هدأت الرّنّة.

مِـنْ بَعْـدِ قُـوَّةٍ أَنْكَاثـاً[١] تَتَّخِـذُونَ أَيْمَـانَكُم دَخَـلاً بَيْـنَكُمْ[٢]، هَـلْ فِـيكُمْ[٣] إلا الصَّلِفُ[٤] والعَجِبُ[٥]، والشَّنَفُ[٦] والكَذِبُ، وَمَلَقُ الإماءِ[٧]، وَغَمْرُ الأعْداءِ؟[٨] أَوْ كَمَرْعَى[٩] عَلَى دِمْنَةٍ[١٠]، أَوْ كَفِضَّةٍ عَلَى مَلْحُودَةٍ[١١]، ألا بِئْسَ[١٢] مَا قَدَّمَتْ لَكُمْ[١٣] أَنْفُسُكُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْكُمْ وفي العَذَابِ أَنتُمْ خَالِدُونَ[١٤]، أَتَبْكُونَ أَخِي[١٥]؟! أَجَلْ واللهِ فَابْكُوا فَإِنَّكُمْ والله أحْرِيَاءُ بالبُكاء[١٦].

(١) نَكَث العهدَ والحبلَ فانْتَكَثَ أي نقضه فانتقض: لسان العرب: مادة (نكث) ٢/ ١٩٦.

(٢) الدخل: يعني دَغَلاً وخَديعةً ومَكْراً، لسان العرب: مادة (دخل) ١١/ ٢٣٩.

(٣) في اللّهوف: ألا وهل فِيْكُم، وفي الدُرُّ المنثور: ألا وإنّ فيكم.

(٤) يُضْرَبُ مثلاً للرجل الذي يُكْثِر الكلام والمَدْحَ لنفسه ولا خير عنده، لسان العرب: مادة (صلف) ٩ / ١٩٦.

(٥) في اللّهوف: النَّطَفُ، وفي الدُرُّ: الضفف.

(٦) في اللّهوف والدُرُّ: والصّدْرُ والشَّنَفُ؛ والشنف من شَنِفَه شَنَفاً أَبْغَضَه، لسان العرب: مادة (شنف) ٩ / ١٨٣.

(٧) في الدُرُّ: وملق الأَمَة.

(٨) الغَمْرُ الماء الكثير، ومعناها هُنا كثرة الأعداء، لسان العرب: مادة (غمر) ٥/ ٢٩، وورد في بلاغات النساء واللّهوف: وغمْزُ الأعداء الإشارة بالعين والحاجب والجَفْنِ، لسان العرب: مادة (غمز) ٥/ ٣٨٨؛ وورد في نثر الدُرُّ: وحجز الأعداء

(٩) في بلاغات النساء: وهل أنتم إلا كمرعى.

(١٠) الدِّمْنة الموضع الذي يَلْتبدُ فيه السِّرقِين، لسان العرب: مادة (دمن) ١٣/ ١٥٧.

(١١) في البحار ومُثير الأحزان: أو كَقِصَّة على ملحودة، ومعنى اللَّحْد واللُّحْد الشَّقُّ الذي يكون في جانب القبر، لسان العرب: مادة (لحد) ٣/، ٣٨٨.

(١٢) في بلاغات النساء واللّهوف: ألا ساء؛ وفي الدُرُّ المنثور: ألا ساء ما تزرون.

(١٣) في بلاغات النساء: بحذف لَكُمْ.

(١٤) في الدُرُّ المنثور: بحذف - أن سَخِطَ الله عليكم وفي العَذاب أنتم خالدون.

(١٥) في بلاغات النساء: أتبكون أي والله فابكوا؛ وفي اللّهوف: أتبكون وتنتحبون.

(١٦) في البحار: أحقُّ بالبُكاء.

فَابْكُوا كَثِيراً وَاضْحَكُوا قَلِيلاً، فَقَدْ بُلِيْتُمْ بِعَارِهَا[(١)]، وَمُنِيْتُمْ بِشَنَارِهَا[(٢)] وَلَنْ تَرْحَضُوهَا أَبَداً[(٣)] وَأَنَّى تَرْحَضُونَ قَتْلَ سَلِيلِ خَاتَمِ النُّبُوَّةِ، وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ، وَسَيِّدِ شَبَابِ[(٤)] أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَلاذِ حَرِيمِكُمْ[(٥)]، وَمَعَاذِ حِزْبِكُم، وَمَقَرِّ سِلْمِكُمْ، وَآسِي كَلْمِكُمْ[(٦)]، وَمَفْزَعِ نَازِلَتِكُمْ[(٧)]، وَالْمَرْجِعِ إِلَيْهِ عِنْدَ مُقَاتَلَتِكُمْ، وَمَدَرَةِ[(٨)] حُجَجِكُمْ[(٩)] وَمَنَارِ مَحَجَّتِكُمْ[(١٠)]، أَلا سَاءَ مَا قَدَّمَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ[(١١)]، وَسَاءَ مَا تَزِرُونَ لِيَوْمِ بَعْثِكُمْ.

---

(١) في بلاغات النساء: فَلَقَدْ فُزْتُم بعارها، وفي اللّهوف: فَلَقَد ذَهَبْتُم بعارِها وَشَنَارِها، ومعنى العارُ السُّبّة والعيب وقيل هو كل شيء يلزم به سُبّة أو عيب، لسان العرب: مادة (عير) ٤/ ٦٢٠.

(٢) الشَّنار العيب والعارُ، لسان العرب: مادة (شنار) ٤/ ٤٣٠.

(٣) في بلاغات النساء واللّهوف: وَلَنْ تَرْحَضُوهَا بِغُسْلٍ بَعْدَهَا أبداً، ومعنى الرَّحْضُ الغَسْلُ، لسان العرب: مادة (رحض) ٧/ ١٥٣.

(٤) في بلاغات النساء: شبان.

(٥) في اللّهوف: ملاذِ خيرَتكُم، وفي بحار الأنوار: ملاذِ حَرْبِكُم.

(٦) المعاذ من عاذ به يَعُوذُ عَوْذاً وعِياذاً ومَعاذاً لاذ فيه ولجأَ إِليه واعتصم لسان العرب: ج٣/ ص٤٩٨، مادة (عوذ)، والحِزْبُ جَماعةُ الناسِ والجمع أَحْزابٌ، لسان العرب: مادة (حزب) ١/ ٣٠٨، والآسي: طبيب الجُرْح، وجمعها: إساء وأساة، وفي الخطبة وردت بمعنى: دواء جُرْحِكُم.

(٧) المَفْزَعُ هو من فزع إِليه أَي مَلْجَأٌ لمن التَجأَ إِليه، لسان العرب: مادة (فزع) ٨/ ٢٥١، والنازلة الشدَّة من شدائد الدهر تنزل بالناس، لسان العرب: مادة (نزل) ١١/ ٦٥٦، وورد في بلاغات النساء: ومفرخ نازلتكم.

(٨) المَدَرَة: زَعِيمُ القوم ورئيسهم وسيدهم وقيل رئيسهم المتكلم عنهم ومِدْرَهُهُمْ، لسان العرب: مادة (زعم) ١٢/ ٢٦٤.

(٩) في اللّهوف: ومَدَرَة سُنَّتكم.

(١٠) في اللّهوف: ومنار حُجَّتِكُم، والمَحَجَّةُ الطريق وقيل جادَّةُ الطريق، لسان العرب: مادة (حجج) ٢/٢٢٦.

(١١) ألا سَاءَ مَا تَزِرُونَ.

فَتَعْساً تَعْساً[١]! ونَكْساً نَكْساً[٢]! لَقَد خَابَ السَّعْيُ، وَتَبَّتِ الأَيدي[٣]، وَخَسِرَتِ الصَّفْقَةُ، وَبُؤْتُمْ[٤] بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ، وَضُرِبَتْ عَلَيكُمُ الذِّلَّةُ والمَسْكَنَةُ.

أتَدْرُونَ وَيْلَكُمْ أيَّ كَبِدٍ لِمُحَمَّدٍ[٥] صلى الله عليه وآله وسلم فَرَثْتُمْ؟![٦] وَأَيَّ عَهْدٍ نَكَثْتُم؟![٧] وَأَيَّ كَرِيمَةٍ لَهُ أَبْرَزْتُمْ؟! وَأَيَّ حُرْمَةٍ لَهُ هَتَكْتُمْ[٨]؟! وَأَيَّ دمٍ لَهُ سَفَكْتُمْ؟! لَقَدْ جِئْتُم شَيْئَاً إدّاً[٩] تكادُ السَّماوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأرضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدّاً! لَقَدْ جِئْتُمْ بِهَا شَوْهَاءَ[١٠]،[صَلعاءَ، عَنْقاءَ، سَوْدَاءَ، فَقْمَاءَ][١١]

---

(١) في بلاغات النساء: فَتَعْساً وَنَكْساً، والنَّكْسُ قلب الشيء على رأسه، لسان العرب: مادة (نكس) ٦/ ٢٤١.

(٢) في اللّهوف: وبُعْداً لكم وسُحْقاً.

(٣) خابَ يَخِيبُ خَيْبَةً حُرِم ولم يَنَلْ ما طَلَب، لسان العرب: مادة (خيب) ١/ ٣٦٨، وورد في اللّهوف: بحذف تبَّت الأيدي.

(٤) الصَّفْقَةُ الاجتماعُ على الشيء، وصفقة رابحة وصفقة خاسرة، لسان العرب: مادة (صفق) ١٠/ ٢٠٠، وباءَ إلى الشيء يَبُوءُ بَوْءاً رَجَعَ، لسان العرب: مادة (بوأ) ١/ ٣٦.

(٥) في اللّهوف: وَيْلَكُم يَا أَهْلَ الكُوْفَةِ ! أَتَدْرُونَ أيّ كَبِدٍ لِرَسُولِ اللهِ فَرَيْتُم؛ وفي بلاغات النساء وبحار الأنوار ومُثير الأحزان: فَرَيْتُم.

(٦) الفَرْثُ تَفْتيت الكَبِد بالغم والأذى، لسان العرب: مادة (فرث) ٢/ ١٧٦.

(٧) نَكَث العهدَ والحبلَ فانْتَكَثَ أَي نقضه فانتقض، لسان العرب: مادة (نكث) ٢/ ١٩٦، وورد في اللّهوف: بحذفها.

(٨) أَبْرَزَ الكتابَ أَخرجه، لسان العرب: مادة (برز) ٥/ ٣٠٩، والهَتْكُ خَرْقُ السِّتْر عما وراءه، لسان العرب: مادة (هتك) ١٠/ ٥٠٢،، وورد في اللّهوف: وَأَيَّ حُرْمَةٍ لَهُ انْتَهَكْتُم.

(٩) السَّفْكُ صَبُّ الدم، وسَفَك الدمَ والدمعَ يَسْفِكه سَفْكاً فهو مَسْفوكٌ وسَفِيك صبه وهَراقَه، لسان العرب: ١ مادة (سفك) ٠/ ٤٣، لقد جِئتُم شيئاً إدّاً: أي الأمر الفظيع العظيم والداهية، لسان العرب: مادة (أدد) ٣/ ٧١.

(١٠) الشَّوْهاء القبيحةُ، لسان العرب: مادة (شوه)١٣/٥٠٨، وفي الخطبة معناها فعلة أو جريمة شوهاء.

(١١) هكذا ورد في اللّهوف، والصَّلْعاءُ في كلام العرب الداهيةُ والأَمر الشديد، لسان العرب: مادة ←

خَرْقَاءَ[١] طِلاعِ[٢] الأَرْضِ[٣] وَالسَّماءِ[٤]، أَفَعَجِبْتُم أَنْ تُمْطِر[٥] السَّمَاءُ دَمَاً، وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ[٦]، فَلا يَسْتَخِفَّنَّكُمُ المُهَلُ، فَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ[٧] لا يَخْفِرُهُ[٨] البِدارُ ولا يُخْشَى[٩] عَلَيْهِ فَوْتَ الثّارِ، كَلا إِنَّ رَبَّكَ لَنَا وَلَهُمْ لَبِالمِرْصَادِ[١٠]، ثُمَّ أنشأت عليها السلام تقول:

مَاذَا تَقُولُونَ إذ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ ... مَاذَا صَنَعْتُمْ وَأَنْتُمْ آخِرُ الأُمَمِ
بِأَهْلِ بَيْتِي وَأَوْلادِي وَتَكْرِمَتِي ... مِنْهُم أُسَارَى وَمِنْهُمْ ضُرِّجُوا بِدَمِ
مَا كَانَ ذَاكَ جَزَائِي إِذْ نَصَحْتُ لَكُم ... أَنْ تَخْلِفُونِي بِسُوءٍ فِي ذَوِي رَحِمِي
إِنِّي لأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ ... مِثْلَ العَذَابِ الَّذِي أَوْدَى عَلَى إِرَمِ

(صلع) ٨/ ٢٠٤، والعَنْقاءُ الداهية، لسان العرب: مادة (عنق) ٢٧١/١٠، والفَقْماءُ المائلةُ، لسان العرب: مادة (فقم) ١٢/ ٤٥٧.

(١) الخَرقاء الشديدة، والخرق الشقّ، لسان العرب: مادة (خرق) ١٠/ ٧٣.

(٢) في اللّهوف: كطلاع.

(٣) طِلاعُ الأَرض مِلْؤُها، لسان العرب: مادة (طلع) ٨/ ٢٣٥.

(٤) في اللّهوف: أو مِلاءِ السَّماء.

(٥) في بلاغات النساء: قطرت السّماء، وفي اللّهوف: مَطَرَت السَّمَاءُ.

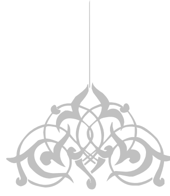
(٦) في بلاغات النساء: وهُم لا يُنظرون، وفي اللّهوف: وأنتُم لا تُنْصَرون.

(٧) المَهْل والمَهَل والمُهْلة كله السَّكِينة والتُّؤَدة والرِّفْق وأَمْهله أَنظره، لسان العرب: مادة (مهل) ١١/ ٦٣٣، وورد في بلاغات النساء واللّهوف: بحذف عزّ وجلّ.

(٨) أَخْفَرَه نقض عهده وغَدَره وأَخْفَرَ الذمة لم يَفِ بها، لسان العرب: مادة (خفر) ٤/ ٢٥٣، وورد في بلاغات النساء: لا تحفزه المبادرة، وفي اللّهوف: لا يَحْفِزُهُ، ومعنى حَفَزَه أَي دفعه، لسان العرب: مادة (حفز) ٥/ ٣٣٧.

(٩) بادَرَ الشيءَ مبادَرَةً وبِداراً وابْتَدَرَهُ وبَدَرَ غيرَه إِليه يَبْدُرُه عاجَلَهُ، لسان العرب: مادة (بدر) ٤/ ٤٨، وورد في بلاغات النساء: ولا يُخاف عليه، وفي اللّهوف: ولا يُخاف فوت الثّار، بحذف (عليه).

(١٠) في اللّهوف: وإنّ رَبَّكُم لَبِالمِرْصَادِ، وفي الدُرُّ المنثور: كَلا إنّ رَبّي وربّكم لبالمِرصاد.



خُطْبَة السَّيِّدة فَاطِمَة بنتِ الإمام الحُسَين عليهما السلام في الكوفة بعد رجوعها من كربلاء[1]

الحَمْدُ للّهِ عَدَدَ الرَّمْلِ والحَصَى، وَزِنَةَ العَرْشِ إلى الثَّرَى [2]، أَحْمَدُهُ وَأُؤْمِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ وَأَنَّ محمّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه صلى الله عليه وآله وسلم، وَأَنَّ أَوْلادَهُ ذُبِحُوا بِشَطِّ الفُرَاتِ مِنْ غَيْرِ ذَحْلٍ ولا تِراثٍ [3].

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوْذُ بِكَ أَنْ أَفْتَرِيَ[4] عَلَيْكَ الكَذِبَ، وَأَنْ أَقُوْلَ خِلافَ مَا أَنْزَلْتَ عَلَيْهِ[5] مِنْ أَخْذِ العُهُوْدِ[6] لِوَصِيِّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالِبٍ عليه السلام،

---

(١) اللَّهوف في قتلى الطفوف: ٩٥ - ٩٩؛ بحار الأنوار: ٤٥ / ١١٠؛ مُثير الأحزان: ٨٧؛ الاحتجاج: ٢ / ١٠٤ - ١٠٨.

(٢) العَرْش البيت والمنزل، سرير الملك، لسان العرب: مادة (عرش) ٣١٣/٦، والثرى: التراب النَّديُّ وقيل هو التراب الذي إذا بُلَّ لم يَصِرْ طيناً لازباً، لسان العرب: مادة (ثرا) ١١٠/١٤.

(٣) في اللَّهوف: بِغَيرِ ذَحْلٍ ولا تِرات، والذِّحْل الثأْر أوالعداوة والحِقْد، لسان العرب: مادة (ذحل) ٢٥٦/١١، والترات من التِّرَةِ التَّبِعَة والفعل من الوِتْرِ الذَّحْلِ وَتَرَ يَتِرُ، لسان العرب: مادة (وتر) ٢٧٣/٥.

(٤) أَفْرَيْت إِفْراء فهو من التشقيق على وجه الفساد، لسان العرب: مادة (فرا) ١٥١/١٥.

(٥) في اللَّهوف: أو أنْ أقولَ عليك خِلافَ ما أنْزَلْتَ عليه.

(٦) العَهْدُ كل ما عُوهِدَ اللَّهُ عليه وكلُّ ما بين العبادِ من المواثِيقِ فهو عَهْد، لسان العرب: مادة (عهد) ٣١١/٣.

المَسْلُوْبِ[١] حَقُّهُ، المَقْتُوْلِ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ، كَمَا قُتِلَ وَلَدُهُ بِالأَمْسِ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوْتِ اللّه، وبِهَا مَعْشَرٌ مُسْلِمَةٌ بِأَلْسِنَتِهِمْ[٢]، تَعْسَاً لِرُؤُوْسِهِمْ! مَا دَفَعَتْ عَنْهُ ضَيماً[٣] فِي حَيَاتِهِ وَلا عِنْدَ مَمَاتِهِ، حَتَّى قَبَضْتَهُ إِلَيْكَ مَحْمُوْدَ النَّقِيْبَةِ[٤]، طَيِّبَ الضَّرِيْبَةِ[٥]، مَعْرُوْفَ المَنَاقِبِ[٦]، مَشْهُوْرَ المَذَاهِبِ.

لَمْ تَأْخُذْهُ فِيْكَ لَوْمَةُ لائِمٍ[٧]، وَلا عَذْلُ عَاذِلٍ[٨]، هَدَيْتَهُ يَا رَبِّ لِلإِسْلامِ صَغِيْرَاً[٩]، وَحَمَدْتَ مَنَاقِبَهُ كَبِيْرَاً، وَلَمْ يَزَلْ نَاصِحَاً لَكَ وَلِرَسُوْلِكَ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِه حَتَّى قَبَضْتَهُ إِلَيْكَ، زَاهِدَاً فِيْ الدُّنيَا غَيْرَ حَرِيْصٍ عَلَيْهَا[١٠]، رَاغِبَاً

---

(١) المسلوب سَلَبَه الشيءَ، لسان العرب: مادة (سلب) ٤٧١/١.

(٢) في اللَّهوف: فيه مَعْشَرٌ مُسْلِمُونَ بِأَلسِنَتِهِمْ، ومعنى المَعْشَرُ الجماعة، لسان العرب: مادة (عشر) ٤ / ٥٦٨.

(٣) التَعْسُ العَثْر أو الانحطاط والعُثُور، لسان العرب: مادة (تعس) ٣٢/٦، والضَّيْمُ الظُّلْمُ، وضامه حَقَّه ضَيْماً نَقَصه، لسان العرب: مادة (ضيم) ٣٥٩/٥.

(٤) قبضته: أَخذته، ما أَخذت بِجُمْع كفِّك كله، لسان العرب: مادة (قبض) ٢١٣/٧، ومحمود: شكراً للصنيعة، لسان العرب: مادة (حمد) ١٥٥/٣، ومعنى النقيبة: يُمْنُ الفِعْل، ورجل مَيْمونُ النَّقيبة مباركُ النَّفْسِ مُظَفَّرٌ بما يُحاوِلُ، لسان العرب: مادة (نقب) ١ /٧٦٥.

(٥) في اللَّهوف: طيِّب العريكة، والطَّيِّبُ بمعنى الطاهر، لسان العرب: مادة (طيب) ١/ ٥٦٣، والضَّريبة الطبيعة والسَّجِيَّة، لسان العرب: ٥٤٧/١.

(٦) المناقب من قولهم: في فلانٍ مَنَاقِب جميلةٌ أَي أَخْلاقٌ، وهو حَسَنُ النَّقِيبةِ أَي جميلُ الخليقة، لسان العرب: مادة (نقب) ٧٦٩/١.

(٧) في اللَّهوف: لم تأخُذْهُ اللّهم فيك، ولامَه على كذا يَلومُه لَوْماً ومَلاماً وملامةً ولوْمةً فهو مَلُوم ومَلِيمٌ استحقَّ اللَّوْمَ، ولوَّمه وألَمْتُه بمعنى لُمْتُه، لسان العرب: مادة (لوم) ٥٥٧/١٢.

(٨) العَذْلُ: اللَّومُ، والعَذُل مثله عَذَلَهُ يَعْذِله، لسان العرب: مادة (عذل) ٤٣٧/١١.

(٩) في اللَّهوف: هَدَيْتَهُ اللّهم للإسلام.

(١٠) الزُّهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا، لسان العرب: مادة (زهد) ٣ / ١٩٦، والحرص ←

فِي الآخِرَةِ مُجَاهِداً لَكَ فِي سَبِيْلِكَ (١)، رَضِيتَهُ فَاخْتَرْتَهُ (٢)، وَهَدَيْتَهُ (٣) إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤).

أَمّا بَعْدُ: يَا أَهْلَ الكُوْفَةِ! يَا أَهْلَ المَكْرِ والغَدْرِ والخُيَلاءِ (٥)، إِنّا (٦) أَهْلُ بَيْتٍ ابْتَلانَا اللهُ بِكُمْ (٧)، وابْتَلاكُمْ بِنَا، فَجَعَلَ بَلاءَنَا حَسَنَاً، وَجَعَلَ عِلْمَهُ عِنْدَنَا، وَفَهْمَهُ لَدَيْنَا (٨)، فَنَحْنُ عَيْبَةُ عِلْمِهِ (٩)، وَوِعَاءُ فَهْمِهِ وَحِكْمَتِهِ (١٠)، وَحُجَّتُهُ فِي الأَرْضِ (١١) فِيْ بِلادِهِ لِعِبَادِهِ، أَكْرَمَنَا اللهُ بِكَرَامَتِهِ، وَفَضَّلَنَا بِنَبِيِّهِ (١٢) صلى الله

شدّةُ الإرادة، لسان العرب: مادة (حرص) ١١/٧.

(١) الرَّغائِبُ ما يُرْغَبُ فيه من الثوابِ العظيمِ، لسان العرب: مادة (رغب) ٤٢٢/١.

(٢) الرضا ضدُّ السَّخَطِ، لسان العرب: مادة (رضي) ٣٢٣/١٤، والاختيار يدل على التبعيض، لسان العرب: مادة (خير) ٤ /٢٦٤

(٣) في اللَّهوف: فَهَدَيْته.

(٤) وفي بعض النسخ: إلى طريقٍ مُستقيم.

(٥) المَكْرُ احتيال في خُفية، والمكر في كل حلال حرام، لسان العرب: مادة (مكر) ١٨٣/٥، والغَدْرُ ضدُّ الوفاء بالعهد لسان العرب مادة (غدر): ج٥ / ٨، الخُيَلاء والخِيَلاء بالضم والكسر الكِبْر والعُجْب، لسان العرب: مادة (خيل) ١١ /٢٢٦.

(٦) في اللَّهوف: فَإِنّا.

(٧) الابتلاء الاختبار، لسان العرب: مادة (بلا) ٨٣/١٤.

(٨) الفَهْم من فَهِمْت الشيء عَقَلْتُه وعرَفْته، لسان العرب: ١ مادة (فهم) ٤٥٩/٢.

(٩) العَيْبة وِعاءٌ من أَدَم يكون فيها المتاع والعَيْبَةُ الوَصْمة، لسان العرب: مادة (عيب) ٦٣٣/١.

(١٠)وعاء: وِعاء عِلْمِه واعْتِقاده، لسان العرب: مادة (وعي) ٣٩٦/١٥، الحَكْمَةُ عبارة معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، لسان العرب: مادة (حكم) ١٤٠/١٢.

(١١) في اللَّهوف: عَلَى الأَرْضِ.

(١٢) بنبيّه محمّد، ومعنى الفَضْل والفَضِيلة معروف ضدُّ النَّقْص والنَّقِيصة، لسان العرب: مادة (فضل)١١ /٥٢٤، وفَضَّلنااي ميزنا.

عليه وآله وسلم عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ تَفْضِيلاً [١]، فَكَذَّبْتُمُونَا، وَكَفَّرْتُمُونَا، وَرَأَيْتُمْ قِتَالَنَا حَلالاً، وَأَمْوَالَنَا نَهْباً [٢]، كَأَنَّا [٣] أَوْلادُ التُرْك أَوْ كَابُلٍ [٤].

كَمَا قَتَلْتُم جَدَّنَا بِالأَمْسِ، وَسُيُوفُكُمْ تَقْطُرُ [٥] مِنْ دِمَائِنَا أَهْلَ البَيْت، لِحِقْدٍ [٦] مُتَقَدِّمٍ.

قَرَّتْ بِذَلِكَ[٧] عُيُونُكُمْ، وَفَرِحَتْ بِهِ قُلُوبُكُم اجْتِرَاءً[٨] مِنْكُمْ عَلَى اللّهِ وَمَكْرَاً[٩] مَكَرْتُمْ واللّهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ، فَلا تَدْعُوَنَّكُمْ أَنفُسُكُمْ إِلى الجَذَلِ[١٠] بِمَا أَصَبْتُمْ مِنْ دِمائِنَا وَنَالَتْ أَيْدِيْكُمْ مِنْ أَمْوَالِنَا، فَإِنَّ مَا أَصَابَنَا مِنَ المَصَائِبِ الجَلِيْلَةِ، والرَّزايا[١١] العَظِيمة فِيْ كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ

(١) ورد في بعض النسخ: مِمَّنْ خَلَقَ تفضيلاً بَيّناً.

(٢) كفرتمونا من: الكُفْرُ نقيض الإِيمان، لسان العرب: مادة (كفر) ١٤٤/٥، ومعنى: النَّهْبُ الغَنيمة لسان العرب: مادة (نهب) ٧٧٣/١.

(٣) ورد في بعض النسخ: كأننا.

(٤) كابُلُ موضع وهو عجمي وقيل ودُّوا لَوَ أَنَّنا تُسَدُّ بِنا أَبوابُ تُرْكٍ وكابُل فكابُل أَعجمي، لسان العرب: مادة (نهب)٥٨٠/١١.

(٥) تقطر: قَطَرَ الماءُ والدَّمْعُ، لسان العرب: مادة (قطر) ١٠٥/٥.

(٦) الحِقْدُ إِمساك العداوة في القلب والتربص لِفُرْصَتِها لسان العرب: مادة (حقد) ١٥٤/٣.

(٧) في اللَّهوف: لذلك، ومعنى قرّت: صادف سرورا، لسان العرب: مادة (قرر) ٢٨/٥.

(٨) اجترَأَ عليه جُرْأَةً وهو جَرِيءُ المَقْدَم أي جَرِيءٌ عند الاقدامِ، لسان العرب: مادة (جرأ) ٤٤/١، وورد في اللَّهوف: افتراءً عَلَىَ الله

(٩) المَكْرُ احتيال في خُفية والمكر في كل حلال حرام، لسان العرب: مادة (مكر) ١٨٣/٥.

(١٠) الجذْل أَصل الشيء، لسان العرب: مادة (جذل) ١٠٦/١١.

(١١) الرَّزيئةُ المُصيبةُ والجمع أَرْزاءٌ ورَزايا وقد رَزَأَتْهُ رَزِيئةٌ أَي أَصابته مُصِيبةٌ، لسان العرب: مادة (رزأ) ٨٥/١.

يَسِيرٌ} [١] {لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [٢]. تَبّاً [٣] لَكُمْ! فَانْظُرُوا [٤] اللَّعْنَةَ [٥] والعَذَابَ، فَكَأَنَّهَا قد حَلَّتْ بِكُمْ [٦]، وَتَوَاتَرَتْ [٧] مِنَ السَّمَاءِ نَقِمَاتٌ [٨] فَيُسْحِتَكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ [٩] وَيُذِيقَ [١٠] بَعْضَكُمْ بَأسَ [١١] بَعْضٍ، ثُمَّ تُخَلَّدُونَ فِيْ العَذَابِ الأَلِيْمِ يَوْمَ القِيَامَةِ، بِمَا ظَلَمْتُمُونا، ألا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ. وَيْلٌ لَكُمْ [١٢]!

---

(١) الحديد: ٢٣.

(٢) الحج: ٧٠.

(٣) التَّبُّ الخَسارُ والتَّبابُ الخُسْرانُ والهَلاكُ وتَبَّتْ يَداهُ تَبّاً وتَباباً خَسِرتَا، لسان العرب: مادة (تبب) ٢٢٦/١.

(٤) في اللَّهوف: فانتظِروا.

(٥) اللَّعْنُ الإِبْعادُ والطَّرْد من الخير، لسان العرب: مادة (لعن) ٣٨٧/١٣.

(٦) في اللَّهوف: فكَأَنَ قَدْ حَلَّ بِكُمْ، ومعنى حلت: نزول او حَلَّ، لسان العرب: مادة (حلل) ١٦٣/١١.

(٧) تَواتَرَت أَي جاءَت بعضُها في إِثر بعض وِتْراً وِتْراً من غير أَن تنقطع، لسان العرب: مادة (وتر) ٢٧٣/٥.

(٨) النَّقْمةُ المكافأَة بالعقوبة، لسان العرب: مادة (نقم) ٥٩٠/١٢.

(٩) في اللَّهوف: فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ، يَسْحَتكم يَقْشِركم ويُسْحِتَكُمْ يَسْتَأْصِلكم، لسان العرب: مادة (سحت) ٢/ ٤١، وَيْلٌ: وَيْحٍ أَو عَذاب، لسان العرب: مادة (ويل) ٧٣٧/١١.

(١٠) يذيقُ: ذاقَ الشيءَ، لسان العرب: مادة (ذوق) ١١١/١٠.

(١١) البَأْسُ العذاب، لسان العرب: مادة (بأس) ٢٠/٦.

(١٩) لخُلْد: دوام البقاء في دار لا يخرج منها، لسان العرب: مادة (خلد) ١٦٤/٣.

(١١) النَّقْمةُ المكافأَة بالعقوبة، لسان العرب: مادة (نقم) ١٢ /٥٩٠.

(١٢) في اللَّهوف وبحار الأنوار: ويلكم، ومعنى وَيْلٌ: وَيْحٍ أو عَذاب، لسان العرب: مادة (ويل) ٧٣٧/١١.

أَتَدْرُونَ أَيَّةَ يَدٍ طَاعَنَتْنَا[١] مِنْكُمْ، وَأَيَّةَ نَفْسٍ نَزَعَتْ[٢] إلى قِتَالِنَا، أَمْ بِأَيَّةِ رِجْلٍ مَشَيْتُمْ إِلَيْنَا، تَبْغُونَ[٣] محَارَبَتَنَا[٤]؟!

قَسَتْ قُلُوبُكُمْ[٥]، وَغَلُظَتْ[٦] أَكبَادُكُمْ، وَطُبِعَ عَلَى أَفئِدَتِكُمْ[٧]، وَخُتِمَ[٨]، عَلَى سَمْعِكُمْ وَبَصَرِكُمْ، وَسَوَّلَ[٩] لَكُمُ الشَّيْطَانُ وأَمْلَى[١٠] لَكُمْ، وَجعَلَ عَلَى بَصَرِكُمْ غِشَاوَةً[١١] فَأَنْتُمْ لا تَهْتَدُونَ.

تَبّاً[١٢] لَكُمْ يَا أَهْلَ الكُوفَةِ! كَمْ[١٣] تِرَاتٍ[١٤] لِرَسُولِ اللّٰهِ صلى الله عليه

(١) طَعَن: بالرُّمْحِ يَطْعَنُهُ، لسان العرب: مادة (طعن) ١٣/٢٦٥.

(٢) نَزَعَ الشيء: اقْتَلَعَه فاقْتَلَعَ وفرّقَ، لسان العرب: مادة (نزع) ٨/٣٤٩.

(٣) تبتغون: بَغَى الشيء بغواً نَظَراً إليه، لسان العرب: مادة (بغا) ١٤/٧٥.

(٤) محاربتنا: الحَرْبُ نَقِيضُ السِّلم، لسان العرب: مادة (حرب) ١/٣٠٢.

(٥) في اللَّهوف: واللهِ قَسَت، قَست: قَسا القَلبُ يَقْسُو قَساء والقَسْوَةُ الصَّلابةُ في كل شيء، لسان العرب: مادة (قسا) ١٥/١٨٠.

(٦) الغِلَظُ ضدّ الرِّقّةِ في الخَلْق والطَّبع والفِعْل والمَنْطِق والعيْش، لسان العرب: مادة (غلظ) ٧/٤٤٩.

(٧) لفؤاد القلبُ لِتَفَوُّدِه وتوقُّده، لسان العرب: مادة (فأد) ٣/٣٢٨.

(٨) خَتَمَه طَبَعَهُ والخَتْم على القَلْب أَن لا يَفهَم شيئاً ولا يَخرُج منه شيء كأَنه طبع، لسان العرب: مادة (ختم) ١٢ /١٦٣.

(٩) سول: سَوَّلَتْ له نفسه او الشيطانُ أَغْواه، لسان العرب: مادة (سول) ١١ /٣٥٠.

(١٠) املي: الإِمْهالُ والتأْخيرأَمْلى له أَي طَوَّلَ له وأَمْهَلَه، لسان العرب: مادة (ملا) ١٥/٢٩٠.

(١١) غشاوة: الغِشاءُ الغطاءُ، لسان العرب: مادة (غشا) ١٥/١٢٦.

(١٢) في اللَّهوف: فَتَبّاً، التَّبُّ الخَسارُ والتَّبابُ الخُسْرانُ والهَلاكُ وتَبَّتْ يَداهُ تَبّاً وتَباباً خَسِرتَا، لسان العرب: مادة (تبب) ١ /٢٢٦.

(١٣) في اللَّهوف: أيَّ.

(١٤) التِّرَةِ التَّبِعَةوالفعل من الوِتْرِ الذَّحْلِ وَتَرَ يَترُ، لسان العرب: مادة (وتر) ٥/٢٧٣.

عليه وآله وسلم قِبَلَكُم؟ وَذُحُولٍ(١) لَهُ لَدَيْكُمْ، ثُمَّ غَدَرْتُمْ (٢) بِأَخِيْهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام جَدّي، وَبَنِيهِ عِتْرَةِ (٣)النَّبِيِّ الطَّيِّبِينَ الأَخْيَارِ (٤)، وافْتَخَرَ بِذَلِكَ مُفْتَخِرٌ(٥) فَقَالَ:

نَحْـنُ قَتَلْنَـا عَلِيَّـاً وَبَنِـي عَلِـيّ ... بِسُيُوفٍ هِنْدِيَّـةٍ وَرِمَـاحِ

وَسَـبَيْنَا (٦) نِـسَاءَهُمْ سَـبْيَ تُـرْكٍ ... وَنَطَحْنَـاهُمُ فَـأَيُّ نِطَـاحِ (٧)

[فقالت]: بِفِيكَ أَيُّهَا القَائِلُ الكَثْكَثُ وَلَكَ الأَثْلَبُ (٨)، افْتَخَرْتَ بِقَتْلِ قَوْمٍ زَكَّاهُمُ(٩) اللّهُ وَطَهَّرَهُمْ، (١٠) وَأَذْهَبَ عَنْهُمُ الرِّجْسَ (١١)، فَاكْظِمْ وَاقْعَ كَمَا أَقْعَى

---

(١) الذِّحْل الثأْر اوالعداوة والحِقْد، لسان العرب: مادة (ذحل) ٢٥٦/١١.

(٢) الغَدْرُ ضدُّ الوفاء بالعهد، لسان العرب: ، مادة (غدر) ٥/ ٨ وورد في اللَّهوف: بِمَا عَنِدْتُم.

(٣) في اللَّهوف: وَعِتْرَتِهِ الطيّبينَ، العترة أَهلَ البيت والعِتْرة ولدُ الرجل وذريته وعَقِبُهُ من صُلْبه، لسان العرب: ٤ مادة (عتر) /٥٣٦.

(٤) اخْتَرْتُ فَضَّلْتُ، لسان العرب: مادة (خير) ٢٦٤/٤، والاخيارالافاضل.

(٥) لم يعرف القائل.

(٦) السَّبْيُ والسِّباءُ الأَسْروسبينا أسرنا، لسان العرب: مادة (سبى) ٣٦٧/١٤.

(٧) النَّطْحُ للكِبَاشِ ا لنَّطْحُ والناطحُ وهما قَرْناالحمل، لسان العرب: مادة (نطح) ٦٢١/٢.

(٨) الكَثْكَثُ الحجارة وقالوا بفيه الكَثْكَثُ والكِثْكِثُ كقولك بفيه الترابُ والحجَرُ، لسان العرب: مادة (كثث)، ١٧٩/٢، الأَثْلَبُ أَي الترابُ والحجارة يقال بفيك الحجرُ وبفيك الأَثلب، لسان العرب: مادة (ثلب)، ٢٤١/١، وورد في اللَّهوف: القائل الكثكث ولك الأثلب.

(٩) أَصل الزكاة في اللغة الطهارة والنَّماء، لسان العرب: مادة (زكى)٣٥٨/١٤، وزكاهم أي طهرهم.

(١٠) الطُّهْر نقيض النجاسة والجمع أَطْهار، لسان العرب: مادة (طهر) ٥٠٤/٤.

(١١) في اللَّهوف: يُضاف لها (وَطَهّرَهُم تَطهِيراً)، و الرِّجْسُ القَذَرُ، لسان العرب: مادة (رجس) ٩٤/٦.

أَبُوْكَ[١]، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ ما قَدَّمَتْ يَدَاهُ [٢]، حَسَدْتُمُونَا [٣] وَيْلاً لَكُمْ عَلَى مَا فَضَّلَنَا اللهُ:

فَمَا ذَنْبُنَا إِنْ جَاشَ[٤] دَهْرٌ[٥] بُحُورِنَا وَبَحْرُكَ سَاجٍ[٦] لا يُوارِي[٧] الدَّعامِصا[٨]

{ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } [٩] { وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ } [١٠].

---

(١) الكُظوم السُّكوت، لسان العرب: مادة (كظم) ج١٢/٥١٩، واكظم أي أسكت، وأَقْعَى الرجل في جُلُوسه تَسانَدَ إلى ما وراءه وأَقْعَى الكلب والسبعُ جلس على استه،، لسان العرب: مادة (قعا) ١٥/١٩١، وورد في اللَّهوف: أقعى أَبُوكَ قائماً.

(٢) في اللَّهوف: لِكُلِّ امْرِئٍ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَمَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ؟

(٣) حَسَدَه إذا تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضيلته أو يسلبهما، لسان العرب: مادة (حسد) ٣/١٤٨.

(٤) (جيش) جاشَت النفسُ فاظَتْ وجاشَتْ نفسِي جَيْشاً غَثَتْ أو دارَتْ وجاشَ البحر جَيشاً هاجَ فلم يُسْتَطع رُكوبُه، لسان العرب: مادة (جيش)٦/٢٧٧.

(٥) الدَّهْرُ الأَمَدُ المَمْدُودُ وقيل الدهر أَلف، لسان العرب: مادة (دهر) ٤/٢٩٢.

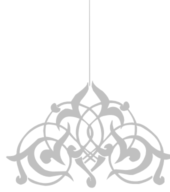
(٦) سَجا البحرُ وأَسْجى إذا سكَنَ، وطرْفٌ ساج أي ساكن،، لسان العرب: مادة (سجا) ١٤/٣٢٧.

(٧) وَرَّيْتُ الشيءَ ووارَيْتُه أَخْفَيْتُه وتَوارى هو استتر، لسان العرب: مادة (ورى) ١٥/٣٨٦.

(٨) الدُّعْموصُ دُوَيْبَّة صغيرة تكون في مُسْتَنْقَع الماء وقيل هي دُوَيْبَّة تغُوص في الماء والجمع دعامِيصُ، لسان العرب: مادة (دعمص) ٧ / ٣٦.

(٩) الحديد: ٢١.

(١٠) النور: ٤٠.



خُطْبَة السيدة أُم كُلثوم عليها السلام في الكوفة

بعد أن رجع أهل البيت عليهم السلام من كربلاء، خطبت السيدة أُم كُلثوم بنت الإمام علي عليهما السلام من وراء كِلّتها رافعة صوهّا بالبكاء[1]، فقالت:

«يَا أَهْلَ الكُوفَةِ، سَوأَةً[2] لَكُمْ، مَا لَكُم خَذَلتُمْ[3] حُسَيْنَاً وَقَتَلْتُمُوهُ، وَانْتَهَبتُمْ[4] أَمْوَالَهُ وَوَرِثْتُمُوهُ، وَسَبَيْتُمْ[5] نِسَاءَهُ وَنَكَبتُمُوه[6]؟ فَتَبَّاً[7] لَكُمْ

(١) اللّهوف في قتلى الطفوف: ص٩٩.

(٢) سوأ: ساءَهُ يَسُوءُه سَوْءًاومَساءة ومَسايةً ومَساءً ومَسائِيةً فعل به ما يكره نقيض سَرَّه والاسم السُّوء، لسان العرب: مادة (سوء) ١/٩٥.

(٣) خذل: الخاذِلُ ضد الناصروخَذَله وخَذَل تَركَ نُصْرته وعَوْنه، لسان العرب: مادة (خذل) ٢٠٢/١١.

(٤) لنَّهْبُ: الغارةُ والسَّلْبُ، لسان العرب: مادة (نهب) ٧٧٣/١.

(٥) السَّبْيُ والسِّباءُ الأَسْر معروف سَبَى العدوَّ وغيرَه سَبْياً وسِباءً إذا أَسَرَه فهو سَبِيٌّ، لسان العرب: مادة (سبي) ٣٦٧/١٤.

(٦) نَكَبَ فلانٌ عن الصواب يَنْكُبُ نُكُوباً إِذا عَدَل عنه، لسان العرب: مادة (نكب) ٧٧٠/١.

(٧) التَّبُّ الخَسارُ والتَّبابُ الخُسْرانُ والهَلاكُ وتَبَّتْ يَداهُ تَبّاً وتَباباً خَسِرتَا، لسان العرب: مادة (تبب) ٢٢٦/١.

لَكُمْ وسُحْقاً[(١)] ، وَيْلَكُمْ، أَتَدْرُونَ أَيَّ دَوَاهٍ[(٢)] دَهَتْكُمْ[(٣)]؟ وَأَيَّ وِزْرٍ عَلَى ظُهُورِكُمْ حَمَلْتُمْ؟! وَأَيَّ دِمَاءٍ سَفَكْتُمُوها[(٤)]؟ وَأَيَّ كَرِيمَةٍ أَصَبْتُمُوهَا؟ وَأَيَّ صِبيَةٍ سَلَبْتُمُوهَا)[(٥)]؟ وأَيَّ أَمْوَالٍ انتَهَبْتُمُوها[(٦)]؟، قَتَلْتُمْ خَيْرَ رِجَالاتٍ بَعْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، وَنُزِعَتِ[(٧)] الرَّحْمَةُ مِنْ قُلُوبِكُمْ ألا إنّ حِزْبَ[(٨)] اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ[(٩)]، وحِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ.

ثُمَّ قالَتْ:

---

(١) سَحَقَ الشيءَ يَسْحَقُه سَحْقاً دقَّه أشد الدقّ وسَحَقَت الريحُ الأَرض تَسْحَقُها سَحْقاً إذا عَفَّت الآثار، لسان العرب: مادة (سحق) ١٥٢/١٠.

(٢) الداهِية الأَمرُ المُنْكَر العظيم وقولهم هي الدَّاهِية الدَّهْواء بالَغُوا بها والمصدر الدَّهاءُ، لسان العرب: مادة (دها) ٢٧٦/١٤.

(٣) دَهَتْه داهِيةٌ ودواهِي أي ما يُصِيبُ الناسَ من عظيم نُوَبِ الدهر، لسان العرب: مادة (دها) ٢٧٦/١٤.

(٤) السَّفْكُ صَبُّ الدم وسَفَك الدمَ يَسْفِكُه سَفْكاً صبه وهَرَاقَه وكأَنه بالدم أَخص، لسان العرب: مادة (سفك) ٤٣٩/١٠.

(٥) سَلَبَه الشيءَ يَسْلُبُه والاسْتِلابُ الاختِلاس والسَّلَب ما يُسْلَبُ والجمع أَسْلابٌ وكل شيءٍ على الإِنسانِ من اللباسِ فهو سَلَبٌ والفعل سَلَبْتُه، لسان العرب: مادة (سلب) ٤٧١/١.

(٦) النَّهْبُ الغارةُ والسَّلْبُ، لسان العرب: مادة (نهب)٧٧٣/١.

(٧) نَزَعَ الشيءَ يَنْزِعُه نَزْعاً فهو مَنْزُوع وانْتَزَعَه فانْتَزعَ أي اقْتَلَعَه فاقْتَلَعَ وفرّق، لسان العرب: مادة (نزع) ٣٤٩/٨.

(٨) الحِزْبُ: جَماعةُ الناسِ والجمع أَحْزابٌ والأَحْزابُ جُنودُ الكُفَّار، لسان العرب: مادة (حزب) ٣٠٨/١.

(٩) غَلَبه يَغْلِبُه غَلْباً وغَلَبا أيَ قَهَره، لسان العرب: مادة (غلب) ٦٥١/١.

قَتَلْـتُمْ أَخِـي صَـبْراً فَوَيْـلٌ[١] لأُمِّكُـمْ سَـتُجْزَوْنَ[٢] نَـاراً حَرُّهَـا يَتَوَقَّـدُ[٣]
سَـفَكْتُمْ[٤] دِمـاءً حَـرَّمَ اللّهُ سَـفْكَهَا وحَرَّمَهَـا القُـرْآنُ ثُـمَّ مُحَمَّـدُ
أَلا فَابْـشِرُوا بِالنَّـارِ إِنَّكُـمُ غَـداً لَفِـي قَعْـرِ[٥] نـارٍ حَرُّهَـا يَتَـصَعَّدُ[٦]
وَإِنِّـي لأَبْكِـي فِي حَيَـاتِي عَلَـى أَخـي عَلَـى خَيْـرِ مَـنْ بَعْـدَ النَّبِـيِّ سَـيُولَدُ
بِـدَمْعٍ غَزِيـرٍ[٧] مُـسْتَهَلٍّ[٨] مُكَفْكَـفٍ[٩] عَلَى الخَدِّ مِنّي دائِماً لَيْسَ يُخْمَدُ[١٠]

قال الراوي:

فَضَجَّ[١١] النَّاسُ بِالبُكاءِ وَالنَّوحِ ونَشَرَتِ النِّساءُ شُعُورَهُنَّ، وَوَضَعْنَ

---

(١) وَيْلٌ كلمة مثل وَيْحٍ إِلاَّ أَنَّها كلمة عَذاب، لسان العرب: مادة (ويل) ١١/٧٣٧.
(٢) الجَزاءُ المُكافأَة على الشيء، لسان العرب: مادة (جزي) ١٤/١٤٥.
(٣) الوَقَدُ نَفْسُ النَّارِ لحطب ووَقَدت النار وقوداً مثل قَبِلْتُ الشيءَ قَبُولاً، لسان العرب: مادة (وقد) ٣/٤٦٥.
(٤) السَّفْكُ صَبُّ الدم وسَفَك الدمَ يَسْفِكُه سَفْكاً صبه وهَراقَه وكأَنه بالدم أَخص، لسان العرب: مادة (سفك) ١٠/٤٣٩.
(٥) قعركل شيء أَقصاه وجمعه قُعُور وقَعَر البئرَ وغيرها عَمَّقَها، لسان العرب: مادة (قعر) ٥/١٠٨.
(٦) تَصَعَّدَهُ الأَمْرُ إِذا شق عليه وصَعُب، لسان العرب: مادة (صعد) ٣/٢٥١.
(٧) الغَزارةُ الكثرة وقد غَزُرَ الشيء بالضم يَغْزُر فهو غَزِيرٌ، لسان العرب: مادة (غزر) ٥/٢٢.
(٨) انهلَّت عينُه وتَهَلَّلتْ سالت بالدمع وتَهَلَّلتْ دموعُه سالت واستهلَّت العين دمَعت، لسان العرب: مادة (هلل) ١١/٧٠١.
(٩) كفّ الشيءَ يكُفُّه كَفّاً جمعه والكَفْكفة كفُّك الشيء أَي ردُّك الشيء عن الشيء وكفْكَفْت دمْع العين، لسان العرب: مادة (كفف) ٩/٣٠١.
(١٠) خَمَدَت النار تَخْمُد خُموداً سكن لهبها ولم يُطْفأْ جمرها، لسان العرب: مادة (خمد) ٣/١٦٥.
(١١) ضَجَّ القوم يَضِجُّون ضَجيجاً فَزِعُوا من شيء، لسان العرب: مادة (ضجج) ٢/٣١٢.

التُّرابَ عَلَى رُؤُوسِهِنَّ، وَخَمَشْنَ[١] وُجُوهَهُنَّ، وَلَطَمْنَ خُدُودَهُنَّ[٢]، وَدَعَوْنَ بِالوَيْلِ[٣] والثُّبُوْرِ[٤]، وَبَكَى الرِّجالُ ونَتَفوا[٥] لِحَاهُم فَلَمْ يُرَ باكِيَةٌ وَبَاكٍ أكْثَرَ مِنْ ذلِكَ اليَومِ»[٦].

---

(١) الخَمْشُ الخدْشُ في الوجه وقد يستعمل في سائر الجسد، لسان العرب: مادة (خمش)٦/٢٩٩.

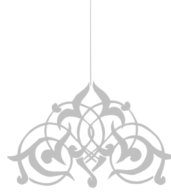
(٢) اللَّطْمُ ضَرْبُك الخدَّ وصَفْحةَ الجسد، لسان العرب: مادة (لطم)١٢/٥٤٢.

(٣) الوَيْلُ الحُزْن والهَلاك والمشقَّة من العَذاب وكلُّ مَن وَقع في هَلَكة دَعا بالوَيْل، لسان العرب: مادة (ويل) ١١/٧٣٧.

(٤) مَثْبُوراً أي هالكا، وثُبوراً ويلاً وهلاكا، لسان العرب: مادة (ثبر) ٤/٩٩.

(٥) النَّتْفُ نزع الشعر وما أَشبهه، لسان العرب: مادة (نتف) ٩/٣٢٣.

(٦) اللهوف في قتلى الطفوف: ١٠٠، بحار الأنوار: ٤٥ / ١١٢.



خطبَة السيدة زينب عليها السلام في الشام[1]

روي أنّه لّما دخل عليّ بن الحسين عليه السلام وحرمه على يزيد، وجيء برأس الإمام الحسين عليه السلام ووضع بين يديه، فجعل يضرب ثناياه بمخصرة كانت في يده، فقامت إليه السيدة زينب بنت علي عليها السلام وأمّها فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت[2]:

«الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة على جدّي سيّد المُرسَلين[3]، صَدَقَ الله سُبحانه كذلك يقول[4]: { ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُون }[5].

(١) بلاغات النساء: ٢٠ - ٢٣؛ مقتل الخوارزمي: ٢ / ٧١ - ٧٤، الاحتجاج: ٢ / ١٢٢ - ١٣٠، اللّهوف: ٢١٥، مُثير الأحزان: ١٠١، نثرُ الدُرُّ: ١٧ - ١٩، بحار الأنوار: ٤٥ / ١٣٣ - ١٣٥، وردت في هذه الكتب باختلاف في ألفاظها.

(٢) الاحتجاج: ٢ / ١٢٢ - ١٢٣.

(٣) في بلاغات النساء: هذه المُقَدّمة محذوفة.

(٤) في بلاغات النساء ونثرُ الدُرُّ: صدق الله ورسوله يا يزيد.

(٥) الروم / ١٠.

أَظَنَنْتَ يَا يَزِيدُ أَنّك(١) حينَ أخَذْتَ(٢) عَلَيْنَا أقطارَ(٣) الأرضِ(٤)، وَضَيَّقْتَ عَلَيْنَا آفَاقَ(٥) السَّمَاء، فَأَصْبَحْنَا لك في إسارِ(٦) [الذل]، نُسَاقُ(٧) إليك سَوقاً في قِطار(٨)، وأنْتَ عَلَينا ذو اقتِدار أَنَّ بِنَا مِنَ اللّهِ هَوَاناً(٩) وعلَيْكَ منه كَرَامةً وامتِناناً(١٠)، وَأَنَّ ذَلِكَ لِعِظَم خَطَرِكَ(١١)، وجلالة قَدْرك(١٢)، فَشَمَخْتَ(١٣)

---

(١) في بلاغات النساء ونثرُ الدُرُّ: أنّه.

(٢) في بلاغات النساء ونثرُ الدُرُّ: حين أُخِذَ.

(٣)أَقطار السموات والأَرض أَقطارُها نواحيها، لسان العرب: مادة (قطر) ٥ /١٠٥.

(٤) في بلاغات النساء ونثرُ الدُرُّ: بأطرافِ الأرض.

(٥)آفاق السماء نواحيها، لسان العرب: مادة (أفق) ١٠ / ٥، وقد ورد في بلاغات النساء ونثر الدر: وأكناف السماء،ومعنى أكناف: الكَنَفُ والكَنَفةُ ناحية الشيء، لسان العرب: مادة (كنف)٩ / ٣٠٨.

(٦) في بلاغات النساء ونثرُ الدُرُّ: فَأَصْبَحْنَا نُسَاقُ كَمَا يُسَاقُ الأُسارى، والإِسار بالكسر: مصدر: أسرته أسراً وإساراً، وهو أيضاً الإِسارُ الْقَيْد، لسان العرب: مادة (أسر) ٤ / ١٩.

(٧)السوق: ساقَ الإِبلَ وغيرَها يَسُوقها سَوْقاً وسِياقاً وهو سائقٌ وسَوَّاق، لسان العرب:، مادة (سوق) ١٠ / ١٦٦.

(٨)قطار: قَطَرَ الإِبلَ يَقْطُرها قَطْراً وقَطَّرها قَرَّب بعضَها إِلى بعض على نَسَقٍ، لسان العرب: مادة (قطر) ٥ / ١٠٥.

(٩) الهَوانُ: نقيض العِزِّ، لسان العرب: مادة (هون) ١٣ / ٤٣٨.

(١٠) في بلاغات النساء: أنّ بنا هواناً على الله وبك عليه كرامة.

(١١) في بلاغات النساء: إنّ هذا لعظيم خَطَرِك، الخَطْرُ مصدر خَطَرَ الفحلُ بذنبه يَخْطِرُ خَطْراً وخَطَراناً وخَطِيراً رَفَعَهُ مرة بعد مرة وضرب به حاذيْهِ وهما ما ظهر من فَخِذيْه، لسان العرب: مادة (خطر) ٤/ ٢٤٩.

(١٢) في بلاغات النساء: بحذف (جلالة قَدْرِك)/، ومعنى جلالة: من جل الشيءُ يَجِلُّ جَلالاً وجَلالةً وهو جَلٌّ وجَلِيلٌ وجُلال عَظُم، لسان العرب: مادة (جلل) ١١ / ١١٦.

(١٣)الشامخ: الرافع أَنفه عِزّاً وتكبراً، لسان العرب: مادة (شمخ) ٣ / ٣٠.

بِأَنْفِكَ، وَنَظَرْتَ فِي عِطْفِك[١]، تضرب أصْدَرَيْك[٢] فَرِحاً وتَنْقُض مِذْرَوَيْك[٣] مرحاً[٤] حِيْنَ رَأَيْتَ الدُّنيا لَكَ مُسْتَوْسِقَة[٥] والأُمُورَ لَدَيك مُتَّسِقَة[٦] وَحِيْنَ صَفَا لَكَ مُلْكُنَا، وَخَلُصَ لَكَ سُلْطَانُنَا، فَمَهلاً مَهْلاً لا تَطِش[٧] جَهْلاً! أَنَسِيْتَ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلّ[٨]: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾[٩].

أمِنَ العَدْل يا بنَ الطُّلَقَاءِ[١٠] تخديرُك[١١] حرائِرَك[١٢] وإماءَك[١٣]،

---

(١) عطف الشّيء: جانبه، ونظر في عطفه: أخذه العجب، وتعاطَف في مَشْيه تَثَّى يقال فلان يتَعاطفُ في مِشْيته بمنزلة يتَهادى ويَتمايلُ من الخُيلاء والتَبَخْتُر، لسان العرب: مادة (عطف) ٩ / ٢٤٩.

(٢) أَصْدَرَيه: منكبيه، أَصْدَرَانِ عِرْقان يضربان تحت الصُّدْغَيْنِ لا يفرد لهما واحد وجاء يضرِب أَصْدَرَيْه إِذا جاء فارِغاً يعني عِطْفَيْهِ، لسان العرب: مادة (صدر)٤ / ٤٤٥.

(٣) المذروان: المِذْرَوَانِ طرفا كلِّ شيء وقيل هما فَرْعَا المَنْكِبَيْن، وجاء فلان ينفض مذرويه إِذا جاء باغياً يَتَهَدَّدُ، والمِذْرَوَانِ الجانِبَانِ من كل شيء، لسان العرب: مادة (ذرا) ١٤ / ٢٨٢.

(٤)المَرَحُ التبختر والاختيال، لسان العرب: مادة (مرح) ٢ / ٥٩١.

(٥)مستوسقة مجتمعة، لسان العرب: مادة (وسق) ١٠ / ٣٧٨.

(٦)الوَسْق: ضم الشيء إلى الشيء، لسان العرب: مادة (وسق) ١٠ / ٣٧٨.

(٧)الطَّيْش خفَّة العقل، لسان العرب: مادة (طيش) ٦ / ٣١٢.

(٨) في بلاغات النساء: ونظرت في عطفيك جذلان فرحاً حين رأيت الدّنيا مستوسقة لك والأُمور مُتّسِقَة عليك وقد أهملت ونفست وهو قول الله تبارك وتعالى.

(٩) آل عمران / ١٧٨.

(١٠) الطَّليق الأَسير الذي أُطْلِق عنه إِسارُه وخُلِّيَ سبِيلُه، لسان العرب: مادة (طلق) ١٠ / ٢٢٥.

(١١) تخديرك من الخدر وهوُ سِتْرٌ يُمَدُّ للجارية في ناحية البيت، لسان العرب: مادة (خدر) ٤ / ٢٣٠.

(١٢) الحرائر مفردها الحرة وهي: نقيض الأَمة والجمع حَرائِرُ، لسان العرب: مادة (حرر) ٤ / ١٧٧، وورد في بلاغات ا لنساء: تخديرك نساءك.

(١٣)الإماء مفردها الأمة وهي: المَمْلوكةُ خِلاف الحُرَّة، لسان العرب: مادة (أما) ١٤/ ٤٤.

وَسَوقُكَ بناتِ رسولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، قد هَتَكْتَ(١) سُتُورَهُنَّ(٢)، وأبديْتَ(٣) وُجُوهَهُنَّ(٤)، يحدو(٥) بِهِنَّ الأعداءُ مِنْ بَلَدٍ إلى بَلَدٍ، وَيَسْتَشْرِفُهُنَّ(٦) أَهْلُ المناقِلِ(٧)، ويبرزن لأهل المناهل(٨)، وَيَتَصَفَّحُ(٩) وُجُوهَهُنَّ القَرِيبُ والبَعِيدُ(١٠)، والغائِبُ والشّهيدُ، والشّريفُ(١١) والوَضِيع(١٢)، وَالدّني(١٣) والرّفيع(١٤) لَيْسَ مَعَهُنَّ مِنْ رِجَالِهِنَّ وَلِيّ(١٥)، ولا مِنْ حُمَاتِهِنَّ حَمِيمٌ(١٦)،

(١)الهَتْكُ خَرْقُ السِّتْر عما وراءه، لسان العرب: مادة (هتك) ١٠ / ٥٠٢.

(٢)سَتَرَ الشيءَ يَسْتُرُه ويَسْتِرُه سَتْراً وسَتَراً أَخفاه، لسان العرب: مادة (ستر) ٤ / ٣٤٣.

(٣)بَدا الشيءُ: يَبْدُو بَدْواً وبُدُوّاً وبَداءً ظهر، لسان العرب: مادة (بدا) ١٤ / ٦٥.

(٤) في بلاغات النساء: وَأَصْحَلَت صوتَهُنَّ مكتئبات.

(٥)يحدو من الحَدْوُ وهو: سَوْقُ الإِبل، لسان العرب: مادة (حدا) ١٤ / ١٦٨.

(٦) اسْتَشْرَفْت الشيءَ: إذا رَفَعْتَ رأْسَك أَو بصَرك تنظر إليه، لسان العرب: مادة (شرف) ٩ / ١٦٩.

(٧)المَناقِل المَراحِل والمَنْقَلُ الطريق، لسان العرب: مادة (نقل) ١١ / ٦٧٤.

(٨) المَنْهَل من المياه كلُّ ما يَطَؤه الطريق، لسان العرب: مادة (نهل) ١١ /٦٨٠.

(٩)صَفَحَ وُجُوهَهم وتَصَفَّحَها نظرها مُتَعَرِّفاً لها وتَصَفَّحْتُ وُجوهَ القوم إِذا تأَمَّلْتَ وجوههم، لسان العرب: مادة (صفح) ٢ / ٥١٢.

(١٠) في بلاغات النساء: (تحدي بهنَّ الأباعر ويحدو بهنَّ الأعادي من بلد إلى بلد لا يُراقِبْن ولا يؤوين يَتَشَوَّفُهُنّ القريبُ والبعيدُ).

(١١)الشَّرَفُ الحَسَبُ بالآباء، لسان العرب: مادة (شرف) ٩ / ١٦٩.

(١٢)الوَضِيعُ الدَّنِيءُ من الناس، لسان العرب: مادة (وضع) ٨ / ٣٩٦.

(١٣)الدَّنِيُّ الخَسِيس، لسان العرب: مادة (دنا) ١٤ / ٢٧١.

(١٤) الرِّفْعة خلاف الضّعة رَفُع يَرْفُع رَفاعة فهو رَفيع إِذا شَرُف، لسان العرب: مادة (رفع) ٨ / ١٢٩.

(١٥) في بلاغات النساء: ليس معهنّ ولي من رجالهنّ.

(١٦)الحَمِيمُ القَرابةُ يقال مُحِمٌّ مُقْرِب، لسان العرب: مادة (حمم) ١٢ /١٥٠، وورد في اللهوف: ولا مِنْ حُمَاتِهِنّ حَمِيّ، ومعنى حمي من وَلِيَ الزوجَ من ذي قَرابته فهم أَحْماء المرأَة، لسان العرب: مادة (حما) ١٤ / ١٩٧.

عُتُوّاً(١) منك على الله، وجحوداً(٢) لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ودفعاً لما جاء به من عند الله، ولا غرو منكَ ولا عجب من فِعْلِك، وأنَّى يُرْتَجَى(٣) الخير مِمَّن(٤) لَفَظَ فُوهُ أَكْبَادَ الشُّهَدَاءِ، وَنَبَتَ لَحْمُهُ بِدِمَاءِ السُّعَدَاء، وَنَصَبَ(٥) الحرب لسيّد الأنبياء، وَجَمَعَ الأحزاب(٦)، وَشَهَرَ(٧) الحِرَاب(٨)، وهزَّ(٩) السُّيوف في وجهِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم، أشدّ العربِ لله جحوداً، وأنكَرَهُم(١٠) لَهُ رَسُولاً، وَأَظْهَرهُمْ لَهُ عُدواناً، وَأَعْتَاهُمْ عَلَى الرَّبِّ كُفْراً وَطُغْيَاناً(١١).

إلا أنَّها نتيجةُ خَلال(١٢) الكُفر، وَضَبٌّ(١٣) يُجَرْجَر(١٤) في الصّدر لِقَتْلَى

(١)عَتَا يَعْتُو عُتُوّاً وعِتِيّاً اسْتَكْبَرَ وجاوَزَ الحَدّ، لسان العرب: مادة (عتا)١٥ / ٢٧.

(٢)الجَحْدُ والجُحُود نقيض الإِقرار كالإِنكار، لسان العرب: مادة (جحد) ٣ / ١٠٦.

(٣)الرَّجَاءُ من الأَمَلِ نَقِيضُ اليَأْس، لسان العرب: مادة (رجا) ١٣ / ٣٠٩.

(٤) في بحار الأنوار: وأنّى تُرْتَجَى مُرَاقَبَة من.

(٥)نَصَبَ له الحربَ نَصْباً وَضَعَها، لسان العرب: مادة (نصب) ١ / ٧٥٨.

(٦)الحِزْبُ جَماعةُ الناسِ والجمع أَحْزاب، لسان العرب: مادة (حزب) ١ /٣٠٨.

(٧)شَهَر فلان سيفَه يَشْهَرُهُ شَهْراً أَي سَلَّه وشَهَّرَهُ انْتَضاه فرفعه على الناس، لسان العرب: مادة (شهر) ٤ /٤٣١.

(٨)والحَرْبَةُ الأَلَّةُ دون الرُّمْح وجمعها حِرابٌ، لسان العرب: مادة (حرب) ١ / ٣٠٢.

(٩)الهَزُّ تحريك الشيء كما تَهُزُّ القَناةَ فتضطرب وتَهْتَزّ، لسان العرب: مادة (هزز) ٥ / ٤٢٣.

(١٠)الإِنْكارُ الجُحُودُ والمُناكَرَةُ المُحارَبَةُ، لسان العرب: مادة (نكر) ٥ / ٢٣٢.

(١١)طَغَى يَطْغى طَغْياً ويَطْغُو طُغْياناً جاوَزَ القَدْرَ وارتفع وغَلا في الكُفْر، لسان العرب: مادة (طغى) ١٥ / ٧.

(١٢)الخِلال وهي الخِصال، لسان العرب: مادة (خلل) ١١ / ٢١١.

(١٣) الضبّ: الضَّبُّ الحِقْد في الصَّدْر، لسان العرب: مادة (ضبب) ١ / ٥٣٨.

(١٤) يُجرْجَر: الجَرْجَرَةُ صوت البعير عند الضَّجَر، لسان العرب: مادة (جرر) ٤ / ١٢٥.

يَـومِ بَـدْر، فَـلا يُـسْتَبْطَأُ فِي بُغْـضِنا أهـلَ البَيْـت مَـنْ كَـانَ نَظَـرُهُ إلينَـا شَـنَفَاً(١) وشـنآناً(٢) وإحنـاً(٣) وأضـغاناً(٤)، يُظْهِـرُ كُفْـرَهُ برسـولِ اللّٰهِ صلـى اللّٰه عليـه وآلـه وسلم ويُفصِحُ(٥) ذلك بِلِسَانِهِ، وهوَ يَقُول - فرِحاً بِقَتْلِ وِلْدِهِ وَسَبْيِ(٦) ذُرِّيَّته، غيرَ مُتَحَوِّب(٧) وَلا مُسْتَعْظِمٍ(٨) - يهتف بأشياخه:

لأهلُّوا واسْتَهَلُّوا فَرَحَـاً ... وَلَقَـالُوا يَـا يَزِيْـدُ لا تُـشَل

مُنْتَحِياً(٩) على ثَنايا أبي عبدِ اللّٰهِ(١٠) - وكان مُقبَّل رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم - ينكُتُها(١١) بمِخصرته(١٢) قَدِ التَمَعَ(١٣) السُّرور بِوَجْهِه.

(١) شَنَفاً: شَنِفَه شَنَفاً أَبْغَضَه، لسان العرب: مادة (شنف) ٩ / ١٨٣.

(٢)الشَّنْآنُ بإِسكان النون البِغْضة، لسان العرب: مادة (شنأ) ١ / ١٠١.

(٣)الإِحْنَةُ الحِقْدُ في الصدر، لسان العرب: مادة (أحن) ١٣ / ٨.

(٤)الضِّغْنُ والضَّغَنُ الحِقْد، لسان العرب: مادة (ضغن) ١٣/٢٥٥، وورد في بلاغات النساء: وكيف يُستبطأ في بغضتنا من نظر إلينا بالشَّنَق والشنآن والاحن والأضغان.

(٥) صُحَ فَصاحة وهو البَيِّنُ في اللسان والبَلاغة، لسان العرب: مادة (فصح) ٢ / ٥٤٤.

(٦)السَّبْيُ والسِّباءُ الأَسْر، لسان العرب: مادة (سبى) ١٤ / ٣٦٧.

(٧) الحوب: الحُوبُ الإِثم العظيم، لسان العرب: مادة (حوب) ١ / ٣٤٠.

(٨) في بلاغات النساء: غير متأثّم ولا مُسْتَعْظِم.

(٩) وفي بعض النسخ: مُنْحَنِياً، من: حَنَا الشيءَ حَنْواً وحَنْياً وحَنَّاهُ عَطَفَه، لسان العرب: مادة (حنا) ١٤ / ٢٠٢.

(١٠) في بلاغات النساء: وأنت تنكُث ثنايا أبي عبد الله، والثناياهي: ثَنايا الإنسان في فمه الأربعُ التي في مقدم فيه، لسان العرب: مادة (ثنا) ١١ / ١١٥.

(١١)النَّكْتُ قَرْعُكَ الأَرضَ بعُود أَو بإِصْبَع، لسان العرب: مادة (نكت) ٢ /١٠٠.

(١٢)المِخْصَرَةُ ما اخْتَصَرَ الإِنسانُ بيده فأَمسكه من عصا أَو مِقْرَعَةٍ أَو عَنَزَةٍ أَو عُكَّازَةٍ أَو قضيب، لسان العرب: مادة (خصر) ٤ /٢٤٠، وورد في بلاغات النساء: تنكثها بمِخْصَرتك.

(١٣)لَمَعَ الشيءُ يَلْمَعُ لَمْعاً ولَمَعَاناً ولُمُوعاً ولَمِيعاً وتِلِمّاعاً وتَلَمَّعَ كلُّه بَرَقَ وأَضاءَ، لسان العرب: مادة (لمع) ٨ / ٣٢٤.

لَعَمْرِي لَقَد نَكَأْتَ(١) القُرْحَةَ(٢)، واستَأْصَلْتَ الشَّأْفَةَ(٣)، بِإِرَاقَتِكَ(٤) دم سيد شباب أهل الجنَّة(٥)، وابن يعسوب العرب، وشمسِ آل عبد المطلب(٦)، وهتَفتَ بِأَشْيَاخِكَ، وتقرّبت بدمهِ إلى الكفرة من أسلافك (٧)، ثُمَّ صَرَخْتَ بِندَائِكَ، وَلَعَمْرِي لَقَدْ نَادَيْتَهُم لَوْ شَهِدُوك! وَوَشِيكاً (٨) تَشْهَدُهُم وَلَمْ يَشْهَدُوكَ، وَلَتَوَدُّ يَمِينُكَ كَمَا زعمت شُلَّتْ (٩) بِكَ عَنْ مِرْفَقِهَا وَجذّت (١٠)، وَأَحْبَبْتَ أُمَّكَ لَمْ تَحْمِلْكَ وأباكَ لَمْ يَلِدْكَ حِيْنَ (١١) تَصِيرُ إلى سَخَط الله ومُخَاصِمُك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. اللّهمَّ خُذ بِحَقِّنا، وانْتَقِمْ مِنْ ظَالِمِنَا(١٢)، وَأَحْلِلْ

---

(١) نكأت من نَكَأَ القَرْحَةَ يَنْكَؤُها نَكْأً قشرها قبل أَن تَبْرَأَ، لسان العرب: مادة (نكأ) ١ / ١٧٣.

(٢)القَرْحَ الجِراحاتُ بأَعيانها، لسان العرب: مادة (قرح) ٢ / ٥٥٧، وورد في بلاغات النساء: ولم لا تكون كذلك وقد نكأت القرحة.

(٣)الشأْفةُ: قَرْحةٌ تخرج في القَدم وقيل في أَسْفَل القدم، لسان العرب: مادة (شأف) ٩ / ١٦٧؛ وفي بلاغات النساء: استأصلت الشأفة.

(٤)أَراقَ الماء يُرِيقه ويُهَرِيقُه صبَّه، لسان العرب: مادة (روق) ١٠ /١٣١.

(٥) في بلاغات النساء ونثرُ الدُرُّ بإهراقك دماء ذُرّيّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(٦)اليَعْسُوب السَّيِّدُ والرئيسُ والمُقَدَّمُ، لسان العرب: مادة (عسب) ١ / ٥٩٨، وورد في بلاغات النساء: (ونجوم الأرض من آل عبد المطّلب) مع حذف (وابن يعسوب الدّين).

(٧)القومُ السُّلاَّفُ المتقدّمون وسَلَفُ الرجل آباؤُه المتقدّمون والجمع أَسْلاف، لسان العرب: مادة (سلف) ٩ / ١٥٨.

(٨) وفي بلاغات النساء: ولتردنّ على الله وشيكاً؛ والوَشيك: السريع والقريب، لسان العرب: مادة (وشك)١٠ / ٥١٣.

(٩)الشَّلَلُ يُبْسُ اليَدِ وذَهابُها، لسان العرب: مادة (شلل) ١١ / ٣٦٠.

(١٠) الجَذُّ كسر الشيء الصُّلْب جَذَذْتُ الشيءَ كسرتُه وقطَعْتُه، لسان العرب: مادة (جذذ) ٣ / ٤٧٩.

(١١) وفي بعض النسخ: وإيّاك لم تلد، أو حين...

(١٢) في بلاغات النساء: وانتقم لنا مِمَّن ظلمنا.

غَضَبَكَ(١) عَلَى مَنْ سَفَكَ(٢) دِمَاءَنَا وَنَقَضَ(٣) ذِمَارَنَا(٤)، وَقَتَلَ حُمَاتَنَا، وَهَتَكَ(٥) عنَّا سُدُولَنَا(٦)، وَفَعَلْتَ فِعْلَتَكَ الَّتي فَعَلْتَ، وَمَا فَرَيْتَ(٧) إلا جِلْدَكَ(٨)، وَمَا جَزَزْتَ(٩) إلا لَحْمَكَ(١٠)، وَسَتَرِدُ عَلَى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بِما تَحَمّلتَ مِنْ دمِ ذُرِّيَّتِه، وانتهَكْتَ(١١) مِنْ حُرْمَتِه، وَسَفَكْتَ(١٢) من دماءِ عِتْرَتِه وَلَحْمتِه، حَيْثُ يَجْمَعُ بِهِ شَمْلَهُم(١٣)، وَيَلِمّ بِهِ شَعْثَهُم(١٤)، وَيَنْتَقِم مِن

(١) في بعض النُّسَخ: وَاجْعَل غَضَبَك.
(٢) في بحار الأنوار واللّهوف: بِمَنْ سَفَكَ، ومعنى السَّفْكُ صَبُّ الدم، لسان العرب: مادة (سفك) ١٠ / ٤٣٩.
(٣)النَّقْضُ إِفْسادُ ما أَبْرَمْتَ من عَقْدٍ أَو بِناء، لسان العرب: مادة (نقض) ٧ / ٢٤٢.
(٤) نقض ذمارنا: (الذمار) بالكسر: ما لزمك حِفْظُه مما وراءك ويتعلق بك، لسان العرب: مادة (ذمر) ٤ /٣١١.
(٥)الهَتْكُ خَرْقُ السِّتْر عما وراءه، لسان العرب: مادة (هتك) ١٠ /٥٠٢.
(٦) السُدُل: السُّدُولُ والسُّدُون باللام والنون ما جُلِّل به الهَوْدج من الثياب، لسان العرب: مادة (سدل) ١١ / ٣٣٣.
(٧)أَفْرَيت الشيء شققته فانْفَرى وتَفَرَّى أَي انشق، لسان العرب: مادة (فرى) ١٥ / ١٥١.
(٨) في بلاغات النساء: والله ما فريت إلا في جلدك.
(٩) الجزّ: جَزَّ الصوفَ والشعر يَجُزُّهُ جَزّاً فهو مَجْزُوزٌ وجَزِيزٌ أي قطعه، لسان العرب: مادة (جزز) ٥ / ٣١٩.
(١٠) في بلاغات النساء: ولا حزرت إلا في لحمك.
(١١)انْتِهاكُ الحُرْمة تناوُلها بما لا يحل، لسان العرب: مادة (نهك) ١ / ٤٩٩.
(١٢)السَّفْكُ صَبُّ الدم، وسَفَك الدمَ والدمعَ يَسْفِكُه سَفْكاً فهو مَسْفوك وسَفِيك صبه وهَراقَه، لسان العرب: مادة (سفك) ١/ ٤٣٩.
(١٣)شمل: مشَمْل القومِ مُجْتَمع عَدَدِهم وأَمْرِهم، لسان العرب: مادة (شمل) ١١/ ٣٦٤.
(١٤) شَعْثَه أَي جَمَعَ ما تَفَرَّقَ منه، ومعنى تَلُمُّ بها شَعَثي أَي تَجْمَعُ بها ما تَفَرَّقَ من أَمري، لسان العرب: مادة (شعث) ٢/١٦٠.

ظَالِمِهِم(١)، وَيَأْخُذ لَهُم بِحَقِّهِم مِنْ أَعْدَائِهِم، فَلا يَسْتَفِزَّنَّكَ(٢) الفَرَحُ بِقَتْلِهِم(٣)، { وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ }(٤)، وَحَسْبُكَ بِاللهِ وَلِيّاً وَحَاكِماً، وبرسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم خَصِيماً(٥)، وبجبرئيلَ ظهيراً(٦). وسيعلم من بوّأك(٧) وَمَكّنَكَ(٨) مِنْ رِقَابِ المُسْلِمِينَ أَنْ بِئْسَ للظالمينَ بَدَلاً، وأَيُّكُمْ(٩) شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ سَبِيلاً، وَمَا استِصْغَارِي(١٠) قَدْرَك(١١)، وَلا استِعْظَامِي(١٢) تَقْرِيعَك(١٣) توهّماً(١٤)

(١) في بعض النسخ: ممّن ظلمهم.
(٢)فَزَّتُه: إِذا غَرَرْتَهُ وغَلَبْتَه، لسان العرب: مادة (فزز) ٥ /٣٩١.
(٣) في بحار الأنوار: بقتله.
(٤) آل عمران / ١٦٩ - ١٧٠.
(٥)الخُصومَةُ الجَدَلُ خاصَمَه خِصاماً ومُخاصَمَةً فَخَصَمَهُ يَخْصِمهُ خَصْماً غلبه بالحجة، لسان العرب: مادة (خصم) ١٢ /١٨٠.
(٦)ورد في بعض النسخ: ... خصماً وبجبرائيل ظهيراً، ومعنى الظَّهِيرِ المُعِين، المُدَبِّرُ للأَمر، لسان العرب: مادة (ظهر) ٥٢٠/٤.
(٧)بَوَّأَه إِيَّاهُ وبَوَّأَه له وبَوَّأَهُ فيه بمعنى هَيَّأَه له وأَنْزَلَه ومَكَّنَ له، لسان العرب: مادة (بوأ) ١ /٣٦.
(٨)وتَمَكَّنَ من الشيءِ واسْتَمْكَنَ ظَفِر، لسان العرب: مادة (مكن) ١٣ /٤١٢.
(٩) في بحار الأنوار: وأنّكم.
(١٠)الصِّغَرُ ضد الكبر، واسْتَصْغَره عَدَّه صَغِيراً وصَغَّرَه وأَصْغَرَه جعلَه صَغِيراً، لسان العرب: مادة (صغر) ٤٥٨/٤.
(١١)القَدْرِأي الحُكْمِ، لسان العرب: مادة (قدر) ٧٤/٥.
(١٢) استعظمه رآه عظيماً: مادة (عظم) ١٢ / ٤٠٩.
(١٣)والتقْرِيعُ التأْنِيبُ والتعْنِيف وقيل هو الإِيجاعُ باللَّوْمِ وقَرَّعْتُ الرجلَ إِذا وَبَّخْتَه، لسان العرب: مادة (قرع) ٢٦٢/٨.
(١٤)الوَهْمُ من خَطَرات القلب والجمع أَوْهامٌ وللقلب وَهْمٌ وتَوَهَّمَ الشيءَ تخَيَّله وتمَثَّله كان في الوجود أَو لم يكن، لسان العرب: مادة (وهم). ٦٤٣/١٢.

لانتجاع[١] الخِطاب[٢] فيكَ بَعدَ أَنْ تَرَكْتَ عُيونَ المُسلمِينَ بِهِ عَبْرَى[٣]، وَصُدُورَهُم عِنْدَ ذِكْرِهِ حَرَّى[٤]، فَتِلكَ قُلوبٌ قَاسِيَة، وَنُفوسٌ طَاغِيَة[٥]، وَأَجسَامٌ مَحْشُوّة[٦] بِسَخَطِ الله[٧] وَلَعْنَة الرسول، قَدْ عَشّشَ[٨] فِيهَا الشَّيطَانُ[٩] وَفَرَّخ[١٠]، وَمِن هُنَاك مثلك ما درج[١١] ونهض.

فالعَجَبُ كُلُّ العَجَبِ لِقَتْلِ الأتقياء، وأسباط[١٢] الأنبياء، وَسَليلِ

---

(١)وانْتَجَعْنا فلاناً إِذا أَتيناه نطلُبُ مَعْرُوفه، لسان العرب: مادة (نجع) ٨/٣٤٧.

(٢)الخِطابُ والمُخاطَبَة مُراجَعَة الكَلام، لسان العرب: مادة (خطب) ١/٣٦٠.

(٣)وعَبْرى وعَبِرةٌ حزينة، لسان العرب: مادة (عبر) ٤/٥٢٩.

(٤)ورد في بعض النسخ: عند ذلك حرّى، وامرأة حرّى..، فعلى من الحرّ وهي تأنيث حرّان وهما للمبالغة..، حرّت كبدة وصدره..، واستحرّت كلاهما يبست كبده من عطش أو حزن، لسان العرب: مادة (حرَر) ٤/١٧٧.

(٥)الطَّاغِيَة الذي لا يُبالي ما أَتى يأْكلُ الناسَ ويَقْهَرُهم لا يَثْنِيه تَحَرُّجٌ ولا فَرَق، لسان العرب: مادة (طغي) ١٥/٧.

(٦)محشوة: تقول لجميع ما في البطن، لسان العرب: مادة (حشا) ١٤/١٧٨.

(٧)ورد في بعض النسخ: محشوة بغضب وَسَخط من الله، ومعنى السُّخْطُ والسَّخَطُ ضدّ الرِّضا، لسان العرب: مادة (سخط) ٧/٣١٢.

(٨) (عشش)عُشُّ الطائرِ الذي يَجْمع من حُطامِ العيدان وغيرها،، وعشَّشَ الطائرُ تَعْشيشاً كاعْتَشّ، لسان العرب: مادة (عشش) ٦ /٣١٦.

(٩)في بحار الأنوار: قد عشّش فيه الشّيطان.

(١٠)وفرّخ أي اتخذهم مقرّاً ومسكناً لا يفارقهم كما يلازم الطائر موضع بيضه وأفراخه، لسان العرب: مادة (فرخ) ٣/٤٢.

(١١)دَرَجُ البناءِ ودُرَّجُه بالتثقيل مَراتِبُ بعضها فوق بعض، لسان العرب: مادة (درج) ٢/٢٦٦.

(١٢)الأَسْباطُ خاصّة الأَولاد والمُصاصُ منهم وقيل السِّبْطُ واحد الأَسْباط وهو وَلد الوَلد، لسان العرب: مادة (سبط) ٧/٣٠٨.

الأوصياء، بِأَيدي الطُّلَقاء الخبيثة، وَنَسل العَهَرة[١] الفَجَرَة[٢]، تَنْطُف[٣] أكُفُّهُمْ مِنْ دِمَائِنَا وتَتَحَلَّبُ[٤] أَفْوَاهُهُم مِن لُحُومِنَا، تِلكَ الجُثَثُ الزَّاكِيَة[٥] عَلَى الجُيُوبِ[٦] الضاحِيَة[٧]، تَنْتَابُهَا[٨] العَوَاسِل[٩]، وتُعَفِّرُهَا[١٠] [أُمَّهَاتُ][١١] الفَرَاعِلِ[١٢]، فَلَئِنِ اتَّخَذْتَنَا مَغْنَماً[١٣] لَتَجِدَ بِنَا وَشِيْكاً مَغْرَماً[١٤]، حِيْنَ لا تَجِدُ

(١)العاهِرُ هو الزاني، لسان العرب: مادة (عهر) ٤ /٦١١.

(٢)الفُجَّار جمع فاجِرٍ وهو المُنْبَعِث في المعاصي والمحارم، لسان العرب: مادة (فجر) ٤٥/٥.

(٣) تَنْطُفُ: النطَف التَّلَطُّخ بالعيب، لسان العرب: ٣٣٤/٩، مادة (نطف).، ووردت في بعض النسخ: وَتَنْطُف.

(٤) في بلاغات النساء: وتتخلّب، وَخَلَبت: خَلَبْتُ النبات خلباً من باب قتل: قطعته، ومنه المخلب للطائر، ومعنى (تتحَلّب): تسيل.

(٥) الزَّكاةُ الصلاحُ ورجل تقيٌّ زَكِيٌّ أي زاكٍ من قوم أَتْقياء أَزْكِياء، لسان العرب: مادة (زكا) ١٤ /٣٥٨.

وقد ورد في بلاغات النساء: وللجُثَث الزَّاكية.

(٦) الجَبُوب: بالفتح: الأرض الغليظة، وقيل هو المَدَر، وفي بلاغات النساء: على الجُيوب.

(٧)الضَّاحية والضَّحيَّةُ، لسان العرب: مادة (ضحا) ٤٧٤/١٤.

(٨)أَنَّبَ الرَّجُلَ تَأْنِيباً عَنَّفَه ولامَه ووبَّخَه، لسان العرب: مادة (أنب) ٢١٦/١.

(٩) تنتابُها العواسل: تأتي مرّة بعد أُخرى، والعواسل: الذِئاب، وفي بعض النُسخ وردت: (تنتاشها العواسل)، وكلاهما بمعنى واحد.

(١٠) التعفير العَفَرُ ظاهر التراب، لسان العرب: مادة (عفر) ٤/ ٥٨٣، وورد في بلاغات النساء واللّهوف: وتعفوها.

(١١) وردت كلمة أُمّهات في رواية ابن طيفور (ت٢٨٠).

(١٢)الفُرْعُل ولد الضَّبُع، لسان العرب: مادة (فرعل) ٥١٨/١١، وفي بعض النُسخ وردت: الفواعل ومعناها: أولاد الضباع.

(١٣)غَنِم الشيءَ غُنْماً فاز به وتَغَنَّمه واغْتَنَمه عدّه غَنِيمة، لسان العرب: مادة (غنم) ٤٤٥/١٢.

(١٤)المَغْرَمِ وهو مصدر وضع موضع الاسم ويريد به مَغْرَمَ الذنوب والمعاصي، لسان العرب: مادة (غرم) ٤٣٦/١٢.

إلا مَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ، وَمَا اللهُ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ[(١)]. فَإِلى اللهِ المُشْتَكَى والمُعَوَّل[(٢)]، وإلَيه المَلجَأ[(٣)] والمُؤمل، ثُمَّ كِدْ كَيْدَكَ[(٤)]، وَاجْهَدْ جَهْدَك فو[اللهِ] الذي شَرَّفَنَا بِالوَحْي والكِتاب، والنُبوّة والانتِجَاب[(٥)]، لا تُدركُ أَمَدَنا[(٦)]، وَلا تَبْلُغ غايَتَنا، ولا

(١) وفي بلاغات النساء: ... وَسَيَعْلم من بوّأك ومكّنك من رقاب المؤمنين إذا كان الحكم الله والخصم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وجوارحك شاهدة عليك فبئس للظالمين بدلاً أيّكم شرّ مكاناً وأضعَفُ جُنداً مع أنّي والله يا عدوّ الله وابن عدوّه أستصغر قدرك وأستعظم تقريعك غير أنّ العُيُون عبرى والصّدور حرّى وما يجزي ذلك أو يغني عنّا وقد قتل الحسين عليه السلام وحزب الشيطان يقر بنا إلى حزب السُّفهاء ليعطوهم أموال الله على انتِهاك محارم الله، فهذهِ الأيدي تَنْطُفُ من دمائنا وهذه الأفواه تتحلّب من لحومنا وتلك الجُثَثُ الزواكي يعتامها عسلان الفلوات فلئن اتّخذتنا مغنماً لتتّخذنّ مغرماً حين لا تجد إلا ما قدّمت يداك تستصرخ يا بن مرجانة ويستصرخ بك وتتعاوى وأتباعُك عند الميزان وقد وجدت أفضل زاد زوّدك معاوية قتلك ذرّية محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فوالله ما تقيت غير الله ولا شكواي إلا إلى الله فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فوالله لا يرحَض عنك عارُ مَا أتيت إلينا أبداً والحمد لله الذي ختم بالسعادة والمغفرة لسادات شُبّان الجنان فأوجب لهم الجنّة، أسأل الله أن يرفع لهم الدرجات وأن يُوجب لهم المزيد من فضله فإنّه وليٌّ قدير.

(٢) العَوْلُ والعَوِيل الاستغاثة ومنه قولهم مُعَوَّلي على فلان أَي اتِّكالي عليه واستغاثتي به، لسان العرب: ١١/٤٨١، مادة (عول).

(٣) لَجَأَ ولُجُوءاً ومَلْجَأً ولَجِئَ لَجَأً والْتَجَأَ وأَلْجأْتُ أَمْري إِلى الله أَسْنَدت، لسان العرب: ١/١٥٢، مادة (لجأ)

(٤) ورد في بلاغات النساء: ولا شكواي إلا إلى الله فكد كيدك، والمعنى كَدَّ الشيءَ يَكُدُّه واكتَدَّه نزعه بيده، والكَدُّ الشدّة في العَمَل، لسان العرب: مادة (كدد)٣/٣٧٧.

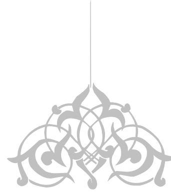
(٥) النَّجيبُ الفاضلُ من كلِّ حيوانٍ وقد نَجُبَ يَنْجُبُ نَجابةً إِذا كان فاضلاً نَفيساً في نوعه، لسان العرب: مادة (نجب) ١/٧٤٨.

وورد في بعض النسخ: الانتخاب.

(٦) الأَمَدُ الغاية، لسان العرب: مادة (أمد) ٣ /٧٤.

تَمْحُو[١] ذِكْرَنَا، وَلا يَرْحَضُ[٢] عَنْكَ عَارُنَا[٣]، وَهَل رَأيُكَ إلا فَنَد[٤]، وأيامُكَ إلا عَدَدٌ، وَجَمْعُك إلا بَدَدٌ[٥]، يومَ يُنادي المُنادي ألا لعن الظالم العادي[٦]. وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي حَكَمَ[٧] لأولِيَائِهِ بالسَّعَادَة، وَخَتَمَ لأصْفِيائِهِ[٨] ببُلوغِ الإرادَة، ونَقَلَهُمْ إلى الرّحْمَةِ والرّأفَةِ[٩]، والرِّضْوَانِ وَالمَغْفِرَة، ولَمْ يَشْقَ[١٠] بِهِمْ غَيرُك، ولا ابتلى[١١] بِهِمْ سِوَاك، ونسأله أنْ يُكْمِلَ لَهُمُ الأجر، وَيُجْزِلَ[١٢] لَهُمُ الثواب والذُّخر[١٣]، وَنَسْأَلُهُ حُسْنَ الخِلافَة، وَجَمِيلَ الإِنَابَة[١٤]، إنَّهُ رحيمٌ وَدُود[١٥].

(١) مَحا الشيءَ أَذْهَبَ أَثَرَه، لسان العرب: مادة (محا) ١٥/٢٧١.
(٢) الرَّحْضُ: الغَسْلُ يَرْحَضُها ويَرْحُضُها رَحْضاً غسلها، لسان العرب: مادة (رحض) ٧/١٥٣.
(٣) في بلاغات النساء: فوالله لا يرحض عنك عار ما أتيت إلينا أبداً، وفي بعض النسخ: ولا يُرْحَض عنك عارها، ومعنى العارُ السُّبَّة والعيب، لسان العرب: مادة (عير) ٤/٦٢٠.
(٤) الفَنَد: الفَنَدُ الخَرَفُ وإِنكار العقل من الهَرَم أَو المَرض، لسان العرب: مادة (فند) ٣/٣٣٨.
(٥) (بدد) بَدَّد الشيءَ فتَبَدَّدَ فرّقه فتفرّق وتبدّد القوم إِذا تفرّقوا وتبدّد الشيءُ تفرّق، لسان العرب: مادة (بدد) ٣/٧٨.
(٦) في اللّهوف: ألا لعنة الله على الظالمين، وفي بعض النسخ: ألا لعن الله الظالم العادي.
(٧) في اللّهوف: الذي ختم.
(٨) في بعض النُسَخ: لأصفيائِهِ بالشهادة.
(٩) الرأْفة الرحمة وقيل أَشد الرحمة، لسان العرب: مادة (رأف) ٩/١١٢.
(١٠) الشَّقاءُ والشَّقاوةُ بالفتح ضدُّ السعادة، لسان العرب: مادة (شقا) ١٤/٤٣٨.
(١١) الابتلاء الاختبار من بلاه يبلوه وابتلاه أَي جَرَّبه، لسان العرب: مادة (بلا) ١٤/٨٣.
(١٢) أَجْزَلْت له من العطاء أَي أَكثرت وقد أَجْزَلَ له العطاء إِذا عَظُم، لسان العرب: مادة (جزل)١١/١٠٩.
(١٣) ذَخَرَ الشيءَ يَذْخُرُه اذِّخاراً اختاره، لسان العرب: مادة (ذخر) ٤/٣٠٢.
(١٤) الإِنابةُ الرجوعُ إِلى اللّه بالتَّوبة، لسان العرب: مادة (نوب) ١/٧٧٤.
(١٥) الودود في أَسماءِ الله تعالى فَعُولٌ بمعنى مَفْعُول من الودّ المحبة، لسان العرب: مادة (ودد) ٣ / ٤٥٣، وورد في بلاغات النساء:... والحمد لله الذي ختم بالسعادة والمغفرة لسادات شبّان الجنان، فأوجب لهم الجنّة، أسأل الله أن يرفع لهم الدرجات، وأن يوجب لهم المزيد من فضله، فإنّه وليٌّ قدير.



المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الاحتجاج: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري)، تح: الشيخ إبراهيم البهادري والشيخ محمّد هادي به، بإشراف العلامة الشيخ جعفر السبحاني، ط٤، دار الأسوة للطباعة والنشر - قم، ١٤٢٤هـ.

٣. أحكام صفة الكلام لذوي الوزارتين: أبو القاسم محمّد بن عبد الغفور الكلاكي الأشبيلي الأندلُسي، أحد أعلام القرن السادس الهجري، تح: محمّد رضوان الداية، دار الثقافة، مطبعة النجوى، بيروت - لبنان، ١٩٦٦م.

٤. أخبار الزينبيّات: يحيى بن الحسين العبدلي (ت٢٧٧هـ - ٨٩٠م)، منشورات مكتبة السيد النجفي المرعشي - قم، ١٤٠١هـ.

٥. الأدب السياسي المُلتزم في الإسلام: د. صادق آئينة وند، ود. حسن عباس نصر الله، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، ب.ت.

٦. الأدب العربي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام: أ.د. زكريا صيام، ط٣، المكتبة الوطنية - عمّان، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٧. أدب النساء في الجاهلية والإسلام / القسم الأوّل - النثر: د. محمد بدر معبدي، مطبعة مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية - مصر، ١٩٨٣م.

٨. أساليب الاستفهام في القرآن الكريم: عبد العليم فودة، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأدب والعلوم الاجتماعية، مؤسسة دار الشعب، ب.ت.

٩. أساليب القسم في اللغة العربية: كاظم فتحي الراوي، ط١، مطبعة الجامعة المستنصرية - بغداد، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

١٠. أسرار البلاغة: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت٤٧١ أو ٤٧٤هـ)، تح: هـ - رتير، مطبعة وزارة المعارف - استانبول، ١٩٥٤م.

١١. الأسرار الفاطمية: محمّد فاضل المسعودي، ط١، منشورات ذوي القربى، إيران - قم، ١٣٨٤هـ.

١٢. الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبيّة: د. أحمد الشايب، ط٦، مكتبة النهضة المصرية، مزيدة ومنقّحة بالقاهرة، ١٩٦٦م.

١٣. الإصابة في تمييز الصحابة: شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت٨٥٢هـ)، تح: علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل - بيروت، ١٤١٢ هـ.
١٤. إعجاز القرآن: أبو بكرمحمد بن الطيب الباقلاني (ت٣٤٩هـ)، تح: السيد أحمد الصقر، القاهرة - دار المعارف، د.ت.
١٥. أعلام النساء المؤمنات: محمد الحسون وأم علي مشكور، ط٢، دار الأسوة للطباعة والنشر - إيران، ١٣٧٩هـ.
١٦. أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام: عمر رضا كحالة، المطبعة الهاشميّة - دمشق، ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م.
١٧. أعلام النساء: علي محمد دخيل، ط١، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٨. اعلموا أني فاطمة - فاطمة الزهراء عليها السلام والحضارة الإسلامية -: عبد الحميد المهاجر، المجلد الرابع، ط١، ١٤٢٦هـ.
١٩. أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، حققه وأخرجه وعلق عليه: السيد حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ.
٢٠. الأغاني: أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت٣٥٦هـ)، تح: سمير جابر، ط٢، دار الفكر، بيروت - لبنان.
٢١. الأمالي: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، قدَم له: السيد محمَد صادق بحر العلوم، نشر المكتبة الأهلية - بغداد، د.ت.
٢٢. الأمالي: أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي، دار الكتب - مصر، ١٩٥٤م - ١٣٧٣ هـ.
٢٣. أنموذج في علم البلاغة وتوابعها: عبد الوهاب طاهر بن علي الأسترباذي (ت٨٣٣هـ - أو ٨٧٥هـ)، تح: عبد الله حبيب وشاكر هادي التميمي، مطبعة المتنبّي - الديوانيّة، ٢٠٠٢م.
٢٤. أنوار الربيع في أنواع البديع: علي صدر الدين بن معصوم المدني، تح: شاكر هادي شكر، النجف الأشرف، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
٢٥. الإيضاح في علوم البلاغة - المعاني والبيان والبديع -: جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعد الدين ابن عمر المعروف بالخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ)، ط٤، دار إحياء العلوم - بيروت، ١٩٩٨م.
٢٦. بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار: العلامة الشيخ محمّد باقر المجلسي (ت١١١٠هـ)، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، ط٢، ١٩٨٣م - ١٤٠٣هـ.
٢٧. البرهان في علوم القرآن: بدر الدّين محمّد بن عبد الله الزركشي، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
٢٨. بلاغات النساء (وطرائف كلامهنّ وملح نوادرهنّ وأخبار ذوات الرأي منهنّ) وأشعارهنّ في الجاهليّة والإسلام: أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر بن طيفور (ت٣٨٠هـ)، النجف الأشرف - المكتبة المرتضية، ١٣٦١هـ.

٢٩. بنية اللُّغة الشعرية: جان كوهين، ترجمة: عبد الولي ومحمّد العمري، المغرب - الدار البيضاء - دار تويقال للنشر، ١٩٨٦م.

٣٠. البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تح: المحامي فوزي عطوي، ط١، دار صعب – بيروت، ١٩٦٨م.

٣١. تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: د. محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلاميّة - بيروت - لبنان، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٣٢. تاريخ الأمم والملوك: أبو جعفرمحمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٧هـ.

٣٣. تراجم سيدات بيت النبوّة: عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار الحديث - القاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٣٤. التعريف في الأدب العربي: رئيف خوري، لجنة التأليف المدرسي، بيروت.

٣٥. تمهيد في النقد الحديث: روز غريب، ط١، دار المكشوف - بيروت، ١٩٧١م.

٣٦. جمهرة اللُّغة: أبي بكر ابن دريد (ت٣٢١هـ)، علّق عليه ووضع حواشيه وفهارسه: إبراهيم شمس الدين، ط١، منشورات محمّد علي بيضون - دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ٢٠٠٥م.

٣٧. جمهرة خُطب العرب في عصور العربية الزاهرة: أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية - بيروت، د - ت.

٣٨. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد الهاشمي، ط١٢، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

٣٩. جوهر الكنز: نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي، تح: د. محمّد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية - مصر، ب.ت.

٤٠. حسن التوسّل إلى صناعة الترسّل: أبو الثناء شهاب الدين محمود بن سليمان المعروف بشهاب الدين الحلبي (٧٢٥هـ)، تح ودراسة: أكرم عثمان يوسف، ب.ط، دار الحريّة للطباعة - بغداد، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٤١. حياة الزهراء بعد أبيها الرسول: العلامة الحاج الشيخ فضل علي القزويني، تح: السيد أحمد الحسيني، ط١، ١٤٢٦هـ.

٤٢. حياة السيدة زينب عليها السلام: جعفر النقدي (ت١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م)، ط١، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان، ١٩٩٨م - ١٤١٩هـ.

٤٣. الحيوان: أبو عثمان عمر بن بحرالجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تح: عبد السلام محمّد هارون، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٨م.

٤٤. خزانة الأدب وغاية الأرب: تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله المعروف بابن حجة الحموي (ت ٨٣٧ هـ)، تح: عصام شعيتو، ط١، دار ومكتبة الهلال - بيروت، ١٩٨٧م.

٤٥. الخطابة العربية في عصرها الذهبي: إحسان النص، دار المعارف - مصر، ١٩٦٣م.

٤٦. الخطابة في صدر الإسلام، محمّد طاهر درويش، دار المعارف - مصر، ١٩٦٥م.

٤٧. الخطابة في عصر صدر الإسلام: د. محمّد طاهر درويش، دار الجيل للطباعة - مصر.

٤٨. الخطابة: أرسطو طاليس، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي، دار الرشيد للنشر - بغداد، ١٩٨٠م.

٤٩. الخطب والمواعظ: محمّد عبد الغني حسن، ط٤، دار المعارف - القاهرة، ١٩٨٠م.

٥٠. الدُرّ المنثور في طبقات ربّات الخدور: زينب بنت علي فوّاز العاملي، المطبعة الكُبرى الأميريّة ببولاق - مصر، ١٣١٢هـ.

٥١. دراسات في الأدب الجاهلي وصدر الإسلام: د. عبد المجيد هندي، مكتبة عين شمس - القاهرة، ١٩٨٠م.

٥٢. دلائل الإعجاز:أبو بكرعبد القاهربن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت٤٧١ أو ٤٧٤هـ)، صحّحه وشرحه وعلّق عليه: الأستاذ أحمد مصطفى المراغي، ط٢، المكتبة المحمودية التجارية، مصر، د.ت.

٥٣. دلائل الإمامة: أبو جعفر محمّد بن جرير بن رستم الطبري، منشورات المطبعة الحيدريّة ومكتبتها - النجف الأشرف، ١٣٦٩هـ - ١٩٤٩م.

٥٤. زينب الكبرى بنت الإمام علي بن أبي طالب: جعفر النقدي (ت١٣٧٠هـ)، إيران.

٥٥. زينب الكبرى من المهد إلى اللحد: محمّد كاظم القزويني، تح: مصطفى القزويني، ط٢، دار القارئ، بيروت - لبنان، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٥٦. زينب والظالمون: محسن المعلّم، ط١، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٥٧. سر الفصاحة: أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن سعيد بن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ)، صحّحه وعلّق عليه: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمّد علي صبيح وأولاده - الأزهر - مصر، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.

٥٨. السقيفة وفدك: أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري (ت٣٢٣هـ).

٥٩. سنن ابن ماجة: أبوعبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٧٥ هـ)، تح: محمود محمّد حسن نصّار، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

٦٠. سنن الترمذي: أبو عيسى محمّد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٩٧هـ)، تح: محمود محمّد محمود حسن نصّار، ط١، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٦١. السيدة زينب رائدة الجهاد في الإسلام، عرض وتحليل: باقر شريف القرشي، مطبعة النجف، ١٤١٤هـ.

٦٢. السيدة زينب وأخبار الزينبيّات: يحيى بن الحسن بن جعفر العبيدلي (ت٢٧٧هـ)، تح: حسن محمد قاسم، ط٢، مصر، ١٩٣٤م.

٦٣. شرح نهج البلاغة: عبد الحميد بن محمّد بن أبي الحديد (ت٦٥٥هـ)، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م.

٦٤. شعر الشريف الرضي - الفنّ والإبداع: د. حافظ المنصوري، ط١، النجف الأشرف، ٢٠٠٧م.

٦٥. صبح الأعشى في صناعة الإنشا: أحمد بن علي القلقشندي، تح: د.يوسف علي طويل، ط١، دار الفكر - دمشق، ١٩٨٧م.

٦٦. الصديقة الصغرى زينب بنت علي عليها السلام: صالح الجصّاني، مراجعة عبد الجبار الساعدي.

٦٧. الصديقة زينب عليها السلام مثال المرأة الواعية: الشيخ حسن مكي الخويلدي، ط١، دار المحجّة

البيضاء للطباعة والنشر - بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٦٨. الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث: بشرى موسى صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٤م.

٦٩. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: د. جابر أحمد عصفور، ط٢، دار التنوير للطباعة والنشر - بيروت، ١٩٨٣م.

٧٠. الصورة الفنية في القُرآن الكريم: عبد السلام أحمد الراغب، ط١، فصّلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، ٢٠٠١م.

٧١. الصورة الفنيّة في المثل القرآني: د. محمّد حسين الصغير، ط٢، دار الهادي - بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٧٢. الصورة الفنيّة معياراً نقدياً منحى تطبيقي على شعرالأعشى الكبير: د. عبد الإله الصائغ، ط١، دار الشئون الثقافية العامّة - بغداد، ط١، ١٩٨٧م.

٧٣. الصورة في الشعر العربي حتى آواخر القرن الثاني الهجري: دراسة في أصولها وتطورها، د. علي البطل، دار الأندلُس، ط١، ١٩٨٠م.

٧٤. الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمّد بن سعد بن منيع (ت٢٣٠هـ - ٨٤٤م)، تح: إحسان عباس، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٧٥. الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني (ت٧٤٥هـ)، مراجعة وضبط وتحقيق: محمد عبد السلام شاهين، مطبعة المقتطف - مصر، ١٩١٤م - ١٣٣٢هـ.

٧٦. ظواهر فنيّة في لغة الشعر العربي الحديث: علاء الدين رمضان السيد، منشورات اتحاد الكتاب العربي - دمشق، ١٩٩٦م.

٧٧. العباس: عبد الرزاق المقرّم: دار الفردوس، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٧٨. العصر الجاهلي: د. شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف - مصر، ١٩٦٥م.

٧٩. عصر النبوّة: إبراهيم نمير سيف الدين، لبيد إبراهيم أحمد، ط١، دار الطباعة الحديثة، البصرة، ١٩٦٨م.

٨٠. العقد الفريد: أبو عمر أحمد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسي (ت٣٢٨هـ)، تح: أحمد أمين، إبراهيم الأبياري، عبد السلام هارون، دار الكتب العلميّة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، لجنة التأليف والترجمة - مصر.

٨١. العقيلة زينب والفواطم: حسين الشاكري، طبعة إيران، ٢٠٠١م.

٨٢. علم الخطابة: د. محمّد سمير الشاوي، ط١، سوريا، دمشق - البرامكة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

٨٣. علم المعاني: عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية - بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٨٤. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت٤٥٦هـ)، حققه وفصله وعلق حواشيه: محمّد محي الدّين عبد الحميد، ط٤، دار الجيل - بيروت - لبنان، ١٩٧٢م.

٨٥. عيون الأخبار: أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري (ت٢٧٦هـ)، دار الكتاب العربي (طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية) – القاهرة، د.ت.

٨٦. غريب الحديث: ابن الجوزي، علّق عليه: د. عبد المُعطي أمين قلعجي، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ٢٠٠٤م.

٨٧. فاطمة الزهراء عليها السلام أم أبيها: د. فاضل الحسيني الميلاني، ط٩، مؤسسة البلاغ، دار سلوني - بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٨٨. فاطمة الزهراء عليها السلام شخصيّتها / ظلامتها (رؤية جديدة): محمّد الهنداوي، مؤسسة العارف للمطبوعات.

٨٩. فاطمة الزهراء عليها السلام والفاطميّون: عباس العقاد، د/ط، دار الهلال، د.ت.

٩٠. فاطمة الزهراء عليها السلام وتر في غمد: سليمان كتاني، ط٢، دار الصادق - بيروت، ١٩٦٨م.

٩١. فاطمة بنت الحسين عليهما السلام: جعفر النقدي (ت٣٧٠هـ - ١٩٥٠م)، المطبعة الحيدريّة - نجف، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٩٢. فاطمة صوت الحق الإلهي: محسن المعلّم، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع.

٩٣. فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: أبو عبيد البكري، ط٣، تح: د.إحسان عباس ود.عبدالمجيد عابدين، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٩٨٣م.

٩٤. فضائل الخمسة من الصحاح الستة: العلامة السيد مرتضى الحسيني الفيروز آبادي ط٤، منشورات مؤسسة الأعلمي - بيروت، ١٤٠٢هـ.

٩٥. فن التشبيه: علي الجندي، القاهرة، ط١، ١٣٦٨هـ - ١٩٦٦م.

٩٦. فن الخطابة: إبراهيم البدوي، راجعه وقدّم له العلامة السيد محمّد حسين فضل الله ط١، دار الأمير - بيروت، ١٩٩٤م - ١٤١٤هـ.

٩٧. فن الخطابة: د. أحمد محمّد الحوفي، ط٤، مطبعة دار نهضة للطبع والنشر - الفجالة - القاهرة - مصر، ١٩٨٦م.

٩٨. الفن ومذاهبه في النثر العربي: د. شوقي ضيف، ط١٠، دار المعارف.

٩٩. في الأدب الجاهلي (دراسة ونقد): د. علي صبح، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، دار إحياء الكتب العربية.

١٠٠. في رحاب السيدة زينب عليها السلام: محمّد بحر العلوم، دار الزهراء للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

١٠١. القاموس المحيط: مجد الدين محمّد بن يعقوب الشيرازي الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، ب. ط، ود.ت.

١٠٢. قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي: عبد الله عبد الجبار، محمّد عبد المنعم خفاجي، دار مصر للطباعة - القاهرة، ١٩٥٨م.

١٠٣. القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي: د. محمود البستاني، ط١، مؤسسة الطبع والنشر، إيران - مشهد، ١٤١٤هـ.

١٠٤. الكافي: لثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي (٣٢٨ هـ)، صحّحه وعلّق

عليه علي أكبر الغفاري - دار الكتب الإسلامية - طهران، ط٤، ١٣٧٥هـ.

١٠٥. الكامل في التأريخ: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، عُني بمُراجعته نخبة من العلماء، ط٢، دار صادر - بيروت، ١٩٨٠م.

١٠٦. كتاب الشافي في الإمامة: الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي (ت٤٣٦هـ)، تح: عبد الزهراء الحسيني الخطيب، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران - إيران، ١٤١٠ هـ.

١٠٧. كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر): أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت٣٩٥هـ)، تح: علي محمّد البجاوي ومحمّد أبي الفضل إبراهيم، ط١، مطبعة البابي الحلبي، ١٩٥٢م - ١٣٧١هـ.

١٠٨. كتاب جمهرة الأمثال: أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ط٢، دار الفكر –دمشق، ١٩٨٨م.

١٠٩. كشف الغمّة: علي بن عيسى الأربلي (ت٦٩٣هـ)، مكتبة الصدر، طهران - ١٣٩٧هـ.

١١٠. لسان العرب: جمال الدين أبو الفضل محمّد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري (ت٧١١هـ)، ط١، دار صادر – بيروت، د.ت.

١١١. اللهوف في قتلى الطفوف: علي بن محمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني (ت٥٨٩هـ)، منشورات سجدة.

١١٢. المثل السائرفي أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، قدم له وحققه وعلق عليه: الدكتور بدوي أحمد طبانة والدكتور أحمد الحوفي، دار النهضة للطباعة، ١٩٨٧م.

١١٣. مُثير الأحزان: ابن نما الحلّي نجم الدين جعفر بن محمّد بن جعفر بن هبة الله (٥٦٧ - ٦٤٥هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام قم المقدسة، ١٤٠٦هـ.

١١٤. مجمع الأمثال: أبو الفضل أحمد بن أحمد النيسابوري الميداني، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢، مصر - القاهرة، ١٩٥٩م – ١٣٧٩هـ.

١١٥. المحبر: أبو جعفر محمّد بن حبيب بن أميّة بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت٢٤٥هـ)، صحّح الكتاب: إيلزة ليختن شتيتر، ط بيروت، بلا. ت.

١١٦. المرأة العربية في ظلال الإسلام: عبد الله عفيفي، ط١، دار الكتاب العربي، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١١٧. المرأة في أدب العصر العباسي، د. واجدة مجيد عبد الله الأطرقجي، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام - الجمهورية العراقية، ١٩٨١م.

١١٨. المرأة في الشعر الجاهلي: د. أحمد الحوفي، مطبعة النهضة - مصر.

١١٩. المرأة وحقوق الإنسان: محمّد جمال الهاشمي، مطبعة الغري الحديثة - نجف، ١٣٨٠هـ.

١٢٠. المرجع في الحضارة العربية الإسلاميّة: إبراهيم سلمان الكروي، عبد التواب شرف الدين، ط٢، منشورات ذات السلاسل - الكويت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٢١. المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح: فؤاد علي منصور، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٩٨م.

١٢٢. المستطرف في كل فن مستظرف: شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، تح: د. مفيد محمد قميحة، ط٢، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨٦م.

١٢٣. المستقصى في أمثال العرب: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ط٢، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨٧م.

١٢٤. مسند أحمد: أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، دار الفكر - بيروت.

١٢٥. معاني الأخبار: محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه (الشيخ الصدوق) (ت٣٨١هـ) ملحق بكتابه علل الشرائع، ط - إيران.

١٢٦. معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها: د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٢٧. معجم آيات الاقتباس: حكمت فرج البدري، دار الحُرّية، ١٩٨٠م.

١٢٨. مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكّاكي (ت٦٢٦هـ)، تح: د. أكرم عثمان يوسف، ط١، مطبعة دار الرسالة - بغداد، ١٩٨٢م - ١٤٠٢هـ.

١٢٩. المفصّل في العربية: للزمخشري: مطبعة دار التقدّم، ١٣٢٣هـ.

١٣٠. مقتل الحسين عليه السلام وحديث كربلاء: عبد الرزاق الموسوي المقرّم، المطبعة الحيدريّة - نجف، ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م.

١٣١. مقتل الحسين عليه السلام: أبو المؤيّد الموفّق بن أحمد أخطب خوارزم (ت٥٦٨هـ)، تح: الشيخ محمّد السماوي، ط٣، منشورات أنوار الهدى - قم، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

١٣٢. من تاريخ الأدب العربي، النثر الجاهلي: طه حسين، ط٣، دار العلم للملايين - بيروت، آيار ١٩٧٩م.

١٣٣. منال الطالب في شرح طوال الغرائب: أبو السعادات المبارك بن محمّد ابن الأثير (ت٦٠٦هـ).

١٣٤. منهاج البلغاء وسراج الأدباء: أبو الحسن حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ)، تح: محمّد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية - تونس، ١٩٦٦م.

١٣٥. نثر الدرّ في المحاضرات: الوزير الأديب أبو سعد منصور بن الحسين الآبي (ت٤٢١هـ)، تح: خالد عبد الغني محفوظ، ط١، منشورات دار الكتب العلميّة - بيروت - لبنان، ٢٠٠٤م - ١٤٢٤هـ.

١٣٦. النثر الفني بين العصر الجاهلي وصدر الإسلام - دراسة فنية تحليليّة - د. وفاء علي سليم، وكالة المطبوعات - الكويت.

١٣٧. النثر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي (دراسة تحليليّة) د. مي يوسف خليف، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة).

١٣٨. نثر المرأة في الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي، دراسة وجمع وتحقيق: د. عبد الحي بن علي سيد أحمد الحوسني، إصدارات المجمع الثقافي - أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٤م - ١٤٢٥هـ.

١٣٩. النقد الأدبي عند اليونان: بدوي طبانة، مكتبة الآنجلو المصريّة - القاهرة، ط١، ١٩٦٧م.

١٤٠. نقد الشعر: أبو الفرج قدامة بن جعفر (ت٣٣٧)، عُني بتصحيحه: س.أ. بونيباكو، مطبعة بريل، لندن، ١٩٥٦م.

١٤١. النكت في إعجاز القرآن: أبو الحسن علي بن عيسى الرّماني (ت٣٨٦هـ)، (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القُرآن)، تح: محمّد خلف الله، ومحمّد زغلول سلام، دار المعارف - القاهرة، ١٩٧٦م.

١٤٢. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: فخر الدين الرازي، القاهرة، ١٣١٧هـ.

١٤٣. نهج البلاغة: شرح صبحي الصالح، دار الهجرة - قم، ١٤١٢هـ.

١٤٤. الوسيط في الأدب وتأريخه: الشيخ أحمد الإسكندري، الشيخ مصطفى عناني، ط١٧، دار المعارف - مصر.

١٤٥. وفاة زينب الكبرى: فرج آل عمران القطيفي، طبعة النجف، ١٩٥٩م.

١٤٦. ينابيع المودّة: القندوزي، سليمان بن إبراهيم البلخي (ت١٢٩٤هـ)، مطبعة أختر، اسلامبول، ١٣٠١هـ.

الرسائل والأطاريح الجامعيّة

١٤٧. أثر البواعث في تكوين الدّلالة البيانيّة: صباح عباس عنوز، اطروحة دكتوراه، كلّية الآداب - جامعة الكوفة، ٢٠٠١م.

١٤٨. أثر المرأة في الحياة الإسلامية حتى نهاية العصر الراشدي: علي كسار غدير الغزالي، رسالة ماجستير، كلية الآداب - جامعة الكوفة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٤٩. التصوير الفني في خطب الإمام علي عليه السلام: عباس الفحّام، رسالة ماجستير، كلية التربية - جامعة الكوفة، ١٩٩٩م.

١٥٠. التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية من مكة إلى المدينة: هادي سعدون هتون، رسالة ماجستير، كلّية الآداب - جامعة الكوفة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٥١. الخطابة الحفلية في العصر الأموي - دراسة موضوعية فنيّة -: حسين عبد العال اللهيبي، رسالة ماجستير، كلّية التربية - جامعة الكوفة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٥٢. دور نساء آل البيت السياسي والفكري في معركة الطف وما بعدها: أمل محمّد خضيّر، اطروحة دكتوراه، المعهد العالي للدراسات السياسيّة والدّوليّة - الجامعة المستنصريّة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

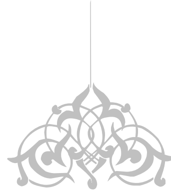
١٥٣. السيدة زينب ودورها في أحداث عصرها: هناء سعدون جبّار العبودي، رسالة ماجستير، كلّية الآداب - جامعة الكوفة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م.

١٥٤. شعر رثاء الإمام الحسين عليه السلام في العراق ابتداءً من سنة ١١٠٠هـ وحتى ١٣٥٠هـ - دراسة فنية -: خالد كاظم الحميداوي، رسالة ماجستير، كلّية الآداب - جامعة الكوفة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١٥٥. شعر المرأة في القرن الأول الهجري أغراضه وميّزاته الفنيّة: شاكر محمود عبد علي، رسالة ماجستير، كلية التربية - جامعة بغداد، ١٩٨٩م.

الأبحاث والمجلات المحكمة

١٥٦. أثر كربلاء في خطابة آل البيت والتوابين رؤية عناصر الواقعة واللغة الفنية: د. علي زيتون، مجلة المنهاج - العدد الخامس، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

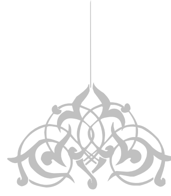


المحتويات

الفصل الثاني: سبل أداء المعنى في الخطب

الفصل الثالث: البناء الفني للخطب

الملحق



إصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة

ت	اسم الكتاب	تأليف
١	السجود على التربة الحسينية	السيد محمد مهدي الخرسان
٢	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية	
٣	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو	
٤	النوران ـ الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٥	هذه عقيدتي ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٦	الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي	الشيخ علي الفتلاوي
٧	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان	الشيخ وسام البلداوي
٨	الجمال في عاشوراء	السيد نبيل الحسني
٩	ابكِ فإنك على حق	الشيخ وسام البلداوي
١٠	المجاب بردّ السلام	الشيخ وسام البلداوي
١١	ثقافة العيدية	السيد نبيل الحسني
١٢	الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزآن	السيد عبد الله شبر
١٣	الزيارة تعهد والتزام ودعاء في مشاهد المطهرين	الشيخ جميل الربيعي
١٤	من هو؟	لبيب السعدي
١٥	اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل؟	السيد نبيل الحسني
١٦	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
١٧	أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم	السيد نبيل الحسني
١٨	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)	السيد محمدحسين الطباطبائي
١٩	الحيرة في عصر الغيبة الصغرى	السيد ياسين الموسوي
٢٠	الحيرة في عصر الغيبة الكبرى	السيد ياسين الموسوي
٢١ ـ ٢٣	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ـ ثلاثة أجزاء	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٤	القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ وسام البلداوي
٢٥	الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة	السيد محمد علي الحلو

٢٦	قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ حسن الشمري
٢٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية	السيد نبيل الحسني
٢٨	موجز علم السيرة النبوية	السيد نبيل الحسني
٢٩	رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرة	الشيخ علي الفتلاوي
٣٠	التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمي (LC)	علاء محمد جواد الأعسم
٣١	الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام	السيد نبيل الحسني
٣٢	الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٣	الخطاب الحسيني في معركة الطف ـ دراسة لغوية وتحليل	الدكتور عبدالكاظم الياسري
٣٤	رسالتان في الإمام المهدي	الشيخ وسام البلداوي
٣٥	السفارة في الغيبة الكبرى	الشيخ وسام البلداوي
٣٦	حركة التاريخ وسننه عند علي وفاطمة عليهما السلام (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٧	دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء ـ بين النظرية العلمية والأثر الغيبي (دراسة) من جزءين	السيد نبيل الحسني
٣٨	النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٣٩	زهير بن القين	شعبة التحقيق
٤٠	تفسير الإمام الحسين عليه السلام	السيد محمد علي الحلو
٤١	منهل الظمآن في أحكام تلاوة القرآن	الأستاذ عباس الشيباني
٤٢	السجود على التربة الحسينية	السيد عبد الرضا الشهرستاني
٤٣	حياة حبيب بن مظاهر الأسدي	السيد علي القصير
٤٤	الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميها وشفيعها	الشيخ علي الكوراني العاملي
٤٥	السقيفة وفدك، تصنيف: أبي بكر الجوهري	جمع وتحقيق: باسم الساعدي
٤٦	موسوعة الألوف في نظم تاريخ الطفوف ـ ثلاثة أجزاء	نظم وشرح: حسين النصار
٤٧	الظاهرة الحسينية	السيد محمد علي الحلو
٤٨	الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام	السيد عبد الكريم القزويني
٤٩	الأصول التمهيدية في المعارف المهدوية	السيد محمد علي الحلو
٥٠	نساء الطفوف	الباحثة الاجتماعية كفاح الحداد
٥١	الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد	الشيخ محمد السند
٥٢	خديجة بنت خويلد أُمّة جُمعت في امرأة – ٤ مجلد	السيد نبيل الحسني
٥٣	السبط الشهيد – البُعد العقائدي والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
٥٤	تاريخ الشيعة السياسي	السيد عبد الستار الجابري
٥٥	إذا شئت النجاة فزر حسيناً	السيد مصطفى الخاتمي
٥٦	مقالات في الإمام الحسين عليه السلام	عبد السادة محمد حداد

٥٧	الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني	الدكتور عدي علي الحجّار
٥٨	فضائل أهل البيت عليهم السلام بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين	الشيخ وسام البلداوي
٥٩	نصرة المظلوم	حسن المظفر
٦٠	موجز السيرة النبوية – طبعة ثانية، مزيدة ومنقحة	السيد نبيل الحسني
٦١	ابكِ فانك على حق – طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٦٢	أبو طالب ثالث من أسلم – طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني
٦٣	ثقافة العيد والعيدية – طبعة ثالثة	السيد نبيل الحسني
٦٤	نفحات الهداية – مستبصرون ببركة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ ياسر الصالحي
٦٥	تكسير الأصنام – بين تصريح النبي ﷺ وتعتيم البخاري	السيد نبيل الحسني
٦٦	رسالة في فن الإلقاء – طبعة ثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٦٧	شيعة العراق وبناء الوطن	محمد جواد مالك
٦٨	الملائكة في التراث الإسلامي	حسين النصراوي
٦٩	شرح الفصول النصيرية – تحقيق: شعبة التحقيق	السيد عبد الوهاب الأسترآبادي
٧٠	صلاة الجمعة– تحقيق: الشيخ محمد الباقري	الشيخ محمد التنكابني
٧١	الطفيات – المقولة والإجراء النقدي	د. علي كاظم المصلاوي
٧٢	أسرار فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام	الشيخ محمد حسين اليوسفي
٧٣	الجمال في عاشوراء – طبعة ثانية	السيد نبيل الحسني
٧٤	سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم	السيد نبيل الحسني
٧٥	اليحموم، -طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني
٧٦	المولود في بيت الله الحرام: علي بن أبي طالب عليه السلام أم حكيم بن حزام؟	السيد نبيل الحسني
٧٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية – طبعة ثانية	السيد نبيل الحسني
٧٨	ما أخفاه الرواة من ليلة المبيت على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم	السيد نبيل الحسني
٧٩	علم الإمام بين الإطلاقية والإشائية على ضوء الكتاب والسنة	صباح عباس حسن الساعدي
٨٠	الإمام الحسين بن علي عليهما السلام أنموذج الصبر وشارة الفداء	الدكتور مهدي حسين التميمي
٨١	شهيد باخمرى	ظافر عبيس الجياشي
٨٢	العباس بن علي عليهما السلام	الشيخ محمد البغدادي
٨٣	خادم الإمام الحسين عليه السلام شريك الملائكة	الشيخ علي الفتلاوي
٨٤	مسلم بن عقيل عليه السلام	الشيخ محمد البغدادي
٨٥	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق) – الطبعة الثانية	السيد محمدحسين الطباطبائي
٨٦	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان – طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٨٧	المجاب برد السلام – طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي

٨٨	كامل الزيارات باللغة الانكليزية (Kamiluz Ziyaraat)	ابن قولويه
٨٩	Inquiries About Shi‘a Islam	السيد مصطفى القزويني
٩٠	When Power and Piety Collide	السيد مصطفى القزويني
٩١	Discovering Islam	السيد مصطفى القزويني
٩٢	دلالة الصورة الحسية في الشعر الحسيني	د. صباح عباس عنوز
٩٣	القيم التربوية في فكر الإمام الحسين عليه السلام	حاتم جاسم عزيز السعدي
٩٤	قبس من نور الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ حسن الشمري الحائري
٩٥	تيجان الولاء في شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء	الشيخ وسام البلداوي
٩٦	الشهاب الثاقب في مناقب علي بن أبي طالب عليهما السلام	الشيخ محمد شريف الشيرواني
٩٧	سيد العبيد جون بن حوي	الشيخ ماجد احمد العطية
٩٨	حديث سد الأبواب إلا باب علي عليه السلام	الشيخ ماجد احمد العطية
٩٩	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام ـ الطبعة الثانية ـ	الشيخ علي الفتلاوي
١٠٠	هذه فاطمة عليها السلام – ثمانية أجزاء	السيد نبيل الحسني
١٠١	وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموضع قبره وروضته	السيد نبيل الحسني
١٠٢	الأربعون حديثا في الفضائل والمناقب- اسعد بن إبراهيم الحلي	تحقيق: مشتاق المظفر
١٠٣	الجعفريات - جزآن	تحقيق: مشتاق المظفر
١٠٤	نوادر الأخبار – جزآن	تحقيق: حامد رحمان الطائي
١٠٥	تنبيه الخواطر ونزهة النواظر – ثلاثة أجزاء	تحقيق: محمد باسم مال الله
١٠٦	الإمام الحسين عليه السلام في الشعر العراقي الحديث	د. علي حسين يوسف
١٠٧	This Is My Faith	الشيخ علي الفتلاوي
١٠٨	الشفاء في نظم حديث الكساء	حسين عبدالسيد النصار
١٠٩	قصائد الاستنهاض بالإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه	حسن هادي مجيد العوادي
١١٠	آية الوضوء وإشكالية الدلالة	السيد علي الشهرستاني
١١١	عارفاً بحقكم	السيد علي الشهرستاني
١١٢	شمس الإمامة وراء سحب الغيب	السيد هادي الموسوي
١١٣	Ziyarat Imam Hussain	إعداد: صفوان جمال الدين
١١٤	البشارة لطالب الاستخارة للشيخ احمد بن صالح الدرازي	تحقيق: مشتاق المظفر
١١٥	النكت البديعة في تحقيق الشيعة للشيخ سليمان البحراني	تحقيق: مشتاق المظفر
١١٦	شرح حديث حبنا أهل البيت يكفر الذنوب للشيخ علي بن عبد الله الستري البحراني	تحقيق: مشتاق صالح المظفر
١١٧	منهاج الحق واليقين في تفضيل علي أمير المؤمنين للسيد ولي بن نعمة الله الحسيني الرضوي	تحقيق: مشتاق صالح المظفر
١١٨	قواعد المرام في علم الكلام، تصنيف كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني	تحقيق: أنمار معاد المظفر